AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

العدد - 2926 - السنة السادسة والسبعون - الخميس 06 ربيع الآخر 1448 هـ
الموافق 17 سبتمبر 2026م.

9771319029600

سلمان بن عبدالعزيز..
سراج الثقافة ونبراس المعرفة.

12 عامًا من البحث والتنقيب..
كيف أعاد الملك اكتشاف تاريخ المدن؟

الذكرى الثانية عشرة للبيعة..
عهد المعرفة والثقافة.

AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

نتطور ....

لنكون أقرب إليك

اكتشف المجلة

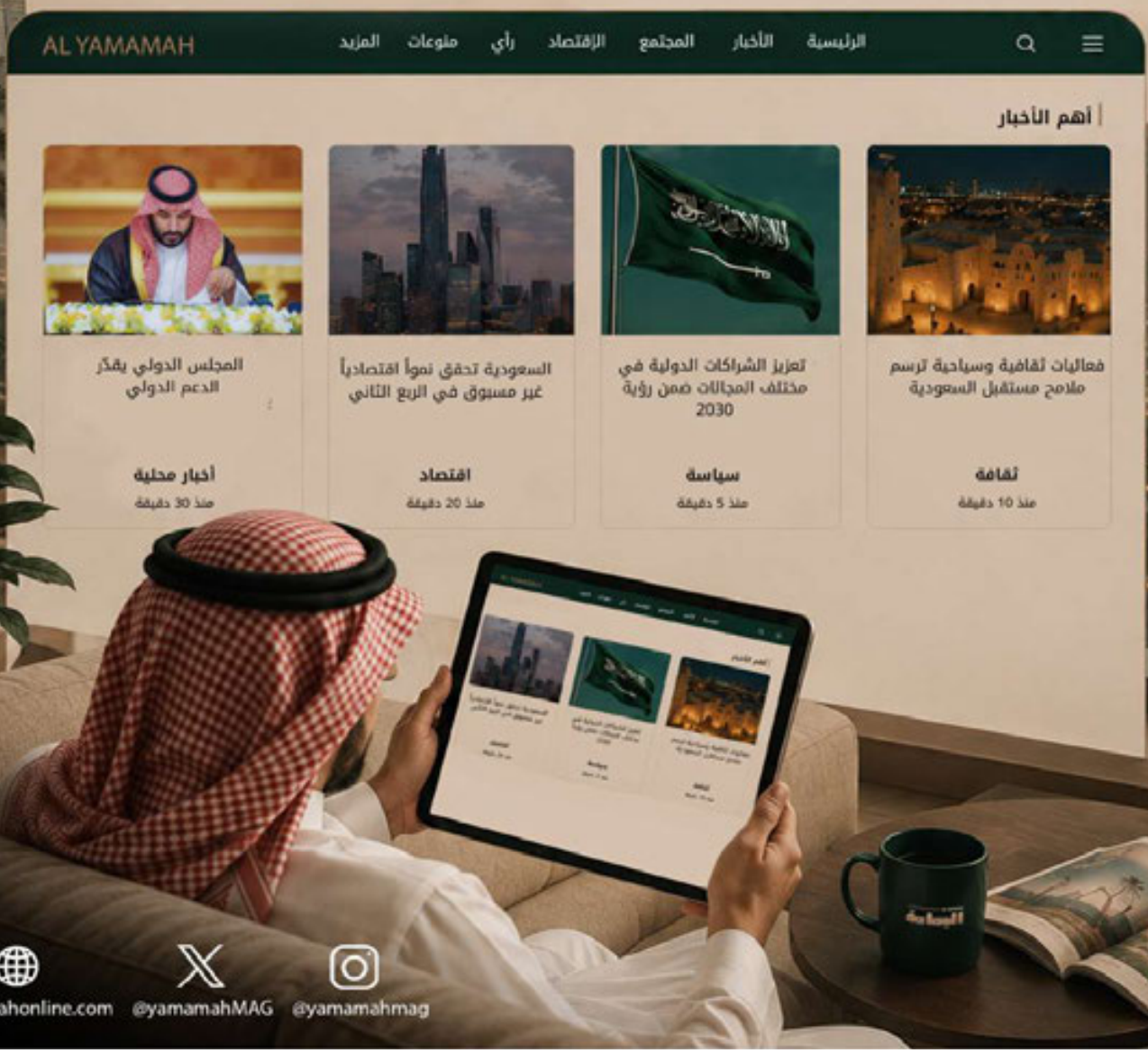

alyamamahonline.com @yamamahMAG @yamamahmag

مؤسسة اليمامة الصحفية
ALYAMAMAH PRESS EST.

بعضُ
الكتبِ
لا تُقرأ فقط ..
بل تُعاش ..

كتاب
الرياض
العدد الأول ٥ رجب ١٤١٤هـ - الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٩٣م

رحلة
في عمق
الهوية العربية

اكتشف
اختر
اقرأ
مع كنوز اليمامة

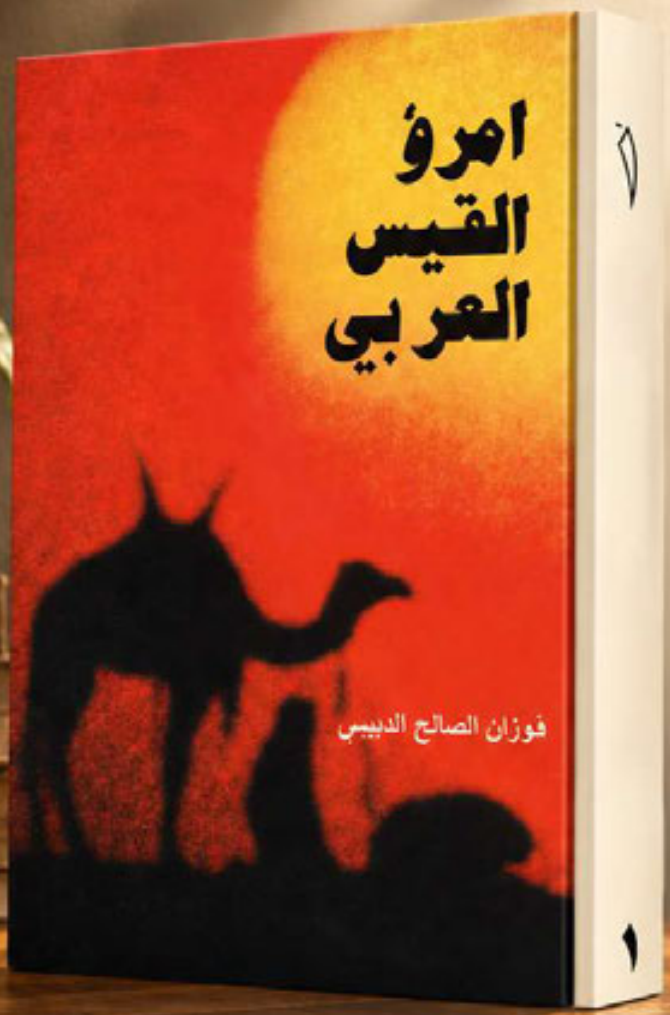

قراءة
أعمق لحياة
أجمل

اطلبه الآن عبر
Bks4.com
كنوز اليمامة .. وجهتك لكل الكتب

دعم عملاء متواصل
منتجات أصلية جودة مضمونة
تغليف آمن للحفاظ على الكتب
توصيل سريع لجميع مناطق المملكة

إنستغرام: @KnoozAlyamamah
تويتر: @KnoozAlyamamah
إيميل: contact@bks4.com
واتساب: +966 50 2121 023

الفهرس

مرت ببلادنا هذا الأسبوع الذكرى الثانية عشرة لبيعة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله، وهي مناسبة نستعيد معها مسيرة اثني عشر عامًا شهدت خلالها المملكة تحولات واسعة في مختلف المجالات، وكان للثقافة فيها حضور متنام، اتسعت معه المؤسسات والمشروعات والمنابر.

ومواكبةً لهذه المناسبة، نخصص غلاف هذا العدد لـ"المعرفة والثقافة في عهد الملك سلمان"، ونرصد بعض ملامح هذا الحضور في الكتاب والمعارض، والتاريخ والذاكرة، واللغة والمؤسسات العلمية والمعرفية.

وفي محاولة لتتبع أثر هذا التحول، نستطلع آراء أكاديميين ومتخصصين في التراث والآثار والسياحة، حول اهتمام خادم الحرمين الشريفين بالتاريخ الوطني، وإعادة تأهيل المدن التاريخية، وربطها بالثقافة والتعليم والتنمية.

كما نقدم تحقيقات تتناول تزايد المؤسسات الثقافية وتعدد منصاتها ومساحاتها الجديدة، فيما تضيء إحداها مكانة الرياض في ذاكرة الملك سلمان، وتتوقف أخرى عند أماكن ارتبطت بلحظات فارقة من تاريخ البيعة.

ولأن سيرة الملك وثيقة الصلة بالثقافة والمعرفة، نسلط الضوء على مجموعة من الكتب التي وثقت مسيرة الملك وعلاقته بالثقافة والمعرفة؛ فنقرأ كتاب "سراج الثقافة ونبراس المعرفة"، الصادر عن مؤسسة الملك سلمان غير الربحية، بما يكشفه من علاقته الاستثنائية بالكتاب والقراءة والمثقفين، فيما تقدم سارة الخزيم عرضًا لكتاب "سلمان بن عبدالعزيز آل سعود.. سيرة توثيقية" للأستاذ الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد، وهو عمل يوثق مسيرة خادم الحرمين الشريفين منذ النشأة حتى تولي الحكم.

ويتضمن العدد باقة من المواد الثقافية والاجتماعية والفنية المتنوعة؛ فيكتب الدكتور عبدالعزيز بن سلمة عن الصحفي الرائد حسن عبدالحي قزاز، ويتناول عبدالله الوابلي فن المقال الصحفي، ويسلط محمد القشعمي الضوء على كتاب "الجوف.. عذوبة النخيل وصناعة المستحيل". وفي "حديث الكتب" يقرأ الدكتور صالح الشحري كتاب "سلوى.. سيرة بلا نهاية". ويفتح الدكتور محمد الشنطي نافذة على الرواية التاريخية العربية والمحلية، فيما يطرح الدكتور محمد القنيبط في "أكاديمياته" سؤالا جديدا: "موسم التمور أم موسم العطور؟".

وفي الصفحات المنوعة، نحاور الكاتب الفرنسي جيلبرت سينويه، الذي يرى في الكتابة جسرًا بين الشرق والغرب، فيما يتناول سعد ضيف، في صفحات السينما، المسافة الفاصلة بين التمثيلية والفيلم. ونختتم العدد بـ"الكلام الأخير" مع حنين عقيل، التي تسأل: "هل نختار أذواقنا أم تُصنع لنا؟".

AL YAMAMAH
اليمامة

المحررون

مؤسسة اليمامة الصحفية
AL YAMAMAH PRESS EST

مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

أسسها: حمد الجاسر عام 1372 هـ

رئيس مجلس الإدارة: منصور بن محمد بن صالح بن سلطان

المدير العام : خالد الفهد العريفي ت : 2996110

2926

CONTENTS

في هذا العدد

الوطن

06 | مجلس الوزراء يدين استمرار اعتداءات الميليشيا الحوثية الإرهابية على الأعيان المدنية والمدنيين.

حديث الكتب

34 | كتاب أكاديمي يحاول حصر مسيرة خادم الحرمين الشريفين.. سلمان بن عبدالعزيز آل سعود.. سيرة توثيقية.

المرسم

96 | الفنان البرتو جياكوميتي .. الوجه الآخر للحداثة.

أكاديميات

86 | د .محمد حمد القنيبط: مَوسم التمور أمْ مَوسِم العُطور !؟

الحوار

82 | جيلبرت سينويه: أكتب لأبني جسراً بين الشرق والغرب.

الكلام الأخير

100 | حنين محمد عقيل: هل نختار أذواقنا... أم تُصنع لنا؟

المشرف على التحرير
عبدالله حمد الصيخان
alsaykhan@yamamahmag.com
هاتف : 2996200
فاكس: 4871082

مدير التحرير
عبدالعزيز حمود الخزام
aalkhuzam@yamamahmag.com
هاتف : 2996415

عنوان التحرير:
المملكة العربية السعودية الرياض - طريق القصيم حي الصحافة
ص.ب: 6737 الرمز البريدي 11452
هاتف السنترال 2996000 الفاكس 4870888
بريد التحرير:
info@yamamahmag.com
موقعنا:
www.alyamamahonline.com
تويتر:
@yamamahMAG

MAIN OFFICE:
AL-SAHAFA QURT.T - TEL: 2996000 (23 LINES) -
TELEX: 201664 JAREDA S.J. P.O. BOX 6737
RIYADH 11452 (ISSN -1319 - 0296)

سعر المجلة : 5 ﷼
الاشتراك السنوي:
المرحلة الأولى : مدينة الرياض
300 ﷼ للأفراد شاملاً الضريبة.
500 ﷼ للقطاعات الحكومية وتضاف الضريبة.
تودع في حساب البنك العربي رقم (آيبان دولي):
sa 4530400108005547390011
ويرسل الإيصال وعنوان المشترك على بريد المجلة-
info@yamamahmag.com
للاشتراك اتصل على الرقم المجاني: 8004320000

إدارة الإعلانات:
هاتف 2996400 -2996418
فاكس: 4871082
البريد الإلكتروني:
adv@yamamahmag.com

الوطن

أمن المملكة وسلامة أراضيها ومقدراتها مبدأ راسخ لا يقبل المساس..

مجلس الوزراء يدين استمرار اعتداءات الميليشيا الحوثية الإرهابية على الأعيان المدنية والمدنيين.

واس

رأس صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء -حفظه الله-، الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء أمس في جدة.

وفي بداية الجلسة؛ أطلع سمو ولي العهد مجلس الوزراء على مضمون الاتصال الهاتفي الذي تلقاه من دولة رئيس الوزراء في جمهورية باكستان الإسلامية محمد شهباز شريف، وعلى نتائج لقاء سموه قائد القيادة المركزية بالجيش الأمريكي الأدميرال براد كوبر، وما اشتملت عليه المحادثات مع الجانبين من استعراض مستجدات الأحداث الراهنة في المنطقة.

وأدان مجلس الوزراء بأشد العبارات استمرار الميليشيا الحوثية الإرهابية في اعتداءاتها الآثمة والمتعمدة على الأعيان المدنية والمدنيين في المملكة، مؤكدًا أن أمن هذه البلاد وسلامة أراضيها ومقدراتها مبدأ راسخ لا يقبل المساس، وحقها المشروع في الدفاع عن نفسها وحماية سيادتها ومواطنيها والمقيمين فيها ومصالحها الحيوية؛ وفقًا لميثاق الأمم المتحدة وأحكام القانون الدولي.

وأوضح معالي وزير الإعلام الأستاذ سلمان بن يوسف الدوسري، في بيانه لوكالة الأنباء السعودية عقب الجلسة، أن مجلس الوزراء تابع تطورات الأوضاع في المنطقة والعالم، والمساعي التي تبذلها المملكة العربية السعودية في سبيل ترسيخ الأمن والسلم؛ بالاعتماد على نهج الحوار في إدارة القضايا الدولية، والعمل على دعم آفاق التعاون مع المجتمع الدولي بهيئاته ومنظماته؛ بما يسهم في تعزيز المواجهة الجماعية للتحديات العالمية المشتركة.

وتناول مجلس الوزراء نتائج مشاركة المملكة -بصفتها دولة مدعوة- في القمة الثامنة عشرة لقادة دول مجموعة «بريكس» التي عقدت في العاصمة الهندية نيودلهي؛ وما تضمنت من تأكيد اهتمامها بتعزيز التواصل مع مختلف دول العالم حول مجالات التعاون المتبادل الذي يخدم التنمية والاستقرار والازدهار ويدعم قدرة منظومات العمل الدولي على أداء مسؤولياتها.

وتطرق المجلس إلى تأكيد المملكة في الدورة السبعين للمؤتمر العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية أنها رسخت على مدى عقود مكانتها مصدرًا موثوقًا للطاقة وشريكًا فاعلًا في استقرار أسواقها العالمية، بالتوازي مع المضي قدمًا في بناء مزيج وطني من مختلف مصادر الطاقة يكون أكثر تنوعًا واستدامة؛ من ذلك إضافة الطاقة النووية إلى هذا المزيج ضمن إطار تنظيمي راسخ يتوافق مع الالتزامات الدولية.

وبين معاليه أن مجلس الوزراء رحّب بالمشاركين في النسخة الرابعة لمنتدى اليونسكو العالمي لأخلاقيات الذكاء الاصطناعي الذي تستضيفه المملكة حاليًا؛ ضمن جهودها المتواصلة في دعم الحوار الدولي متعدد الأطراف حول التقنيات الناشئة، والالتزام الراسخ بتعزيز الاستخدام المسؤول والأخلاقي للذكاء

الاصطناعي وحماية القيم الإنسانية؛ لبناء مستقبل رقمي شامل ومستدام.

واطّلع مجلس الوزراء على الموضوعات المدرجة على جدول أعماله، من بينها موضوعات اشترك مجلس الشورى في دراستها، كما اطّلع على ما انتهى إليه كل من مجلسي الشؤون السياسية والأمنية، والشؤون الاقتصادية والتنمية، واللجنة العامة لمجلس الوزراء، وهيئة الخبراء بمجلس الوزراء في شأنها، وقد انتهى المجلس إلى ما يلي:

أولًا: تفويض معالي وزير الاستثمار -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب الإيرلندي في شأن مشروع مذكرة تفاهم بين حكومة المملكة العربية السعودية وحكومة إيرلندا للتعاون في مجال تشجيع الاستثمار المباشر، والتوقيع عليه.

ثانيًا: الموافقة على اتفاقية مقر بين حكومة المملكة العربية السعودية والمعهد الدولي للمراجعين الداخليين.

ثالثًا: الموافقة على مذكرة تفاهم بين وزارة الصناعة والثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية ووزارة الصناعة والبناء في جمهورية كازاخستان في مجال الثروة المعدنية.

رابعًا: تفويض صاحب السمو الملكي رئيس مجلس أمناء مكتبة الملك فهد الوطنية -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب البحريني في شأن مشروع مذكرة تفاهم للتعاون بين المكتبة ومركز البحرين للدراسات الإستراتيجية والدولية والطاقة، والتوقيع عليه.

خامسًا: تفويض معالي رئيس مجلس إدارة هيئة التأمين -أو من ينيبه- بالتباحث مع الجانب الكويتي في شأن مشروع مذكرة تفاهم بين الهيئة ووحدة تنظيم التأمين في دولة الكويت بشأن التعاون وتبادل المعلومات في مجال التأمين وإعادة التأمين، والتوقيع عليه.

سادسًا: الموافقة على الإستراتيجية الوطنية لريادة الأعمال والمنشآت الصغيرة والمتوسطة.

سابعًا: الموافقة على ضم وزارة الاستثمار إلى عضوية اللجنة الدائمة لمكافحة غسل الأموال.

ثامنًا: اعتماد الحساب الختامي لجامعة الملك عبدالعزيز لعام مالي سابق.

تاسعًا: التوجيه بما يلزم بشأن عدد من الموضوعات المدرجة على جدول أعمال مجلس الوزراء، من بينها تقارير سنوية لهيئة كفاءة الإنفاق والمشروعات الحكومية، والرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومركز الإقامة المميزة، والمركز الوطني للنخيل والتمور.

عاشرًا: الموافقة على ترقية محمد بن علي الشهري إلى وظيفة (مدير عام) بالمرتبة (الرابعة عشرة) بوزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية.

رأي اليمامة

اثنا عشر عامًا من التحول.

عشية الذكرى الثانية عشرة لبيعة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله، كانت المملكة على موعد مع الإعلان عن الدورة الجديدة من معرض الرياض الدولي للكتاب. قد يبدو الإعلان، في ظاهره، خبرا ثقافيا عاديا، غير أن تزامنه مع ذكرى البيعة يحمل دلالة لافتة، خصوصا أن معرض الرياض ارتبط منذ بداياته بعلاقة وثيقة بالملك سلمان، الذي رافق مسيرته أميرا للرياض، وظل داعما لتحولات المشهد الثقافي حتى عهده ملكا.

ومن معرض الكتاب يمكن التقاط جانب من التحول الذي شهدته المملكة خلال هذه الأعوام، فالكتاب الذي ظل حاضرا في علاقة الملك سلمان بالمعرفة والتاريخ، أصبح اليوم جزءا من مشهد ثقافي عريض تتعدد فيه المؤسسات والمعارض والمنصات. واتسعت العناية باللغة العربية، وتنامت حركة النشر والترجمة، وتنوعت الفنون لتشمل السينما والموسيقى والمسرح والفنون البصرية. ولم يعد التراث مجرد استعادة للماضي، بل تحول إلى عنصر في تشكيل المكان، وتعريف الأجيال بتاريخها، وتقديم السعودية إلى العالم.

غير أن الثقافة لم تكن مسارا منفصلا عن بقية التحولات؛ فقد اتسع الاقتصاد وتنوعت روافده، وتسارعت وتيرة تطوير البنية التحتية والمدن، وتقدمت التقنية لتغدو ركيزة في الحياة اليومية والعمل والخدمات الحكومية، فيما برزت السياحة قطاعا اقتصاديًا وثقافيًا، واستعاد التراث الوطني والمواقع التاريخية حضورها ضمن المشهد التنموي. وهي مسارات متداخلة تكشف عن تحول أوسع في علاقة الإنسان بالمكان، وفي طبيعة الفرص التي تتيحها التنمية.

لهذا تبدو ذكرى البيعة، بعد اثني عشر عاما، مناسبة للنظر إلى المسار في شموليته، لا إلى محطاته منفردة. فالمشروعات والمؤسسات ليست إلا الوجه المرئي لتحول أعمق، يوسع إمكانات المملكة في اقتصادها ومدنها وثقافتها ومجتمعها، مع الحفاظ على صلتها بتاريخها وهويتها.

وما تحقق خلال هذه الأعوام أسس لمسارات جديدة يتواصل تشكلها اليوم، مسارات تتجاور فيها التنمية مع المعرفة، والثقافة مع التقنية، والإنسان مع المكان، لتتحدد ملامح المرحلة المقبلة بما يبنى اليوم بإرادة وثبات.

اليمامة

ولي العهد يلتقي السيسي ويعقدان لقاءً ثنائيًا وجلسة مباحثات موسعة.

واس

التقى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء أمس، فخامة الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية، وذلك في قصر الاتحادية بالعاصمة المصرية القاهرة.

وعقد سمو ولي العهد وفخامة رئيس جمهورية مصر العربية، لقاءً ثنائيًا، وجلسة مباحثات موسعة.

ورحب فخامته بسمو ولي العهد في بلده الثاني مصر، فيما عبر سموه عن الشكر على الحفاوة وحسن الاستقبال التي حظي بها ومرافقوه.

وقد جرى استعراض العلاقات الثنائية الإستراتيجية بين البلدين الشقيقين والسبل الكفيلة بتطويرها، في مختلف المجالات، إلى جانب بحث عدد من الموضوعات على الساحتين العربية والإسلامية، وتطورات الأحداث في منطقة الشرق الأوسط، خاصة مناقشة الملفات المتعلقة بأمن واستقرار المنطقة بما يشمل أمن وحرية الملاحة البحرية، وتنسيق الجهود بشأنها.

حضر اللقاء صاحب السمو الأمير فيصل بن فرحان بن عبدالله وزير الخارجية، ومعالي وزير الدولة عضو مجلس الوزراء مستشار الأمن الوطني الدكتور مساعد بن محمد العيبان، ومعالي وزير الدولة عضو مجلس الوزراء لشؤون مجلس الشورى الدكتور عصام بن سعد بن سعيد، ومعالي سكرتير سمو ولي العهد الدكتور بندر بن عبيد الرشيد.

فيما حضر من الجانب المصري معالي وزير الخارجية والتعاون الدولي والمصريين بالخارج الدكتور بدر عبدالعاطي، ورئيس المخابرات العامة اللواء حسن رشاد، ومدير مكتب رئيس الجمهورية السيد عمر مروان، والمتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية السفير محمد الشناوي.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء، وصل إلى العاصمة المصرية القاهرة اليوم، في زيارة عمل.

وكان في مقدمة مستقبلي سمو ولي العهد في مطار القاهرة الدولي، فخامة الرئيس عبدالفتاح السيسي رئيس جمهورية مصر العربية.

وكان قد صدر عن الديوان الملكي أمس البيان التالي:

" بيان من الديوان الملكي "

بناءً على توجيه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله -، غادر بحفظ الله ورعايته صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد رئيس مجلس الوزراء اليوم الثلاثاء 1448/4/4 هـ الموافق 2026/9/15م متوجهًا إلى جمهورية مصر العربية الشقيقة في زيارة عمل يلتقي خلالها بفخامة الرئيس المصري/ عبدالفتاح السيسي؛ لبحث سبل تعزيز العلاقات الثنائية الأخوية، والقضايا ذات الاهتمام المشترك.

حفظ الله سموه في سفره وإقامته.

قيادة القوات المشتركة للتحالف:

قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي دمّرت طائرة مسيّرة حاولت دخول المجال الجوي لمكة المكرمة.

واس

صرّح المتحدث الرسمي باسم قوات التحالف «تحالف دعم الشرعية في اليمن» اللواء الركن تركي المالكي بأنه عند الساعة (18:50) من مساء أنس الثلاثاء الموافق (15 سبتمبر 2026م) تمكنت قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي من اعتراض وتدمير طائرة مسيّرة معادية أطلقتها الميليشيا الحوثية الإرهابية قبل دخولها المجال الجوي المحظور (PROHIPITED AREA) للعاصمة المقدسة «مكة المكرمة»، وتم اعتراض المسيّرة المعادية في جنوب مدينة مكة المكرمة.

وبيّن اللواء المالكي أن هذه المحاولة العدائية والإرهابية تعد المحاولة الثانية لاستهداف مكة المكرمة بعد محاولتها الأولى بإطلاق صاروخ باليستي بتاريخ (27 يوليو 2017م)، ولا يمكن وصف ذلك إلا بالعمل المشين في محاولة استهداف مهبط الوحي وأرض الرسالة ومهوى أفئدة الملايين من المسلمين من شتى الدول، ومحاولة لترويع الآمنين من ضيوف بيت اللّهّ الحرام والإضرار بالمواطنين والمقيمين، كما أن هذه المحاولة العدائية ستبقى وصمةً سوداء في سجل انتهاكات الميليشيا الحوثية الإرهابية المتطرفة باعتبارها فعلًا متعمدًا لاستثارة مشاعر ملايين المسلمين.

وأكد اللواء المالكي أن أمن الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن خط أحمر، مؤكدًا أن قيادة القوات المشتركة للتحالف لن تتردد في اتخاذ الإجراءات اللازمة والرادعة تجاه الميليشيا الحوثية الإرهابية وسلوكها العدائي والإرهابي.

خبر صحفي

قيادة القوات المشتركة للتحالف: قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي اعترضت ودمرت طائرة مسيّرة حاولت دخول المجال الجوي للعاصمة المقدسة (مكة المكرمة)

صرّح المتحدث الرسمي باسم قوات التحالف "تحالف دعم الشرعية في اليمن" اللواء الركن تركي المالكي أنه عند الساعة (18:50) من مساء يوم الثلاثاء الموافق (15 سبتمبر 2026م) تمكنت قوات الدفاع الجوي الملكي السعودي من اعتراض وتدمير طائرة مسيّرة معادية أطلقتها الميليشيا الحوثية الإرهابية قبل دخولها المجال الجوي المحظور (PROHIPITED AREA) للعاصمة المقدسة "مكة المكرمة"، وتم اعتراض المسيّرة المعادية في جنوب مدينة مكة المكرمة.

وبيّن اللواء المالكي أن هذه المحاولة العدائية والإرهابية تعد المحاولة الثانية لاستهداف مكة المكرمة بعد محاولتها الأولى بإطلاق صاروخ باليستي بتاريخ (27 يوليو 2017م)، ولا يمكن وصف ذلك إلا بالعمل المشين في محاولة استهداف مهبط الوحي وأرض الرسالة ومهوى أفئدة الملايين من المسلمين من شتى الدول، ومحاولة لترويع الآمنين من ضيوف بيت الله الحرام والإضرار بالمواطنين والمقيمين، كما أن هذه المحاولة العدائية ستبقى وصمة سوداء في سجل انتهاكات الميليشيا الحوثية الإرهابية المتطرفة باعتبارها فعلًا متعمدًا لاستثارة مشاعر ملايين المسلمين.

وأكد اللواء المالكي أن أمن الحرمين الشريفين وضيوف الرحمن خط أحمر، مؤكدًا على أن قيادة القوات المشتركة للتحالف لن تتردد في اتخاذ الإجراءات اللازمة والرادعة تجاه الميليشيا الحوثية الإرهابية وسلوكها العدائي والإرهابي.

- انتهى -

القوات المسلحة السعودية درع حصين
لحماية قبلة المسلمين..

استهداف الحوثي لمكة المكرمة استثارة لمشاعر المسلمين وتجاوز لحرمة المقدسات.

اليمامة- خاص

لم يعد التصعيد الحوثي تجاه المملكة العربية السعودية مجرد فصل آخر من فصول الحرب الممتدة في اليمن، بعد أن اتجهت استهدافاته نحو منطقة مكة المكرمة، وقبلها طالت تهديدات أذرع إيرانية مسلحة المدينة المنورة. فإدخال المدينتين المقدستين في نطاق العمليات يرفع مستوى الخطر من استهداف المملكة وأمنها إلى تهديد مباشر لمقدسات المسلمين، ويمنح التصعيد دلالة تتجاوز الحسابات العسكرية والسياسية للصراع.

استهداف القبلة

إن توجيه السلاح نحو مكة المكرمة ليس عملًا عسكريًا عابرًا؛ فمكة قبلة المسلمين، والمساس بأمنها يعني المساس برمز ديني تتجه إليه أفئدة المسلمين في صلواتهم، ويقصده ملايينهم كل عام. ومن هذه الزاوية، لا يمكن النظر إلى التهديد باعتباره اعتداءً على المملكة وحدها، وإنما باعتباره اعتداءً يمس أمن مقدسات الأمة الإسلامية وسلامة قاصديها.

ويكشف هذا السلوك في الوقت نفسه حدود الشعارات التي ترفعها الميليشيا الحوثية في خطابها السياسي. فالجماعة التي تجعل من نصرة الإسلام والدفاع عن القدس جزءًا من خطابها، تجد نفسها وهي توجه سلاحها نحو مكة، أو تسمح بأن تصبح منطقة الحرمين ضمن نطاق تهديداتها. وبين الخطاب والممارسة تتكشف حقيقة المشروع الذي يستخدم الشعارات الدينية عندما تخدم أهدافه، ويتجاهل حرمة المقدسات عندما تتعارض مع حساباته.

من الحوثي إلى طهران

ولا يمكن فصل القدرات العسكرية التي يمتلكها الحوثيون عن سياق الدعم الإيراني الذي مكّن الميليشيا من تطوير منظومة صاروخية وطائرات مسيّرة ذات مدى بعيد. فالخطر لم يعد محصورًا في الساحة اليمنية، وإنما أصبح يمتد إلى المدن والمنشآت الحيوية داخل المملكة، ويقترب من نطاق مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهنا يصبح السؤال أكبر من حدود الهجوم نفسه: ما الذي يعنيه استمرار تمكين ميليشيا مسلحة من قدرات تجعلها قادرة على تهديد مدن ومناطق يقصدها ملايين المسلمين؟

لقد أثبت التصعيد أن السلاح الذي يُقدَّم تحت عناوين الصراع في اليمن يمكن أن يتحول إلى أداة لتهديد أمن المملكة، وأن استمرار تدفق الصواريخ والطائرات المسيّرة والخبرات المرتبطة بها يوسع دائرة الخطر بدل أن يحصرها.

ولا يأتي التهديد الذي تعرضت له المدينة المنورة بمعزل عن هذا السياق. فقد سبق أن امتدت تهديدات أذرع إيرانية مسلحة إلى محيط المدينة، بما يضع مكة والمدينة في صورة واحدة: مقدسات ومدن ذات مكانة استثنائية أصبحت معرضة لتداعيات صراع إقليمي تستخدم فيه الميليشيات كأدوات للضغط والمواجهة. ولهذا فإن التعامل مع هذه الاعتداءات باعتبارها حوادث منفصلة يقلل من خطورتها الحقيقية. فالمسألة تتصل بنمط من استخدام القوة العابرة للحدود، وبامتلاك جماعات مسلحة قدرات لا تتناسب مع طبيعتها ولا مع حدود ساحتها الأصلية.

المملكة.. حماية الحرمين

في مواجهة ذلك، تقف المملكة العربية السعودية أمام مسؤولية تتجاوز حماية حدودها ومواطنيها ومنشآتها؛ فهي مسؤولة عن حماية مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعن أمن ملايين المسلمين الذين يقصدون الحرمين الشريفين من مختلف أنحاء العالم. وقد أثبتت جاهزية القوات المسلحة السعودية ومنظومات الدفاع قدرتها على التعامل مع التهديدات الجوية وإحباطها قبل وصولها إلى أهدافها. وهذه الجاهزية لا تنفصل عن منظومة أمنية شاملة تنظر إلى حماية الحرمين باعتبارها أولوية ثابتة، لا مجال للمساومة عليها.

ومن الطبيعي أن تتحرك المملكة بحزم أمام أي محاولة للمساس بأمن الحرمين أو تعريض قاصديهما للخطر. فحماية مكة والمدينة ليست قضية ظرفية تفرضها تطورات الصراع، وإنما مسؤولية راسخة تتصل بمكانة المملكة ودورها في خدمة الحرمين الشريفين.

المسؤولية الإسلامية والدولية

ومع ذلك، فإن حماية المقدسات لا ينبغي أن تبقى مسؤولية المملكة وحدها في مواجهة الخطر. فالدول الإسلامية معنية، قبل غيرها، بإعلان موقف واضح من أي محاولة لإدخال مكة المكرمة والمدينة المنورة في دائرة الصراع، كما أن المجتمع الدولي معني بمنع الجماعات المسلحة من امتلاك القدرات التي تمكنها من تهديد المدن والمنشآت والمناطق ذات الحساسية الدينية والإنسانية.

والتعامل مع هذه المسألة لا ينبغي أن يبدأ بعد إطلاق الصاروخ أو تحليق المسيّرة، بل من مصادر القدرة التي تقف وراءهما: التمويل والتسليح ونقل الخبرات والتقنيات.

فكلما اتسعت قدرة الميليشيات على امتلاك أسلحة بعيدة المدى، اتسعت معها احتمالات التصعيد، وأصبح أمن المنطقة بأكملها رهينة لجماعات لا تتحمل مسؤولية دولة ولا تلتزم بقيودها.

خط أحمر

إن الوصول إلى نطاق مكة المكرمة لا يغير طبيعة الصراع فحسب، وإنما يكشف إلى أي مدى يمكن أن تذهب مشاريع توظيف الميليشيات في الصراعات الإقليمية. فمكة المكرمة والمدينة المنورة ليستا ورقتين سياسيتين، ولا هدفين عسكريين، ولا مجالًا لاختبار موازين القوى.

ومن هنا فإن الرسالة السعودية واضحة: أمن الحرمين الشريفين خط أحمر، وأي محاولة للمساس به ستواجه بالقدرة اللازمة لحماية المقدسات وأمن قاصديها.

أما الرسالة الأوسع، فهي أن ترك الميليشيات المسلحة تتوسع في امتلاك الصواريخ والطائرات المسيّرة لن يبقي الخطر داخل حدود الصراع الذي نشأت فيه. فالسلاح الذي يتجاوز الحدود قد يصل، في لحظة ما، إلى حيث ينبغي ألا يصل أي سلاح: إلى جوار مقدسات المسلمين

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

الذكرى الثانية عشرة للبيعة ..

عهد المعرفة والثقافة.

اليمامة- خاص

على مدى اثني عشر عامًا، شهدت الثقافة السعودية حضورًا متزايدًا في المشهد العام، وتوسعت مؤسساتها ومشروعاتها ومساحات حضورها، من الكتاب والمعارض إلى التاريخ والذاكرة، ومن اللغة إلى المؤسسات العلمية والمعرفية.

ويقف وراء هذا المشهد عهدٌ أُعطيت فيه الثقافة والمعرفة مساحة واضحة في مسيرة الدولة، في ظل اهتمام الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله بالكتاب والقراءة والتاريخ، وقربه من المثقفين والمؤرخين، وإيمانه بأن الوعي والمعرفة .

من مقومات بناء الإنسان والمجتمع.

ولم يبق هذا الاهتمام في حدود العلاقة الشخصية بالكتاب، أو في صورة رعاية مناسبة ثقافية هنا أو مشروع معرفي هناك، وإنما اتخذ عبر السنوات صورًا مؤسسية متعددة؛ فالمعرض تحول إلى منصة ثقافية واسعة، والتاريخ وجد في مؤسسات التوثيق والبحث مجالًا أرحب، وأصبحت المكتبة والمتحف جزءًا من مشاريع حفظ الذاكرة، فيما انتقلت العناية باللغة العربية إلى مجالات التخطيط والسياسات والحوسبة والذكاء الاصطناعي، وتأسس مجمع متخصص لخدمة الحديث النبوي وعلومه.

بهذا المعنى، تبدو الثقافة في عهد الملك سلمان أكثر من نشاط ثقافي متفرق؛ إنها مسارات متعددة للمعرفة، تتقاطع في العناية بالكتاب، وحفظ التاريخ، وصون الذاكرة، وخدمة اللغة والمصادر، وإتاحة المعرفة للأجيال.

وتقدم علاقة الملك سلمان بالكتاب مدخلًا مناسبًا لقراءة هذا المشهد؛ فالكتاب ظل حاضرًا في اهتمامه منذ سنوات مبكرة، فيما اتسعت الدائرة مع الزمن من القارئ إلى المكتبة، ومن الكتاب إلى معرض الكتاب، ومن التاريخ إلى الوثيقة والمتحف، وصولًا إلى مؤسسات معرفية تحمل اسمه وتعمل في مجالات متخصصة.

معرض الرياض الدولي للكتاب

يأتي معرض الرياض الدولي للكتاب في مقدمة الشواهد على اتساع حضور المعرفة في المجال العام. فقد بدأت علاقة الملك سلمان بالمعرض في وقت مبكر، عندما كان أميرًا لمنطقة الرياض، واستمرت رعايته له عبر مراحل مختلفة من مسيرته العامة.

وتكشف مسيرة المعرض، في الوقت نفسه، عن تحول أوسع في المشهد الثقافي السعودي. فمن فعالية بدأت في نطاق محدود، تطور المعرض على مدى عقود إلى موعد ثقافي دولي يستقطب دور النشر والقراء والكتاب والمثقفين، ويجمع إلى جانب بيع الكتب برنامجًا واسعًا من الندوات والحوارات والفعاليات الثقافية والفنية. وفي الدورات الحديثة اتسع حضوره بصورة لافتة؛ ففي دورة 2021 شاركت أكثر من ألف دار نشر من 28 دولة، وتجاوز عدد الزوار 900 ألف، وشهدت الدورة إطلاق مؤتمر الناشرين الدولي في المملكة. وفي 2023 تجاوز عدد دور النشر المشاركة 1800 دار من أكثر من 32 دولة، وتجاوز عدد الزوار المليون، فيما شارك في دورة 2024 أكثر من 2000 دار نشر ووكالة من أكثر من 30 دولة، وتجاوز عدد الزوار المليون أيضًا.

وفي هذا التحول، لم يعد الكتاب مادة للقراءة والاقتناء فقط، وإنما أصبح مدخلًا

إلى الحوار الثقافي، ووسيلة للقاء بين القارئ والكاتب والناشر، ومساحة تتيح للجمهور الاطلاع على اتجاهات الفكر والأدب والمعرفة.

وقد جاء الإعلان عن موعد الدورة المقبلة، المقرر إقامتها في الرياض من 10 إلى 19 ديسمبر 2026، ليؤكد استقرار المعرض بوصفه أحد المواعيد الثقافية الكبرى في المملكة.

دارة الملك عبدالعزيز

وإذا كان معرض الكتاب يعكس المعرفة وهي تتجه إلى المجتمع، فإن التاريخ يكشف جانبًا آخر من علاقة الملك سلمان بالمعرفة: الاهتمام بالمصادر التي تحفظ ذاكرة المكان والدولة والمجتمع.

ارتبط اسم الملك سلمان منذ سنوات طويلة بالتاريخ السعودي وبالمؤرخين والباحثين، وبدارة الملك عبدالعزيز، التي تولت جمع الوثائق والمصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ المملكة وتراثها، وتوثيقها ودراستها وإتاحتها للباحثين.

وتكتسب هذه العناية أهميتها من طبيعة المادة التاريخية نفسها؛ فالوثيقة لا تكتسب قيمتها بمجرد بقائها، وإنما تحتاج إلى الحفظ والتصنيف والتوثيق والدراسة، والرواية الشفوية تحتاج إلى تسجيل، والصورة والمخطوط والسجل تحتاج إلى سياق يتيح فهمها والإفادة منها.

ولهذا فإن المؤسسات التاريخية لا تعمل على استعادة الماضي فحسب، وإنما تنشئ مصادر يمكن العودة إليها لفهم الحاضر ودراسة التحولات التي مرت بها البلاد.

وفي هذا السياق، يمثل الاهتمام بالتاريخ امتدادًا طبيعيًا للاهتمام بالكتاب؛ فالكتاب يحمل المعرفة، والوثيقة تحفظ الشاهد، والمؤسسة تجمع المواد وتوثقها وتتيحها.

مجمع الملك سلمان العالمي للغة

ويعمل مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية على تعزيز حضور العربية إقليميًا وعالميًا، وتطوير البحث والدراسات والسياسات اللغوية، إلى جانب التعليم والثقافة والحوسبة اللغوية.

وتشمل مجالات عمله أربعة مسارات رئيسة: التخطيط والسياسات اللغوية، والحوسبة اللغوية، والتعليم والتعلم، والثقافة اللغوية. كما يعمل على بناء المدونات والمعاجم، ووضع المعايير والسياسات اللغوية، وتطوير تقنيات معالجة اللغة العربية، وتعزيز تعليمها ونشر ثقافتها.

وهذا المسار يضع اللغة في سياق يتجاوز المحافظة على الموروث إلى التعامل مع التحولات التي تفرضها البيئة الرقمية.

وفي عام 2026 أقر مجلس الوزراء السياسة الوطنية للغة العربية في المملكة العربية السعودية، التي أُعدت ضمن اختصاص المجمع، وتستهدف تعزيز حضور العربية في التعليم والبحث العلمي والإعلام والأعمال، إلى جانب المجالات الدولية والثقافية والفنية.

وبذلك أصبحت العناية باللغة مرتبطة أيضًا بأسئلة التعليم والتقنية والسياسات العامة، وبقدرة العربية على مواصلة حضورها في بيئات المعرفة الجديدة.

مجمع الملك سلمان للحديث النبوي

وفي مجال معرفي متخصص، يأتي مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود للحديث النبوي الشريف، الذي أنشئ في المدينة المنورة عام 2017.

ويختص المجمع بخدمة السنة النبوية وعلومها، من خلال جمع الأحاديث وتصنيفها وتحقيقها ودراستها وتوثيقها ونشرها، إلى جانب إعداد الأعمال المرجعية ذات الصلة.

وتختلف طبيعة هذا العمل عن المعرض والمكتبة والمتحف، لكنه يلتقي معها في مبدأ أساسي: حفظ المصدر وإتاحته على أساس علمي موثوق.

فالمعرفة لا تكتمل بجمع مادتها، وإنما تحتاج إلى التحقق منها ودراستها وتصنيفها، ثم تقديمها بصورة تمكن الباحث والمتخصص والقارئ من الإفادة منها. ومن هنا يضيف المجمع مجالًا آخر إلى خريطة المؤسسات المعرفية التي ارتبطت باسم الملك سلمان، فيتسع المشهد من الكتاب والتاريخ والذاكرة واللغة إلى خدمة السنة النبوية وعلومها.

مؤسسة الملك سلمان غير الربحية

تجمع مؤسسة الملك سلمان غير الربحية جانبًا من هذه المشروعات تحت إطار مؤسسي أوسع. وتعرّف المؤسسة نفسها بوصفها امتدادًا لمسيرة الملك سلمان في العمل غير الربحي، وتضع المعرفة والتاريخ والثقافة ضمن محاورها، إلى جانب مجالات تتصل بالمجتمع والتنمية والتوسع الحضري.

وتضم مراكزها الثقافية مكتبة الملك سلمان ومتحف الملك سلمان في مشروع بوابة الدرعية، إضافة إلى متحف المجتمع السعودي في مشروع حديقة الملك سلمان.

وتكمن أهمية هذا الإطار في أنه ينقل الحديث عن المعرفة من المبادرات المنفردة إلى مفهوم الاستدامة؛ فالمؤسسة الثقافية لا تقاس فقط بما تقدمه في لحظة معينة، وإنما بقدرتها على مواصلة العمل وحفظ المواد والخبرات وإتاحتها لأجيال متعاقبة.

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

وضع الملك سلمان التراث في قلب المشروع الوطني

ذاكرة المكان تستعيد حضورها..

كيف أعاد عهد الملك سلمان اكتشاف المدن التاريخية والمواقع الأثرية؟

اليمامة - خاص

لم تكن المدن التاريخية والمواقع الأثرية في المملكة غائبة عن الجغرافيا، لكنها بقيت، في مراحل طويلة، أقرب إلى ذاكرة السكان واهتمام الباحثين منها إلى الحياة العامة. كانت البيوت القديمة، والنقوش، ومسارات القوافل، والقرى الطينية تحتفظ بحكاياتها في صمت، تنتظر من يعيد قراءتها، ويحفظ تفاصيلها، ويمنحها حضورًا جديدًا في وجدان المجتمع.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز (حفظه الله)، دخلت العناية بالتاريخ الوطني مرحلة أكثر اتساعًا؛ امتدت من حماية الأثر وترميمه إلى البحث والتنقيب، وإعادة تأهيل المدن التاريخية، وفتحها أمام الزائر، وربطها بالثقافة والتعليم والتنمية. وهو امتداد لعناية الملك سلمان بالتاريخ والهوية العمرانية منذ عقود، تجلّت مبكرًا في اهتمامه بالدرعية ومدينة الرياض ومعالمها التاريخية، ثم اكتسبت أبعادًا أوسع في ظل رؤية المملكة 2030، بقيادة سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان.

من الدرعية إلى العلا، ومن جدة التاريخية إلى حِمى والفاو، لم يعد المكان القديم شاهدًا على زمن مضى فحسب، بل أصبح مدخلًا لفهم أعمق لتاريخ المملكة، ومكوّنًا من مكونات صورتها المعاصرة. فكيف أعاد عهد الملك سلمان اكتشاف هذه الأمكنة؟ وما الذي تغير في علاقتها بالمجتمع؟ وكيف يمكن إحياء الذاكرة من دون أن يفقد المكان أصالته وروحه؟

صون يتجاوز الحجر

لم تعد حماية التراث في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز

الملك سلمان يتابع مشروعات الدرعية في العام ١٤٠١هـ

تقف عند حدود ترميم المباني أو تسجيل المواقع، بل اتسعت لتشمل قصة المكان ومجتمعه ومستقبله، وتربط الذاكرة الوطنية بالتنمية والثقافة. من هذا المنطلق، يرى الأستاذ الدكتور عبدالناصر بن عبدالرحمن الزهراني، أستاذ الترميم والصيانة بكلية السياحة والآثار في جامعة الملك سعود، أن المملكة شهدت تحولًا نوعيًا من جهود الحفظ المنفردة إلى منظومة وطنية متكاملة.

ويشير الزهراني إلى أن هذا التحول تجسد في إنشاء وزارة الثقافة وهيئة التراث، وتطوير الأنظمة والاستراتيجيات، والتوسع في حصر المواقع التاريخية وتسجيلها وتوثيقها وحمايتها وتأهيلها. كما اتسع المفهوم ليشمل التراث العمراني الحديث، وأصبحت العناية بالموقع تمتد إلى إدارته وتفسيره وإعادة استخدامه والاستفادة منه ثقافيًا وسياحيًا، ضمن مستهدفات رؤية المملكة 2030. ويؤكد أن من أبرز سمات هذه المرحلة إعادة التراث إلى حياة المجتمع، ليغدو الموقع التاريخي فضاءً للتعلم والزيارة وتعزيز الانتماء، لا شاهدًا معزولًا على الماضي، مع المحافظة على أصالته وقيمته التاريخية للأجيال المقبلة.

ويوضح أن التعامل مع الموقع بوصفه منظومة متكاملة يبدأ بالبحث والحصر والمسح والتوثيق، ودراسة مواد البناء ومظاهر التلف، إلى جانب قيمه التاريخية والمعمارية والاجتماعية، ثم ينتقل إلى الحماية والترميم والتأهيل والتشغيل والصيانة المستمرة. وقد تطورت أدوات التوثيق من الصور والوصف التقليدي إلى المسح الليزري والتقنيات الرقمية، ما يتيح فهم حالة الموقع ومراقبة تغيراتها بدقة أكبر. ويضيف أن الموقع بعد ترميمه لم يعد مكانًا صامتًا، بل أصبح جزءًا من حياة المجتمع عبر التفسير الثقافي، وتحسين تجربة الزائر، وإعادة الاستخدام الملائم. وهكذا انتقل مفهوم الحفاظ من "ترميم الحجر" إلى "إدارة قيمة المكان"؛ فأصبح الترميم مرحلة في حياة الموقع لا نهاية المشروع، وغدت استدامته وأصالته واستمرار صيانته معايير حقيقية للنجاح.

ويشدد الزهراني على أن أولوية المرحلة المقبلة تتمثل في ضمان استدامة المواقع على المدى الطويل، من خلال الصيانة الوقائية والمراقبة الدورية، والاستفادة من المسح ثلاثي الأبعاد لرصد مظاهر التلف قبل تفاقمها. كما يبقى الإنسان أساس الحماية، عبر تأهيل المتخصصين السعوديين، والمحافظة على خبرات الحرفيين التقليديين، ونقلها إلى الأجيال الجديدة. ويلفت إلى أن إشراك المجتمع المحلي في حماية المواقع وتوثيق ذاكرتها يعزز ارتباط الناس بتراثهم ومسؤوليتهم تجاهه، ويمنح جهود الصون امتدادًا يتجاوز عمل المؤسسات والمتخصصين. وينبغي كذلك أن تتم إعادة الاستخدام والاستثمار بحذر، بحيث يتكيف النشاط الجديد مع قيمة المبنى وأصالته، لا أن يُخضع المكان لمتطلباته. ويخلص إلى أن المهمة لا تتمثل في حماية الحجر وحده، بل

في صون قصة المكان وذاكرته؛ حتى ترث الأجيال المقبلة موقعًا محفوظًا، وقصة موثقة، وذاكرة وطنية حية.

مدن تستعيد الحياة

لا تستعيد المدن التاريخية حضورها بترميم جدرانها وواجهاتها وحدها، وإنما بقدرتها على العودة إلى الحياة والاندماج في محيطها، مع الحفاظ على قيمها الاجتماعية والثقافية والعمرانية. وفي هذا السياق، يرى الأستاذ الدكتور وليد الزامل، أستاذ التخطيط العمراني بجامعة الملك سعود، أن الاهتمام بالمدن التاريخية والمواقع التراثية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز اتخذ مسارًا واضحًا، تدعمه مستهدفات رؤية المملكة 2030 في ترسيخ الهوية الوطنية والاعتزاز بالانتماء والثقافة المحلية.

ويربط الزامل هذا التوجه بمحاور الرؤية الثلاثة: مجتمع حيوي، واقتصاد مزدهر، ووطن طموح؛ إذ يمكن للتراث العمراني أن يعزز انتماء المجتمع إلى وطنه، ويربطه بتاريخه، ويمنح المكان قيمة ثقافية واقتصادية متجددة. ويشير إلى أن هذا الاهتمام انعكس في اتساع تسجيل المواقع التراثية عالميًا، وتنفيذ مشروعات الحفاظ والتأهيل في حي الطريف، وجدة التاريخية، والقصور والمباني التاريخية وسط الرياض، إلى جانب مشروع الأمير محمد بن سلمان لتطوير المساجد التاريخية. كما يمثل تطوير العلا نموذجًا بارزًا لتحويل المكان إلى وجهة عالمية تجمع التراث والثقافة والسياحة، فيما توضح تجربتا قرية ذي عين ورجال ألمع كيف يمكن ربط المباني التراثية ببيئتها الطبيعية ومجتمعها المحلي، وخلق فرص اقتصادية لأهلها.

ويؤكد الزامل أن المعيار الأهم لنجاح الإحياء هو إدراك قيمة المكان وربطه بسياقه الحضري؛ فلا يمكن الحفاظ على منطقة تاريخية وهي معزولة عن محيطها، أو يصعب الوصول إليها، أو تفتقر إلى المرافق والخدمات. وقد أخفقت تجارب عالمية

الملك سلمان يرعى حفل تدشين بوابة الدرعية

د. عبد الناصر الزهراني: هذه المرحلة أعادت التراث إلى حياة المجتمع .

د. وليد الزامل: اهتمام الملك سلمان بالمواقع التاريخية اتخذ مساراً واضحاً.

د. ياسر الهياجي: حضور المواقع الأثرية في «اليونسكو» دشّن مرحلة «تدويل التراث السعودي».

د. محمد مشاري النعيم: المدن التاريخية أصبحت جزءاً من فهمنا لهويتنا.

جانب من زيارة خادم الحرمين الشريفين للقرية التراثية بالغاط

حين اكتفت بتأهيل البنية المادية، من دون مراعاة أثر المكان في المجتمع والبيئة والاقتصاد، فتحولت المواقع إلى متاحف معزولة تستنزف التمويل ولا تحقق حياة حقيقية أو عوائد مستدامة.

ويضيف أن استدامة الإحياء تتطلب إبراز القيم الاجتماعية والثقافية بالتوازي مع توفير فرص العمل والاستثمار، وإشراك السكان في التخطيط والتنفيذ والتقييم، فضلًا عن تسهيل الوصول وتوفير البنية التحتية المساندة. فهذه المشاركة تمنح المشروع قبولًا اجتماعيًا، وتدفع الأهالي إلى حماية المكان بوصفه جزءًا من حياتهم ومصدرًا مستدامًا لفرصهم. فالمدينة القديمة تبقى حية عندما يستمر فيها السكن والعمل والتجارة والخدمات، ولا تتحول إلى متحف خالٍ من السكان.

ويلفت الزامل إلى أهمية الحفاظ على التنوع الاجتماعي ودعم استقرار الأهالي من خلال مصادر دخل تتناسب مع خبراتهم، خصوصًا الحرف اليدوية والصناعات التقليدية، مع تطويرها بما يواكب التحولات الاقتصادية. كما يسهم دعم الأسر المنتجة وتسويق منتجاتها في إيجاد نشاط اقتصادي دائم يتجاوز المواسم السياحية. ويخلص إلى أن الحفاظ على روح المكان لا يعني صيانة الواجهات وحدها، بل صون التجربة الاجتماعية بما تشمله من أسواق وعادات وصناعات وثقافة محلية؛ فالمدينة التاريخية المستدامة هي التي تحفظ ماضيها، وتستجيب لحاضرها، وتظل قادرة على إنتاج الحياة لأجيالها المقبلة.

من الحفظ إلى الإحياء

لم يعد التراث في المملكة مجرد شواهد محفوظة على الماضي، بل أصبح عنصرًا فاعلًا في المشروع الوطني، تتصل من خلاله الذاكرة بالتنمية. ومن هذا المنطلق، يرى الدكتور ياسر هاشم الهياجي، أستاذ إدارة التراث والسياحة التراثية المشارك بكلية السياحة والآثار في جامعة الملك سعود، أن قطاع التراث شهد في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز تحولًا لافتًا؛ إذ اتسع الاهتمام من حماية المواقع والمباني التاريخية وترميمها إلى رؤية شاملة تربط صون التراث بالتنمية الثقافية والسياحية والاقتصادية. ويشير الهياجي إلى أن رؤية المملكة 2030 منحت هذا التحول إطارًا مؤسسيًا وتنمويًا واضحًا، فأصبح التراث موردًا وطنيًا يعزز الهوية، ويسهم في تنويع الاقتصاد وتحسين جودة الحياة، ويدعم الحضور الثقافي للمملكة دوليًا. وقد تجلت ملامح هذه المرحلة في مشروعات الدرعية والعلا وجدة التاريخية وغيرها، إلى جانب اتساع أعمال المسح والتوثيق والترميم، وتطوير المواقع الأثرية والمتاحف، وإحياء الحرف والممارسات الثقافية المرتبطة بالمكان.

ويضيف الهياجي أن تنامي حضور المواقع السعودية في قوائم اليونسكو والمحافل والمعارض الدولية دشّن مرحلة يمكن وصفها بـ "تدويل التراث السعودي"؛ إذ تجاوز أثره حدود الذاكرة الوطنية، ليصبح نافذة يطل منها العالم على عمق المملكة الحضاري وإسهامها الثقافي والإنساني. كما أن احتضان المواقع التاريخية لقاءات ومناسبات رسمية ودولية يعكس المكانة

التي بات يحتلها التراث في التواصل الحضاري والدبلوماسية الثقافية. ويوضح الهياجي أن أهم ما يميز التجربة السعودية هو الانتقال من حفظ الأثر إلى إدارة المكان؛ فالمدينة التاريخية منظومة متكاملة من القيم المعمارية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وليست مجموعة من المباني المنفردة. ومن هنا، اتجهت المشروعات إلى إعادة التأهيل والاستخدام التكيفي، وإدماج المواقع في التجارب السياحية والأنشطة الثقافية والاقتصادية؛ ما منح التراث وظيفة معاصرة، وفتح مجالات جديدة للعمل والاستثمار.

ويلفت الهياجي إلى أن المجتمع المحلي يظل في قلب هذه المعادلة؛ لأن سكان المدن التاريخية يحملون ذاكرة المكان ومعارفه وممارساته الثقافية. ومشاركتهم في التخطيط والتنفيذ تمنح مشروعات الإحياء عمقًا اجتماعيًا واستمرارية أكبر، خصوصًا حين تنعكس آثارها على حياتهم من خلال تحسين البيئة العمرانية، وتوفير فرص العمل وريادة الأعمال، ودعم الحرف والمنتجات والمنشآت المحلية.

ويخلص الهياجي إلى أن التجربة السعودية في عهد الملك سلمان تكشف عن تحول عميق في إدارة التراث ضمن مسيرة التنمية الوطنية؛ إذ أصبح صون الذاكرة متصلًا بصناعة المستقبل، وغدا التراث قوة ثقافية واقتصادية تعزز الهوية الوطنية، وترتقي بجودة الحياة، وتقدم المملكة إلى العالم من خلال عمقها الحضاري.

المدينة قبل المبنى

لا تُقاس قيمة المدينة التاريخية بعمر مبانيها وحده، وإنما بما تختزنه من ذاكرة، وما تبقيه حيًا من علاقة الإنسان بالمكان؛ وهو ما تجلّى بوضوح في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حين تجاوزت العناية بهذه المدن حدود الترميم، لتستعيد حضورها في الحياة والوعي الوطني.

ومن هذه الزاوية، يرى الدكتور محمد مشاري النعيم، الأستاذ المساعد بقسم الهندسة المعمارية في جامعة حائل، أن السنوات الأخيرة شهدت تحولًا في نظرتنا إلى مدننا التاريخية؛ فلم تعد مجرد مبانٍ قديمة تحتاج إلى الترميم والحماية، بل أصبحت جزءًا من فهمنا لهويتنا وتاريخنا.

ويشير النعيم إلى أن هذا الاهتمام أعاد إبراز تنوع التجربة العمرانية في المملكة؛ فلنجد شخصيتها الخاصة، وللحجاز ملامحه، كما تتميز الأحساء وعسير وغيرهما بخصوصيتهما. وقد طورت كل منطقة عمارتها وعمرانها استجابةً لبيئتها ومجتمعها وثقافتها، وهو ما يجعل المدن التاريخية سجلًا حيًا لتعدد التجارب المحلية وثرائها.

ويؤكد أن الإحياء الحقيقي لا يعني إعادة طلاء الواجهات أو منح المباني صورة تشبه الماضي فقط؛ فالمدينة ليست مباني، بل حياة تضم السكان والأسواق والمساجد والحركة اليومية والعلاقات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية. وإذا جرى ترميم المباني وإخراج الحياة منها، نكون قد حافظنا على الصورة، لكننا فقدنا جانبًا أساسيًا من معنى المكان.

ويوضح أن التعامل مع المدن التاريخية اليوم يواجه معادلة دقيقة؛ إذ لا يمكن مطالبتها بأن تعيش وفق معايير الماضي، فهي تحتاج إلى الخدمات والبنية التحتية ووسائل السلامة وسهولة الوصول، إضافة إلى أنشطة اقتصادية جديدة تضمن استمرارها. لكن التحدي الحقيقي يظل في إدخال هذه المتطلبات من دون أن تفقد المدينة روحها.

ويضيف أن القاعدة الأساسية تتمثل في تكييف الاحتياجات المعاصرة مع المدينة التاريخية، لا إخضاع المدينة لهذه الاحتياجات. ويبدأ ذلك بفهم مقياسها الإنساني وأزقتها وفراغاتها العامة، وعلاقة مبانيها بعضها ببعض، وطريقة استخدام الناس للمكان، ثم تنفيذ التدخلات الجديدة بحساسية واحترام. ويخلص النعيم

خادم الحرمين مُفتتحاً مشروع البجيري

الملك سلمان حينما كان أميراً للرياض فجولة تفقدية لحي الطريف يرافقه عدد من المسؤولين المحليين، وذلك عام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

إلى أن قيمة المدينة التاريخية لا تكمن فقط في قِدم مبانيها، بل في قدرتها على إبقاء الذاكرة حاضرة في الحياة اليومية، والحفاظ على العلاقة بين الإنسان والمكان ممتدة من جيل إلى آخر.

عناية ممتدة

إذا كانت مشروعات إحياء المدن التاريخية قد اتسعت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، فإن دلالتها الأعمق لا تُقرأ في حجم الأعمال وحده، بل في امتداد العناية بالتاريخ داخل مسيرته؛ منذ أن عايش تحولات الرياض، وتابع نموها، وظل قريبًا من معالمها ووثائقها ورجالاتها. لذلك لم تكن العودة إلى المكان القديم التفاتةً إلى الماضي بقدر ما كانت تأكيدًا أن التحديث لا يكتمل إذا انقطع عن جذوره. ومع توليه مقاليد الحكم، أصبحت هذه العناية جزءًا من توجه الدولة وصورتها الجديدة. انتقل التراث إلى صدارة الأولويات الوطنية، وحظي بإطار مؤسسي قادر على جمع ما كان متفرقًا بين البحث والحماية والتطوير، وعلى وصل المعرفة الأكاديمية بالعمل الميداني. وبذلك لم تعد قيمة الموقع مرهونة بقدمه أو جمال عمارته، بل بما يضيفه إلى فهم المجتمع لتاريخه، وما يتيحه من تعليم وفرص وخبرات وحضور ثقافي.

ولعل أهم ما يميز هذه المرحلة أنها أعادت تعريف اكتشاف المكان. فالاكتشاف لا يعني العثور على أثر مجهول فحسب، وإنما إعادة النظر إلى موقع مألوف، وقراءة طبقاته، وتوثيق قصته، وإتاحته للناس، ثم إدخاله في دورة الحياة من دون إفقاده ملامحه. وبهذا المعنى، استعادت مواقع كثيرة قيمتها بعد أن كانت بعيدة عن الوعي العام، وأصبحت جزءًا من سردية المملكة عن نفسها أمام أبنائها والعالم. تلك هي ثمرة العناية الممتدة في عهد الملك سلمان: لم تُستعد المباني وحدها، بل استعادت المملكة من خلالها صفحات من سيرتها، وأعادت وصل الذاكرة بالحياة؛ ليظل المكان قادرًا على رواية الماضي والمشاركة في صناعة المستقبل.

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

كتاب جديد يقدم الملك من زاوية قارئ يرى في المعرفة قيمة مستمرة..

سلمان بن عبدالعزيز.. سراج الثقافة ونبراس المعرفة.

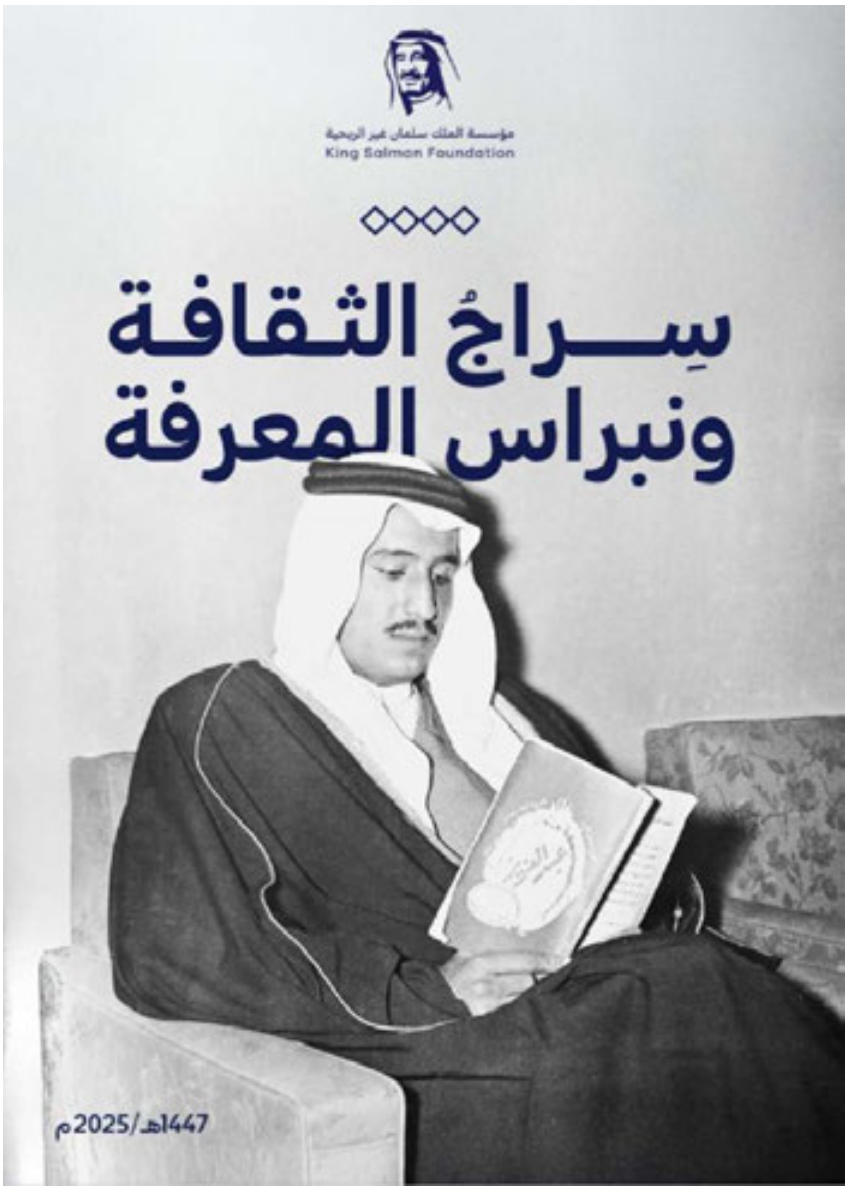

مكتبة الملك سلمان واحدة من أثرى الخزائن الفكرية الشخصية في العالم العربي.

الملك سلمان يحرص على متابعة الإصدارات الجديدة واقتنائها.

اليمامة- خاص

لا يقدم كتاب "سراج الثقافة ونبراس المعرفة" (مؤسسة الملك سلمان غير الربحية- 1447هـ) صورة تقليدية عن شخصية الملك سلمان بن عبدالعزيز من خلال مسيرته السياسية أو محطات حكمه، وإنما يختار زاوية أكثر اتصالًا بعالم الثقافة والمعرفة؛ هي علاقته بالكتاب والقراءة، واهتمامه

بالمثقفين، ورعايته لمعرض الرياض الدولي للكتاب، الذي ارتبط اسمه به منذ سنوات مبكرة من عمر المعرض.

ومن هـــذه الزاوية، يحاول الكتاب أن يقرأ جانبًا من شخصية الملك سلمان، باعتبـــاره قائـــدًا تشـــكلت علاقته بالمعرفة فـــي وقت مبكـــر، وظل الكتاب حاضـــرًا في حياته في مختلف مراحلها، مـــن أمير للرياض إلى وزير للدفاع وولي للعهد ثم ملك للمملكة العربية السعودية. ويصف الكتاب هذا الشـــغف بأنه لم يكن اهتمامًا عابرًا، وإنما مســـيرة ممتدة أســـهمت في تكوين شخصيته الفكرية والثقافية.

ويستند الكتاب في إبراز هذه العلاقة إلى عدد مـــن الملامح، في مقدمتها المكتبـــة الخاصة للملك ســـلمان، التي يصفها بأنهـــا واحدة من أثرى الخزائـــن الفكرية الشـــخصية في العالم العربـــي، بما تضمه من كتب موسوعية ورسائل جامعية ودوريات وأعمال في الأدب والشعر، فضلًا عن المخطوطات والمطبوعات النادرة. ولا تتوقف أهمية المكتبة، وفق الكتاب، عند حجـــم مقتنياتها وتنوعها، وإنما في كونها مكتبة متجددة تضاف إليها الإصدارات الجديدة التي يحرص الملك سلمان على متابعتها واقتنائها.

الكتاب.. رفيق المعرفة

يمنح الكتاب للقراءة موقعًا أساســـيًا في تكوين الملك ســـلمان الثقافي، مستندًا إلى رؤيته التي تعتبر الكتاب

وســـيلة مســـتمرة للتعلم، لا مرحلة تنتهي بالحصول على الشـــهادة أو بلـــوغ وظيفة. وتظهر هـــذه الرؤية بوضوح في الاقتبـــاس الذي يفتتح به الكتاب، حين يؤكد الملك سلمان أن الإنســـان لا ينبغي أن يكتفي بما تعلـــم، وأن عليـــه مواصلة الاطلاع في اختصاصـــه وغير اختصاصه، لأن العلم مستمر، ولأن الكتابة والمعرفة مسؤولية تجاه المجتمع.

وفي هـــذه الرؤية، لا ينفصل اهتمام الملك سلمان بالكتاب عن نظرته إلى وظيفة المؤلف والمثقف؛ فالحقيقة، كما يرد في حديثه، ينبغي أن تكون هـــدف الكاتب، وأن تكـــون الكتابة نافعـــة لمجتمعها، فيما يظل القارئ شريكًا في العملية الثقافية من خلال القراءة والنقد والاستفادة.

ويعود الكتاب إلـــى هذه الفكرة في خاتمته، من خـــلال حديث آخر للملك سلمان عن مسؤولية الكاتب والمفكر، مؤكـــدًا أن الكاتب لا ينبغي أن يكتب فقط لإرضاء ما يطلبـــه الناس، كما لا يعني ذلـــك أن يعارض رغباتهم، وإنما أن يقـــول الحقيقة التي يؤمن بها، وأن يكون هدفه تقديم ما يفيد المجتمع.

من الاهتمام بالكتاب إلى رعاية معرضه

لكـــن القيمة الأساســـية في الكتاب لا تكمـــن في الحديث عـــن القراءة وحدها، وإنما في انتقاله من العلاقة الشـــخصية بالكتاب إلـــى أثر هذه العلاقة في المجال الثقافي العام.

ويخصص الكتاب مساحة واسعة لعلاقة الملك سلمان بمعرض الرياض الدولي للكتاب، وهي علاقة بدأت مبكرًا، عندما كان أميرًا لمنطقة الرياض.

ولا يتعامل الكتاب مع هذه الرعاية باعتبارها حضورًا بروتوكوليًا فحسب، بل يربطها برؤية أوسع لوظيفة المعرض ودوره في المجتمع. ففي حديث للملك سلمان عندما كان أميرًا للرياض، يظهر المعرض بوصفه فرصة للطلاب والناشئة للتزود بالعلم والثقافة والمعرفة، ونافذة على الأفكار والعلوم والآداب المختلفة، فيما تصبح الثقافة في تصوره ممارسة ممتدة تتجاوز حدود المدرسة والجامعة إلى مختلف مجالات الحياة.

ويشير الكتاب كذلك إلى أن الملك سلمان كان حريصًا على التجول في أروقة المعرض، والتوقف عند أجنحة دور النشر، والدخول في حوارات مع المؤلفين والمثقفين، وهو حضور استمر عبر مراحل مختلفة من مسؤولياته العامة. ويرى الكتاب أن هذا الدعم المتواصل أسهم في منح المعرض عنصرًا من الاستقرار ساعده على الانتقال من كونه سوقًا موسمية للكتب إلى مؤسسة ثقافية ذات تأثير أوسع.

المعرض بوصفه مساحة للحوار

من أبرز الأفكار التي يبرزها الكتاب أن رؤية الملك سلمان للمعرض تجاوزت فكرة بيع الكتب واقتنائها إلى اعتباره منصة للحوار الفكري.

ويستشهد الكتاب بكلمته في الملتقى الأول للمثقفين السعوديين، حيث تحدث عن المملكة باعتبارها منطلقًا للثقافة، ودعا إلى الوسطية والانفتاح الواعي، محذرًا في الوقت نفسه من الغلو والتزمت ومن التفريط في العقيدة والأخلاقيات.

وهنا تتسع دلالة الكتاب؛ إذ لا يعود معرض الكتاب مجرد مناسبة سنوية، بل يصبح في القراءة التي يقدمها امتدادًا لرؤية ثقافية ترى في المعرفة وسيلة للانفتاح والتفاعل، مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية. ويذهب الكتاب إلى أن انفتاح المملكة على ثقافات العالم لا يعني الذوبان فيها، وإنما يمكن أن يكون وسيلة لإثراء الثقافة المحلية.

أرقام ترصد رحلة المعرض

ويتحول الكتاب في قسم منه إلى سجل توثيقي لمسيرة المعرض، مستعرضًا تطور عدد دور النشر والعناوين والزوار عبر الدورات التي حظيت برعاية الملك سلمان.

ففي الدورة الثانية عام 1979م، ارتفع عدد دور النشر إلى 300 دار، وعُرض أكثر من 25 ألف مطبوع. وفي دورات

مكتبة الملك سلمان الخاصة في قصره بحي المعذر

لاحقة ارتفعت الأرقام تدريجيًا، وصولًا إلى الدورة التاسعة عام 2002م، التي شاركت فيها نحو 500 دار نشر من 18 دولة، وعُرض خلالهـــا أكثر من 150 ألف عنوان.

ثم يرصد الكتاب مرحلة جديدة بعد تولـــي الملك ســـلمان الحكم، حيث شـــهد المعرض توســـعًا كبيرًا في أعداد المشاركين والفعاليات والزوار. ففي دورة 2015م شـــاركت نحو 915 دار نشـــر من 29 دولة، بينما شهدت دورة 2017م عـــرض نحو 1.5 مليون كتاب واســـتقطبت أكثر من 400 ألف زائر. وفـــي دورة 2019م ارتفع عدد دور النشر إلى 913 دارًا من 30 دولة، وتجاوز عدد الزوار مليونًا ومئتي ألف زائر، وفق الأرقام التي أوردها الكتاب.

أمـــا دورة 2021م، فقد مثلت محطة لافتة في هذا المسار؛ إذ شاركت فيها أكثر من ألف دار نشـــر من 28 دولة، وتجاوز عدد الزوار 900 ألف، وشهدت إطلاق مؤتمر الناشرين الدولي للمرة الأولى في المملكة، إلى جانب برنامج واسع من الندوات والأمسيات والورش والفعاليات الموجهة للأطفال والنشر والترجمة.

وتتواصـــل مســـيرة التوســـع التي يرصدهـــا الكتاب فـــي دورات 2022 و2023 و2024، حيث تجاوز عدد دور النشـــر في دورة 2023 نحو 1800 دار من أكثر مـــن 32 دولة، وتجاوز عدد الزوار المليون، ثـــم تخطى عدد دور النشر في دورة 2024 حاجز ألفي دار من أكثر من 30 دولة، مع اســـتمرار الحضـــور الجماهيري الـــذي تجاوز المليون زائر. أمـــا دورة 2025، فقد شـــارك فيها أكثر من ألفي دار نشر ووكالة محليـــة وعالمية من أكثر من 25 دولة، وصاحبهـــا برنامج ثقافي تجاوز 200 فعالية.

رعاية تتجاوز معرض الرياض

ولا يحصر الكتاب علاقة الملك سلمان بالكتاب في معرض الرياض الدولي وحده؛ إذ يشير إلى رعايته معرضين للكتـــاب نظمتهما جامعـــة الإمام محمد بن ســـعود الإســـلامية، الأول عام 1982م والثاني عام 1990م، بما يعكس امتداد اهتمامه بالمناســـبات الثقافية والكتاب خارج إطار المعرض الدولي نفسه.

ويقـــدم الكتاب فـــي نهايته جدولًا توثيقيًا للدورات التـــي رعاها الملك ســـلمان، موزعة بحســـب الجهات المنظمـــة، فيكشـــف عـــن خمس دورات نظمتها جامعة الملك سعود، ودورتيـــن نظمتهمـــا جامعة الإمام محمد بن سعود الإســـلامية، وأربع دورات نظمتها وزارة الثقافة والإعلام، ودورة نظمتها وزارة الإعلام، وخمس دورات تولـــت هيئة الأدب والنشـــر والترجمة تنظيمها.

قيمة الكتاب

بهذا المعنى، يمكن قراءة «ســـراج الثقافة ونبـــراس المعرفة» باعتباره كتابًا ذا طبيعـــة توثيقية في المقام الأول، يجمع بين الشهادة والاقتباس والرصد التاريخـــي والأرقام، ليقدم مســـارًا متصلًا لعلاقة الملك سلمان بالكتاب ومعـــرض الرياض الدولي للكتاب.

وتكمـــن أهمية المادة فـــي أنها لا تكتفي بتســـجيل الرعاية الرسمية، وإنما تحـــاول ربطها برؤية أوســـع للمعرفـــة والقـــراءة ودور الثقافة في المجتمـــع. فالكتـــاب يبدأ من علاقة شـــخصية بالكتاب، ثم ينتقل إلـــى المكتبة الخاصـــة، ومنهما إلى المثقفين، ثم إلـــى معرض الكتاب، قبـــل أن يتابع تطـــور المعرض من فعالية محدودة إلى تظاهرة ثقافية واسعة ذات حضور عربي ودولي.

ويستند الكتاب في مادته إلى مجموعة من المراجع الصحفية والتوثيقية، من بينها كتاب «معرض الرياض الدولي للكتاب: النشأة والتاريخ والمعجزات» لمنصور بن محمد العســـاف، ومواد منشـــورة في صحف المدينة وعكاظ والجزيرة والريـــاض، إلى جانب مادة لوكالة الأنباء السعودية عن الملتقى الأول للمثقفين السعوديين.

وفي خاتمته، يعود الكتاب إلى الفكرة التي انطلق منها: الكتاب ليس مجرد وعـــاء للمعرفة، وإنمـــا رفيق دائم، والقراءة ليست نشـــاطًا عابرًا، وإنما طريق مفتوح لا ينتهي. ومن هنا تبدو دلالة عنوان الكتاب «ســـراج الثقافة ونبراس المعرفة»؛ فهو يقدم الملك ســـلمان من زاوية قـــارئ يرى في المعرفة قيمة مستمرة، وفي الكتاب وسيلة لبناء الإنسان والمجتمع، وفي المعرض مساحة تلتقي فيها الكتب بالعقول.

وبين صفحات الكتاب، تتشكل صورة لمسيرة ثقافية تمتد لأكثر من خمسة عقود، تتقاطع فيهـــا علاقة الملك سلمان الشـــخصية بالكتاب مع تطور واحد من أبرز المشاهد الثقافية في المملكة: معرض الريـــاض الدولي للكتاب.

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

حنكة الإدارة
ووضوح
الرؤية

عرفها صغيرًا وأدارها أميرًا وتحولها ملكًا ..

سلمان .. ذاكرة الرياض ومستقبلها.

اليمامة - خاص

للرياض في ذاكرة الملك سلمان بن عبدالعزيز مقياسٌ لا تمنحه الخرائط؛ إذ يعرف المسافة بين شارع لم يعرف الأسفلت وعاصمة تتسع للعالم، وبين بيت من طين ومدينة تعيد ترتيب موقعها في الاقتصاد الدولي. وفي هذه المسافة أقام جانبًا كبيرًا من سيرته: طفلاً يتعرف إلى مكانها، وأميرًا يحمل مسؤولية نموها، وملكًا يرعى انتقالها إلى مرحلة عالمية جديدة. لذلك تبدو قراءة الرياض من خلاله اقترابًا من تاريخٍ احتفظ شاهده بتفاصيل البدايات، ثم شارك في صنع تحولاته الكبرى.

"الرياض بالنسبة لي الوطن والتاريخ الماضي والحاضر والمستقبل والأمل" ـ خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز

ومع حلـــول الذكرى الثانية عشـــرة لتولي خادم الحرمين الشـــريفين مقاليد الحكم، في الثالث من ربيع الآخر 1448هـ، تستدعي العاصمة تلك العلاقـــة الطويلة بين رجل ومدينـــة. علاقة تراكمت فيهـــا المعرفة بأهلها وأحيائهـــا واحتياجاتها، حتى صار الحديث عن عمرانها يستدعي طريقته في الإدارة، ويســـتعيد وفاءه لتاريخها. فكيف اســـتطاعت الرياض أن تتجـــاوز حدودها القديمة، وتحمـــل وظائف عاصمة حديثة، وتحتفظ ـ وسط هذا الاتساع ـ بما يجعلها الرياض؟

مدينة في الذاكرة

وُلد الملك سلمان في الرياض عام 1354هـ، ونشأ في كنف الملك المؤسس عبدالعزيز، قريبًا من مجلس المؤسس وشؤون الحكم. كانت المدينة يومئذ محـــدودة العمران، تتجاور فيها البيوت الطينية، وتنتظم الحياة حول الأسواق والمساجد ومجالس الأهالي. وفي ذلك المحيط، تعرّف إلى العاصمة قبل أن تصبح خرائطها ملفات على مكتبه؛ عرف إيقاع يومها، ووجوه أهلها، والمســـافات التي كانت تقطعها الأقدام قبل أن تتولاها الطرق الواسعة.

وحين يستعيد تلك السنوات، تخرج المدينة

من عمومية الوصف إلى دقة المشـــهد. ففي حديث مصـــور متـــداول، يتذكر الملك ســـلمان غياب الشوارع المسفلتة والمباني الخرســـانية عن الرياض التي عرفها صغيرًا، ويستعيد سورها وأبوابها التي كانت تُغلق بعد العشـــاء، وخروج الملك عبدالعزيز مـــن المربع إلى قصر الحكم لممارســـة عملـــه. وتمنح هذه التفاصيل القـــارئ ما تعجز عنه المقارنة بين صورتين قديمة وحديثة: الإحساس بمدينـــة كان ليومها بـــابٌ يُغلق، ثم اتســـعت حركة الحياة فيها إلى مدى لم يكن منظورًا آنذاك.

ولهـــذه الذاكرة قيمة تتجـــاوز الحنين؛ فهي تحفـــظ علاقة الناس بالمكان قبل تبدل مقاييســـه. فالشارع القديم يحمل أســـماء العابرين فيه، والسوق يختزن طرائـــق البيع والتعـــارف، والبيت يروي شيئًا عن الأسرة والجوار. ومن عرف هذه الطبقات الاجتماعية يســـتطيع أن يدرك ما يعنيـــه انتقال مدينة إلى عصر جديد، وما يحتاج إليـــه أهلها كي يصبح التطور

افتتاح مشروعاتٍ توسّع آفاق الرياض

تحســـينًا لحياتهم، وامتدادًا لصلاتهم، وحفظًا لما يأنســـون إليه من ملامحها. وقد اختصر الملك ســـلمان هذا التداخل بين الســـيرة الشخصية وتاريخ العاصمة بقوله: "تاريـــخ الرياض جزء من حياتي، عايشـــتها بلدة صغيرة، يسكنها بضعة آلاف من السكان الذين يمتهنون الزراعة والتجـــارة المحليـــة، وعاصرتها حاضرة عالمية كبرى".

مسؤولية الاتساع

بدأت المسؤولية الرسمية بتعيينه أميرًا لمنطقة الريـــاض بالنيابـــة في رجب 1373هـ، ثم أميرًا عليها بمرتبة وزير في شـــعبان 1374هـ. وبعد فترة ابتعاد عن الإمارة، عاد إليهـــا في رمضان 1382هـ، واســـتمر حتى تعيينه وزيرًا للدفاع عام 1432هـ. وهكذا امتدت خدمته للمنطقة، عبر فترتي توليـــه، أكثر من نصف قرن، واكبـــت خلاله الرياض تحـــولات الدولة السعودية وتنامي مؤسساتها ومواردها. كانـــت المهمة تتســـع كلما اتســـعت المدينة. فزيادة الســـكان تســـتدعي مساكن ومدارس ومستشفيات، وانتقال المؤسســـات يقتضي طرقًـــا ومرافق وخدمات، ونمو التجارة يحتاج إلى تنظيم يتيح لها الحركة. ولم تكن الاســـتجابة لأي احتيـــاج منفرد كافيـــة؛ إذ قد يفتح طريقٌ جديد مســـاحات للبناء، ثم تظهر الحاجة إلى إيصـــال المـــاء والكهرباء وتوفير خدمـــات التعليم فيها. المدينة، بهذا المعنى، ســـؤال متصل، وكل إجابة عمرانية فيه تُنتج مسؤولية تالية.

ومن هنا تبرز أهمية العمل المؤسســـي في تجربة تطوير الرياض. فقد أُنشـــئت الهيئـــة العليا لتطويـــر مدينة الرياض عام 1394هـ، وترأســـها الأمير سلمان، أمير منطقـــة الرياض آنـــذاك، لتصبح

خبر تعيين الامير سلمان أميرًا لمنطقة الرياض بالنيابه.

من الأدوات الرئيسة في تخطيط نمو العاصمة وتنسيق تطويرها. وكان لهذه الخطوة أثر يتجاوز إنشاء جهاز إداري؛ إذ وفرت إطارًا ينظر إلى المدينة بوصفها وحدة مترابطة، ويجمع بين احتياجات حاضرها ومتطلبات توسعها المقبل. وفي قراءة هذه التجربة، يبدو طول المدة التي قضاها في إدارة المنطقة عنصرًا مهمًا لفهم نتائجها. فقد أتاح تراكم المعرفة، ومتابعة المشروعات في مراحل متعاقبة، ورؤية أثر القرار بعد تنفيذه. وهنا تتضح قيمة الاستمرارية: أن يعرف المسؤول من أين جاءت المشكلة، وكيف عولجت، وما الذي تغير بعدها. تلك معرفة لا تظهر كاملة في المخططات، لكنها تمنح التخطيط صلته بالناس والأرض.

ذاكرة تسكن العمران

كان أحد الأسئلة الدقيقة في تحول الرياض يتعلق بمركزها القديم: كيف تتقدم العاصمة وتظل قادرة على التعرف إلى وجهها الأول؟ وقد قدم تطوير منطقة قصر الحكم إجابة عمرانية عن هذا السؤال، من خلال إعادة بناء قصر الحكم وجامع الإمام تركي بن عبدالله، وتنظيم المنطقة وساحاتها، واستلهام خصائص العمارة المحلية في تكوينها. وبذلك احتفظ قلب العاصمة بوظيفته ومكانته، واتصلت ذاكرة المكان باستعماله اليومي. وتكشف هذه العناية عن فهم للتاريخ بوصفه جزءًا من حياة المدينة. فحين يبقى المركز التاريخي قابلًا للزيارة والحركة واللقاء، يستطيع الجيل الجديد أن يختبر قربه من الماضي. وتصبح الساحة التي يعبرها، والجامع الذي يقصده، والمبنى الذي يتأمل ملامحه، وسائل معرفة هادئة. كأن المدينة تترك في عمرانها علامات قراءة، يستدل بها القادمون على الفصول التي سبقتهم.

وفي السياق نفسه، افتُتح متحف المصمك عام 1416هـ برعاية الأمير سلمان، ليقدم للزوار تاريخ استرداد الرياض وتأسيس الدولة. ثم جاء مركز الملك عبدالعزيز التاريخي في المربع، ضمن احتفاء المملكة بالمئوية عام 1419هـ، جامعًا عناصر تاريخية وثقافية ومساحات عامة. وقد تولت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تطوير المركز والإشراف على مراحل العمل فيه، بما يعكس الصلة بين التخطيط الحضري والعناية بالتاريخ الوطني. ومن هذه المشروعات يمكن فهم جانب من شخصية الملك سلمان وعلاقته بالعاصمة. فحفظ المكان الذي بدأت منه الحكاية يتيح للمدينة المتسارعة أن تحتفظ بمرجعها. وكلما ارتفعت مبانيها واتسعت طرقها، ازدادت قيمة المواضع التي تشرح للناس كيف وصلت إلى هنا.

الأمير سلمان يدشّن مرحلة جديدة من البناء

عنوان للعالم

وبموازاة العناية بالقلب التاريخي، كانت الرياض تستكمل وظائفها الدولية. ففي عام 1395هـ صدر قرار نقل وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية من جدة إلى الرياض، وتشكّلت لجنة تنفيذية عليا برئاسة الأمير سلمان لإنجاز مشروع حي السفارات. وقد مثّل الحي، بما جمعه من مقرات دبلوماسية ومرافق ومساحات مفتوحة، خطوة في بناء البيئة التي تحتاج إليها عاصمة تتزايد صلاتها بالخارج. وهنا يصبح العمران تعبيرًا عن وظيفة سياسية وإدارية واضحة. فوجود البعثات الدبلوماسية قرب مؤسسات القرار يعزز التواصل، ويضيف إلى المدينة حركة مهنية وثقافية واجتماعية.

واتسع المشهد بمشروعات المرافق والنقل والمؤسسات الاقتصادية، من مطار الملك خالد الدولي إلى مركز الملك عبدالله المالي. ويكشف جمع هذه العناصر

مدينة الرياض

عن طبيعة التحول الذي شهدته الرياض؛ فالمطار يوسع الاتصال، والمرافق تتيح الاستقرار، والمؤسسات الاقتصادية تدعم النشاط والعمل. ولأن هذا المسار تحقق عبر عهود متعاقبة، فإن قراءة دور الملك سلمان فيه تستقيم بوضعه داخل مسيرة الدولة وتراكم منجزاتها. لقد حمل مسؤولية العاصمة طويلًا، وأسهم في ترجمة توجهات التنمية إلى تخطيط ومشروعات ومؤسسات. وتلك هي دلالة تجربته الإدارية.

من الإمارة إلى الملك

حين تولى الملك سلمان مقاليد الحكم في الثالث من ربيع الآخر 1436هـ، كانت معرفته بالرياض تحمل حصيلة عقود من العمل. ومع رؤية المملكة 2030، وما يقوده سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان من جهود لتحقيق مستهدفاتها، أخذ تطوير العاصمة نطاقًا أوسع في التنويع الاقتصادي وجودة الحياة وتعزيز جاذبيتها للأعمال. وقد أشار سمو ولي العهد في مبادرة مستقبل الاستثمار عام 2021 إلى أن الرياض تشكل نحو نصف الاقتصاد غير النفطي للمملكة، معلنًا استهداف وصول سكانها إلى ما بين خمسة عشر وعشرين مليون نسمة بحلول 2030؛ وهو طموح يستند إلى ما راكمته العاصمة من مقومات النمو.

وفي هذه المرحلة، تتصل رعاية الملك سلمان للعاصمة بإرثه الطويل في بنائها؛ فالمدينة التي تابع تفاصيل نموها أميرًا، يرعى ملكًا اتساع حضورها الدولي، وتطور مرافقها ومشروعاتها، وتعزيز قدرتها على استقطاب الأعمال والاستثمارات. وتكتسب هذه الرعاية معناها من الجمع بين مكانة الرياض عالميًا وحياة أهلها اليومية، حيث تتجسد ثمار التنمية في فرص العمل وجودة الخدمات واتساع الخيارات أمام السكان.

ابن الرياض وخادمها

حين نستعيد اليوم لقاء الملك سلمان بن عبدالعزيز في برنامج "مؤتمر صحفي"، الذي قدّمه الدكتور عبدالرحمن الشبيلي عام 1393هـ/1973م، نقرأ في إجاباته، يوم كان أميرًا لمنطقة الرياض، ملامح الفكر الذي صاحب بناء العاصمة.

سلمان بن عبدالعزيز.. قيادةٌ تعرف تفاصيل مدينتها

فقد ربط التنمية باستقرار المجتمع، مؤكدًا: "لا يمكن أن نعتني بها ونوفرها ما لم يكن هناك استقرار وأمن". وفي تناوله لتوسع الرياض، كانت نظرته تمتد إلى ما وراء حدودها؛ إذ رأى أن معالجة تركز السكان في العاصمة تتصل بتوفير أسباب العيش والعمل في سائر المناطق. وقال: "ونحن لا نستطيع أن نقول للناس لا تقيموا في الرياض وارجعوا لبلدانكم، ما لم تؤمن الأسباب التي تجعل المواطن يقيم في بلدته ويعمل فيها وينتج فيها وتوفر له الخدمات والمشاريع التي تجعله يعيش في قريته ويكسب ويستفيد، وإلا ستتكرر مشكلة التضخم في المدن الرئيسية". وبعد عقود، تحتفظ هذه القراءة بدلالتها في فهم حنكته الإدارية؛ فقد أعاد السؤال عن ازدحام المدينة إلى جذوره الاقتصادية والاجتماعية، ورأى في تنمية الأماكن التي يغادرها الناس جزءًا من الإجابة.

حديثه عن مستقبل الرياض، يكتسب اليوم دلالة خاصة، والعاصمة تشهد في عهده ملكًا اتساع حضورها الدولي. فعندما سُئل عن صورتها بعد عشرين عامًا، أجاب: "الصورة مرسومة ومخططة"، موضحًا ما يستلزمه التأسيس للمستقبل: "إنما على المدى البعيد يجب أن نعاني الآن حتى يكون الوضع بعد عشرين سنة أفضل بكثير من مراحل النمو الحالي". ثم عبّر عن ثقته بقوله: "أنا واثق إن شاء الله تماماً من مستقبل الرياض كمدينة؛ لأنه الآن وضعت كل الأساسات والأسس التي تجعلها في المستقبل مدينة نموذجية حديثة، ولهذا أنا مطمئن تماماً، أنا ابن الرياض وخادم لها قبل أن أكون أميراً لها، والمستقبل ظاهر وممتاز والحمد لله". وبين تلك الثقة المبكرة وما بلغته المدينة، تتضح قيمة رؤيةٍ أدرك صاحبها أن مستقبل العاصمة يبدأ من القرارات التي تُتخذ قبل أن تظهر الحاجة إليها بسنوات.

سيرة لا تغادرها

ولعل أكثر كلمات الملك سلمان تعبيرًا عن صلته بالرياض قوله: "لا أتخيل نفسي بعيداً عن مدينة الرياض حتى لو لم أكن موجوداً فيها، فالرياض بالنسبة لي الوطن والتاريخ الماضي والحاضر والمستقبل والأمل". تجمع العبارة أزمنة المدينة في وجدان واحد؛ فالرياض التي عرفها صغيرًا بقيت حاضرة في الرياض التي أدارها أميرًا، وكلتاهما تسكنان اهتمامه بها ملكًا.

في الذكرى الثانية عشرة للبيعة، تمنح هذه السيرة العاصمة معنى يتجاوز المقارنة بين قلة المباني وكثرتها. إنها تحكي كيف اقترنت معرفة المكان بالصبر على بنائه، وكيف أسهمت مسؤولية ممتدة في تحويل احتياجات متلاحقة إلى مؤسسات ومرافق وفرص. وتبقى للملك سلمان في هذا التحول بصمة يعرفها تاريخ الرياض وأهلها، لتظل سيرته جزءًا من عنوانها.

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

أماكن حفظت لحظات العهد والوحدة ..

من بيت البيعة إلى قصر الحكم.

إعداد ـ أحمد الغـــر

لا تحتفظ الأمكنة بالتاريخ على نحو متساوٍ؛ بعضها يكتفي بأن يشيخ، وبعضها يتحول إلى شاهد لا تنقضي شهادته. وفي تاريخ المملكة، ارتبطت البيعة بأماكن لم تكن مجرد خلفيات لمراسم سياسية، بل أوعيةً حملت معنى العهد بين القيادة والمجتمع: بيتُ أحسائي دخل منه الملك عبدالعزيز إلى فصل حاسم من فصول التوحيد، وحصنٌ في الرياض أعلن استعادة عاصمة الدولة، وقصور انتقلت داخلها البلاد من طور التأسيس إلى رسوخ المؤسسات، وصولاً إلى قصر الحكم الذي استقبل الملك سلمان بن عبدالعزيز ملكًا عام ١٤٣٦هـ. وبين البداية والنهاية تعاقبت ست بيعات، وظل المكان يؤدي وظيفة تتجاوز الحجر؛ يحفظ لحظة انتقال المسؤولية، ويمنح استمرار الدولة صورةً يمكن رؤيتها.

بيتٌ يصير وطنًا

في الثامن والعشـــرين من جمادى الأولى عام 1331هـــ، دخل الملك عبدالعزيـــز بـــن عبدالرحمن آل ســـعود (طيّب اللّه ثراه) الأحساء، ونزل في منزل الشـــيخ عبداللطيف بن عبدالرحمـــن الملا، بحي الكوت وسط الهفوف. هناك بايعه أهالي الأحســـاء على السمع والطاعة على كتاب اللّه وســـنة رسوله، وبات في إحدى غرف المنزل مع إخوانه محمد وسعد وعبداللّه. كانت البيعة جزءًا من دخول الأحســـاء تحـــت الحكم السعودي، لكنها حملت دلالة أوسع من نتيجتها السياســـية المباشرة؛ فقد أظهرت أن مشـــروع الوحدة لا يكتمل بالســـيطرة على الأرض وحدها، بل باجتمـــاع إرادة الحاكم وقبول الأهالي.

لم يكن "بيت الملا"، كما عُرف قبل أن تمنحه الواقعة اسمه التاريخي، مبنى رســـميًا أو قصرًا للحكم. كان منزلًا أحســـائيًا أنشئ عام 1203هـ، تبلغ مساحته نحو 705 أمتار مربعة، وتنتظم غرفه حول تكوين معماري محلي تتخلله الأقـــواس والزخارف الجصية. بيد أن بســـاطة المكان منحت الحدث شيئًا مختلفاً؛ فالبيعة لم تُعقد بعيدًا عن المجتمع، بل في بيت أحد علمائـــه ووجهائه، داخل

الحي الذي يعرفه الناس وتعرفه حياتهم اليومية.

منذ تلك الليلة لم يعد المنزل ملكًا لسيرة عائلة وحدها. صار اللفظ الذي أضيف إلى اسمه "البيعة" أقوى من الجدران نفسها. وحين آلت ملكيته إلى الدولة، ورممته هيئة التراث وحولته إلى موقع تاريخي، لم يكن المقصود إنقاذ بناء قديم من التآكل فحسب؛ بل صيانة شاهد مادي على اللحظة التي اتسعت فيها الدولة شرقًا، وخرجت الوحدة من الفكرة إلى المجال.

بيت البيعة

الأحساء تعقد العهد

مثّلَ ضم الأحساء محطة استراتيجية في مسيرة الملك عبدالعزيز؛ فالمنطقة لم تكن طرفًا بعيدًا عن مراكز الفعل، وإنما موضع ثقل ديني واقتصادي وسكاني، وبوابة تصل وسط الجزيرة العربية بساحلها الشرقي. ولهذا اكتسبت بيعة أهلها قيمة تتجاوز حدودها المحلية، إذ أكدت قدرة الدولة الناشئة على إدماج أقاليم مختلفة في إطار سياسي واحد، من غير أن تمحو خصوصية أيٍّ منها.

وفي هذا السياق، تبدو البيعة صيغةً لبناء الشرعية، لا احتفالًا يأتي بعد اكتمال الأحداث. إنها تنقل العلاقة من انتصار عسكري إلى عهد سياسي وأخلاقي؛ ولاء تقابله مسؤولية الحكم، وطاعة يقابلها حفظ الأمن والمصالح. وكان الملك عبدالعزيز يدرك أن البلاد المترامية الأطراف لا يجمعها السلاح وحده، وأن وحدة الخرائط تظل هشة ما لم تسندها وحدة الثقة. لذلك بقي بيت البيعة أبلغ من مبنى تذكاري. فهو يختصر منهجًا كاملًا في التوحيد: الوصول إلى الإقليم، واللقاء بأهله، وربط انضمامه بعهد معلن. كانت الجغرافيا تتسع، لكن الدولة لم تكن تجمع أطرافها بالخيط والإبرة؛ كانت تجعل من البيعة عقدتها المحكمة.

قصر الحكم بالرياض

الرياض.. مركز الحكم

إذا كان بيت البيعة قد حفظ إحدى لحظات امتداد الوحدة، فإن الرياض حفظت بدايتها السياسية ومركز إدارتها. فمنذ استعادة الملك عبدالعزيز المدينة عام 1319هـ، ارتبط المصمك وقصر الحكم بمهمتين متتابعتين: حسم استعادة العاصمة أولًا، ثم تحويل ذلك الحسم إلى دولة قادرة على الإدارة والنمو. أعلن أحد رجال الملك عبدالعزيز، بعد انتهاء معركة استرداد الرياض عند المصمك، أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن. ومن جوار الحصن بدأت المدينة تستعيد موقعها مركزًا للحكم. ولم يبقَ المصمك رمزًا لمعركة منفصلة، بل أصبح الباب الذي عبر منه المشروع السعودي الحديث إلى التاريخ. بعده جاءت الحاجة إلى مقر يصرف شؤون الناس، ويستقبل الوفود، وتصدر عنه القرارات؛ أي الانتقال من لحظة الفتح إلى مشقة البناء.

أعاد الملك عبدالعزيز بناء قصر

الحكم، وأتمه نحو عام 1330هـ، ثم اتخذه مركزًا لإدارة البلاد. وفيه عقد مجالسه العامة والخاصة، وتابع المكاتبات، واستقبل أصحاب الحاجات والوفود والمبعوثين. وكان القصر يجمع في تكوينه بين مقر السلطة وخصائص البيت النجدي؛ فلا تفصل أسواره الإدارة عن الضيافة، ولا تجعل الحاكم بعيدًا عن مجلس المواطنين. هنا بدأت البيعة تنتقل من بيت محلي شهد انضمام إقليم إلى قصر يمثل مركز الدولة الآخذة في الاكتمال.

يُعد قصر المربع، المعروف أيضًا باسم قصر الملك عبدالعزيز، أحد أبرز المعالم التاريخية في الرياض

القصر يتسع دولةً

ظل الملك عبدالعزيز يدير شؤون الحكم من القصر أكثر من ثلاثة عقود، فيما كانت البلاد تنتقل من توحيد الأقاليم إلى إعلان اسم المملكة العربية السعودية عام 1351هـ. وكلما امتدت حدود الدولة، ضاقت المسافة الرمزية بين القصر وأطرافها؛ فالوفود التي كانت تصل إليه من المناطق حملت مطالب مجتمعاتها، ثم عادت بقرارات الدولة وتوجيهاتها. لم يكن القصر في قلب الرياض فقط؛ كانت المملكة، على نحو ما، تجتمع داخله كل يوم.

وفي عام 1357هـ انتقل الملك عبدالعزيز وأسرته إلى قصور المربع، بعد أن تجاوزت أجهزة الدولة حدود المقر القديم. مثّلَ المربع طورًا جديدًا في العمران السياسي؛ فقد شهد إنشاء مؤسسات وصدور أنظمة وقرارات كبرى، من بينها إنشاء وزارة الدفاع والإذاعة السعودية ومؤسسة النقد، وإصدار العملة، والتوسع في المدارس النظامية ومشروعات النقل. كانت الدولة تكبر، فاحتاجت إلى مبانٍ أكثر رحابة، كأن الإدارة خرجت من عباءة القصر القديم إلى ثوب مؤسسي أوسع. ومع ذلك، لم يفقد قصر الحكم قيمته. استمرت بعض وظائفه الإدارية، وبقي اسمه مشدودًا إلى معنى السلطة القريبة من المجتمع. أما الانتقال إلى المربع فلم يكن قطيعة مع القصر؛ كان توسعة للوظيفة التي بدأها. فالمكان في سيرة الدولة السعودية لا يزيح سابقه، بل يضيف إليه طبقة جديدة من المعنى.

صورة لقصر المربع ـ عام ١٩٨٠م

عهدٌ يتلو عهدًا

بعد رحيل الملك عبدالعزيز عام 1373هـ، بويع ولي عهده الملك سعود بن عبدالعزيز، فكانت تلك أول مرة تنتقل فيها مسؤولية الحكم في المملكة بعد المؤسس. حملت البيعة يومها اختبار الاستمرار: هل تبقى الدولة متماسكة بعد الرجل الذي جمع أقاليمها وأعلن وحدتها؟، فجاء انتقال الحكم ليؤكد أن المشروع تجاوز سيرة منشئه إلى نظام قادر على مواصلة الطريق.

وفي عام 1384هـ بويع الملك فيصل؛ ثم انتقلت المسؤولية إلى الملك خالد عام 1395هـ، فالملك فهد عام 1402هـ، فالملك عبدالله عام 1426هـ. ولم تكن هذه البيعات نسخًا مكررة من مشهد واحد؛ فقد جرت كل منها في لحظة مختلفة من تاريخ المملكة، وبين تحديات

سياسية واقتصادية متباينة. غير أن تعاقبها المنتظم أبقى معنى العهد ثابتًا، وربط المراحل المتغيرة بأصل الدولة ومبادئها.

وخلال تلك العقود، اتسعت مراسم البيعة من المركز إلى المناطق، فتلقى أمراؤها بيعة المواطنين نيابة عن الملك، وتحولت مقار الإمارات والمجالس إلى امتدادات للمشهد الوطني. لم تعد البيعة محصورة في قاعة واحدة، وإن بقي لقصر الحكم وزنه التاريخي؛ صارت المملكة كلها مجلسًا واسعًا، تتعدد أبوابه ولا يتعدد عهده.

قصر المصمك

شاهد البيعات المتعاقبة

كان الملك سلمان بن عبدالعزيز قريبًا من قصر الحكم قبل أن يتلقى البيعة فيه ملكًا. فمن خلال توليه إمارة منطقة الرياض لعقود، عرف القصر مكانًا للعمل اليومي، ومجلسًا للمواطنين، ومقرًا يتجدد فيه اللقاء بين الدولة والمجتمع. كما عاصر البيعات التي انتقلت فيها المسؤولية بين إخوته الملوك، وتولى استقبال المبايعين والمعزين في لحظات كانت تختلط فيها مشاعر الفقد بواجب صيانة الاستمرار.

لهذا لم يكن حضور الملك سلمان في قصر الحكم عام 1436هـ عودةً بروتوكولية إلى مكان تاريخي؛ كان اكتمالًا لمسار طويل. فالأمير الذي شارك في تطوير الرياض، وحفظ لمركزها القديم موقعه داخل المدينة الحديثة، عاد إلى القصر نفسه حاملًا مسؤولية المملكة. وفي تلك المفارقة الهادئة شيء من عدالة المكان: المبنى الذي عرفه أميرًا، وكان شاهدًا على وفائه للملوك السابقين، فتح مجلسه ليستقبله ملكًا. وتتصل بهذه الدلالة عناية الملك سلمان بمنطقة قصر الحكم خلال إمارته للرياض؛ إذ وُضع لها برنامج تطوير حافظ على طابعها التاريخي والعمراني، وافتتح الملك فهد مرحلته الكبرى عام 1412هـ. ولم تُعامل المنطقة بوصفها بقايا وسط قديم تعطلت وظيفته، وإنما بوصفها قلبًا تاريخيًا يمكن أن يستعيد نبضه داخل عاصمة تتوسع بسرعة.

سلمان يتلقى العهد

في الثالث من ربيع الآخر 1436هـ، استقبل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز في قصر الحكم بالرياض أصحاب السمو الأمراء، ومفتي عام المملكة، والعلماء، والوزراء، وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين، وجموعًا من المواطنين الذين قدموا البيعة على كتاب الله وسنة رسوله. اكتسب اختيار قصر الحكم عمقه من اجتماع السيرة الشخصية بالتاريخ الوطني. فالملك سلمان لم يتعرف إلى المكان في يوم بيعته؛ عرف مجالسه وتفاصيله ومسؤوليته الرمزية على امتداد سنوات طويلة. وبذلك جمع المشهد بين رجل صاغ جانبًا كبيرًا من نهضة الرياض، وقصر يمثل ذاكرتها السياسية، وبيعة افتتحت عهدًا جديدًا للمملكة.

وبين بيعة الملك عبدالعزيز في منزل أهلي بالأحساء وبيعة الملك سلمان في قصر الحكم، تبدلت صورة البلاد على نحو جذري. توحدت الأقاليم، ورسخت المؤسسات، واتسعت المدن، وصارت الدولة ذات حضور دولي مؤثر. ومع ذلك بقيت البيعة محتفظة بجوهرها: عهدًا تُسلَّم به المسؤولية، وتعلن من خلاله الجماعة الوطنية التفافها حول قيادتها.

المكان يحفظ العهد

حين يبقى بيت البيعة، والمصمك، وقصر الحكم، والمربع، تبقى مراحل التأسيس قابلة للقراءة خارج الكتب. يستطيع المكان أن يقول ما لا تقوله الوثيقة وحدها: حجم المجلس، وقرب الناس، ومادة الجدار، والمسافة بين موضع القرار وباب المدينة. لقد غادر المبايعون مجالسهم، وتعاقبت أجيال بعدهم، لكن الأمكنة بقيت ممسكة بطرف العهد. ليست حجارتها ذاكرةً صامتة؛ إنها صفحات لم تحتج إلى حبر. ومن بيت البيعة إلى قصر الحكم، يمكن قراءة تاريخ المملكة بوصفه انتقالًا متصلًا من وحدة صنعها الملك عبدالعزيز إلى عهد يقوده الملك سلمان، وبينهما ملوك حمل كل واحد منهم الأمانة، ثم سلّمها مكتملةً إلى من يليه.

بيعة الملك
الثانية عشرة

الغلاف

خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز

منابر وفضاءات جديدة جعلت الابداع أكثر حضورًا في المجتمع ..

عهد سلمان الذي اتسعت فيه الثقافة.

كتب ـ أحمد الغـــر

تتغير علاقة المجتمع بالثقافة حين يصبح للكتاب عنوان آخر غير رف المكتبة، وللقصيدة موعد خارج روزنامة المناسبات، وللموهبة مكان تستطيع أن تبدأ فيه دون انتظار دعوة. عندئذ، يغدو السؤال عن قرب المعرفة من الناس، وعن المسافة التي يقطعونها للوصول إليها، بقدر ما هو سؤال عن عدد المؤسسات والفعاليات. ومن هذه الزاوية يمكن قراءة جانب أصيل من التحول الثقافي في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز: اتساع الأماكن التي تستقبل الثقافة، وتنوع الفاعليات التي تشارك في صنعها.

ومع حلول الذكرى الثانية عشـــرة للبيعة، يكتسب هذا التحول دلالته من صلته بسيرة ملك عرف الكتاب والتاريخ والصحافة قبل توليه الحكم بعقود. فقد كانت الثقافة حاضرة في المملكة بمؤسساتها وأنديتها ومجالســـها الأدبية؛ وما تحقق في هذا العهد منح ذلك الرصيد منافذ أوسع إلى الحياة العامة، ووصل بين رعاية المعرفة وتطوير الأماكن التي تتيح تداولها. هكذا اتسعت المائدة الثقافية، وصار في وسع مزيد من الناس أن يجدوا مقاعدهم حولها.

ملكٌ وقارئٌ شغوف

في ســـيرة الملك ســـلمان، تبدو المكتبـــة الخاصة تفصيلًا كاشـــفًا عن علاقة ممتـــدة بالمعرفة. فقد نشأت مع اهتمامه بالقراءة، وتنامت مقتنياتها لتضم الكتب الموسوعية والدوريـــات والرســـائل الجامعية والأدب والشعر. وقيمة هذه المكتبة تتجاوز كثرة محتوياتها إلى ما تقوله عن صاحبها: رجـــل دولة يحتفظ للقراءة بمـــكان في يومه، ويعامل التاريـــخ باعتباره معرفة تحتاج إلى التثبت وحسن الفهم. فالكتاب هنا أقرب إلى مجلس إضافي، يلتقي فيه القارئ بأصحاب التجارب، ويصغي إلى أصوات لا تجمعها غرفة واحدة. وتكشـــف صلتـــه بـــدارة الملك عبدالعزيز عن الوجه المؤسســـي لهـــذا الاهتمام. ففـــي محاضرته بجامعـــة أم القرى عـــام 1429هـ، التي وثقتها الدارة لاحقًا في كتاب "ملامح إنســـانية من سيرة الملك عبدالعزيز"، اســـتعاد جوانب من شخصية المؤسس وقيمه وتعامله مع الناس، مســـتندًا إلـــى ما وعاه

وســـمعه وقرأه وروايات الثقات. ولهـــذا الاختيار مغـــزاه؛ إذ يقرّب التاريخ من حياة الإنســـان، ويمنح القـــارئ فرصة لفهـــم القيم التي صاحبـــت بناء الدولـــة، إلى جانب وقائع التوحيد وتطور المؤسسات.

ومن هذه الصلـــة المبكرة بالكتاب والتاريخ، يمكن فهم عمق الرعاية الثقافية في عهده؛ فالمعرفة التي تحظى باهتمـــام القائد تحتاج إلى مؤسسات تحفظها، وإلى فضاءات تتيح للأجيال الاقتـــراب منها. وقد منح هذا الاهتمـــام التحول الثقافي صلته بذاكرة البـــلاد، فيما فتحت رؤية السعودية 2030، بقيادة سمو ولي العهد رئيـــس مجلس الوزراء الأمير محمد بن ســـلمان، مجالات أوسع لممارسته وتطويره.

منظومة ثقافية متكاملة

شـــهد عهد الملك ســـلمان بناء منظومـــة ثقافيـــة تتـــوزع فيها المسؤوليات بين التنظيم والتعليم والإنتـــاج وإتاحـــة المعرفة. ففي يونيو 2018 أُنشـــئت وزارة الثقافة مستقلة عن الإعلام، ثم أُقرت في فبرايـــر 2020 إحدى عشـــرة هيئة متخصصة: الأدب والنشر والترجمة، والمكتبات، والتـــراث، والمتاحف، والأفلام، والموســـيقى، والمسرح والفنون الأدائية، والفنون البصرية، وفنون العمارة والتصميم، والأزياء، وفنون الطهي. وأتاح هذا التخصص لـــكل مجال جهة تعنـــى بتطويره وتأهيـــل ممارســـيه، وتصل بين الموهبة والفرصـــة المهنية، وبين الإنتاج الثقافي والجمهور.

وفي ســـبتمبر 2020 تأسس مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ليمنح خدمة العربية مرجعية علمية ذات امتداد دولـــي. وتتنوع أعماله بين تعليم اللغة والبحث والحوسبة اللغوية، ومن أدواته اختبار "همزة" ومركـــز "ذكاء العربية". وفي عام 2021 دُشّـــن مبنى المعهد الملكي للفنون التقليديـــة بالرياض، الذي يحمل هويـــة "وِرث"، ليعمل على تعليم الفنـــون التقليدية وصونها وتقديـــر أصحابها. وهنا تتســـع وظيفة المؤسسة الثقافية لتشمل المهارة التي تحملها اليد، والمعرفة التي تحفظها الذاكرة، واللغة التي تستوعب التطبيقات الحديثة.

وعلى خريطة المنشآت؛ يبرز مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي (إثراء) بالظهران، الذي دشّنه الملك سلمان في ديسمبر 2016، وافتُتح للجمهور عام 2018، جامعًا المكتبة والمتحـــف والمســـرح والســـينما ومتحـــف الطفل ومختبـــر الأفكار. ولا شـــك أن اجتماع هذه المرافق يتيح للأســـرة مداخل متعددة إلى المعرفة، ويجعل الانتقال من كتاب

«تمثل الثقافة بمفهومها الشامل قاسماً مشتركاً أساسياً بين شعوب العالم وعاملاً مهماً لتعزيز الأمن والسلم، وترسيخ مفهوم التعايش والحوار العالمي من أجل مستقبل أفضل»

خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز في كلمته خلال استقبال ضيوف «الجنادرية ٣٣» من المفكرين والأدباء، بقصر اليمامة بالرياض، يوم ٢٣ ديسمبر ٢٠١٨

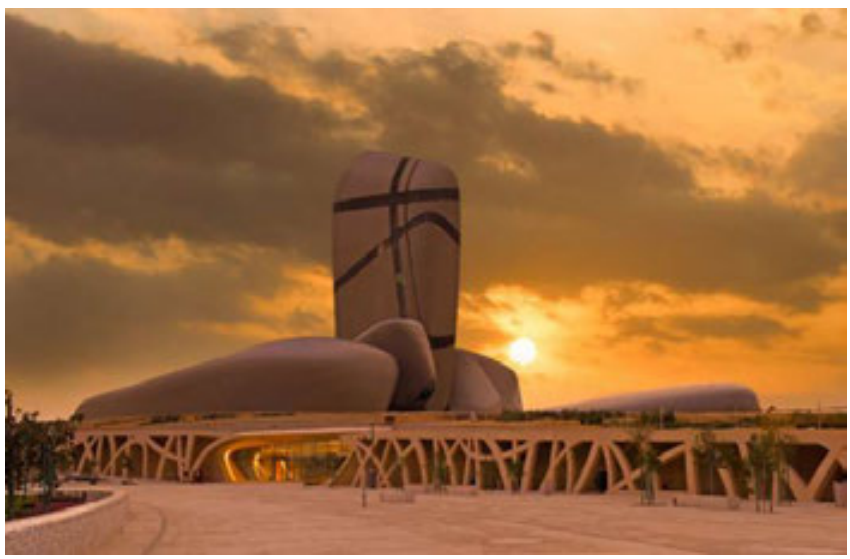

مركز إثراء

إلى معرض أو عرض فني جزءًا من تجربة واحدة. وتستمد هذه المنشأة أهميتها من قدرتها على جمع تخصصات وجمهور متنوعين، ومنح التعلم صيغًا تتجاوز تلقي المعلومة إلى اختبارها ومناقشتها.

ويكمل معهد مسك للفنون، الذي تأسس عام 2017، جانبًا مهمًا من هذه المنظومة؛ إذ يعمل، بوصفه مؤسسة ثقافية غير ربحية تابعة لمؤسسة محمد بن سلمان (مسك)، على دعم الفنانين بالتعليم والخبرة وإتاحة فرص التطور. وتنبع أهمية هذا الدور من حاجة الموهبة إلى مرافقة مهنية: عين تدربها على قراءة العمل، ومساحة تمنح التجريب وقته، وصلات تتيح لها التعرف إلى تجارب فنية أخرى.

وفي الرياض؛ افتُتح مركز "فناء الأول" بحي السفارات في ديسمبر 2022، ليتيح مساحات للمعارض وورش العمل والملتقيات والتبادل المعرفي. وتكشف فكرته عن وجه آخر لاتساع الثقافة: مكان يجمع أصحاب الاهتمامات المختلفة حول تجربة مشتركة، ويجعل الحوار بين الثقافات نشاطًا له عنوان يمكن زيارته، وبرنامج يمكن متابعته. وفي جدة؛ افتُتح "حي جميل" في ديسمبر 2021، بوصفه

معرض الرياض الدولي للكتاب

مجمعًا إبداعيًا تطوره وتديره "فن جميل"، تتكامل فيه المعارض والتعلم ومساحات العمل الإبداعي، وأضيفت إليه "سينما حي" عام 2022. ويُظهر هذا النموذج قيمة مشاركة المؤسسات المستقلة في توفير أماكن دائمة للفنون، وبناء علاقة مع المجتمع المحيط. وباختلاف وظائف هذه المنشآت، تتكون بنية تسمح للنشاط بأن يستمر، وللموهبة بأن تجد مكانًا تتدرب فيه وتعرض عملها وتلتقي جمهورها.

أما صندوق التنمية الثقافي، الذي تأسس عام 2021 ويرتبط تنظيميًا بصندوق التنمية الوطني، فيعالج احتياجًا مكملًا: تمويل النشاط الثقافي وتحفيز الاستثمار فيه. فاستمرار دار نشر أو مشروع إبداعي يحتاج، إلى جانب الفكرة، إلى موارد وإدارة وفرص للنمو. وبذلك تتجاور في المنظومة جهات التنظيم والتأهيل والتمويل، وتتوافر للممارسة الثقافية أسباب أوسع للاستقرار.

بينالي الدرعية للفن المعاصر

فعاليات ترسم المشهد

تتضح ملامح الاتساع الثقافي في عهد الملك سلمان من خلال فعاليات استعادت حضورها، وأخرى وُلدت في عهده ثم توالت دوراتها، مانحة الجمهور مواعيد متجددة مع الكتاب والسينما والفنون. وقيمة هذه المحطات فيما أتاحته من فرص للمشاركة، وفي انتقال التجربة من حدث ينتظره المهتمون إلى موعد تتسع حوله دائرة الحضور. ففي السينما؛ استأنف مهرجان أفلام السعودية نشاطه بدورته الثانية في فبراير 2015، بعد دورته الأولى عام 2008، ثم تتابعت دوراته وتطور دوره في احتضان صناع الأفلام وكتاب السيناريو السعوديين. وجاءت عودة دور

وزارة مستقلة للثقافة وا هيئة متخصصة.. منظومة اتسعت في عهد الملك سلمان لدعم الإبداع وتقريب الثقافة من الجمهور

١٨. مليار ريال مساهمة مستهدفة للثقافة بحلول ٢٠٣٠.. وحصيلة عام ٢٠٢٥ تسجل ٦٣١٤ يومًا للفعاليات الثقافية وأكثر من ضعف المستهدف

المعهد الملكي للفنون التقليدية - وِرث

العرض السينمائي التجارية في أبريل 2018 لتفتح مجالًا أوسع للمشاهدة. أما مهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي، فقد انطلقت دورته الأولى بجدة في ديسمبر 2021، ووصل إلى دورته الخامسة عام 2025، لتجد الأفلام السعودية موعدًا دوليًا على أرض المملكة، تتجاور فيه العروض مع اللقاءات المهنية وفرص التعارف بين صناع السينما.

وفي ميدان الكتاب؛ مثّل عام 2015 عودة معرض جدة الدولي للكتاب بعد انقطاع، ثم توالت نسخه حتى جمعت دورة 2025 أكثر من ألف دار نشر ووكالة من 24 دولة، وقدمت أكثر من 170 فعالية ثقافية. كذلك واصل معرض الرياض الدولي للكتاب، الممتد تاريخه إلى ما قبل هذا العهد، تطوير حضوره؛ فاستقطبت الدورة الأخيرة أكثر من ألفي دار نشر ووكالة محلية وعالمية. وتبرز دلالة هذا التطور في اجتماع اقتناء الكتب مع الحوار والورش ولقاءات المؤلفين، بحيث يجد الزائر حول الكتاب أسبابًا أخرى للبقاء والمشاركة والعودة.

وفي الفنون البصرية؛ أطلق الملك سلمان برنامج "الرياض آرت" عام 2019، وانبثق عنه احتفال "نور الرياض" الذي بدأت دورته الأولى في مارس 2021. وتوالت نسخه حتى الخامسة عام 2025، التي قدمت 60 عملًا فنيًا أبدعها 59 فنانًا من 24 دولة. وهنا يظهر أحد التحولات الهامة: خروج الفن إلى الفضاء العام، ولقاؤه بالناس في مواقع حركتهم اليومية، ليصبح اكتشاف العمل الفني جزءًا من تجربة المدينة. كما شهد عهد الملك سلمان تأسيس مواعيد دولية جديدة للفنون؛ فانطلقت أولى دورات بينالي الدرعية للفن المعاصر في ديسمبر 2021، وأقيمت دورته الثالثة عام 2026 في حي جاكس بالدرعية. وفي جدة، انطلق بينالي الفنون الإسلامية عام 2023 بعنوان "أول بيت"، ثم أقيمت نسخته الثانية عام 2025 بعنوان "وما بينهما"، في صالة الحجاج الغربية بمطار الملك عبدالعزيز الدولي.

ومن الصيغ التي برزت خلال هذا العهد أيضا تخصيص أعوام للاحتفاء بعناصر الثقافة الوطنية؛ فخُصص عام 2020 للخط العربي، ثم مُدد الاحتفاء به إلى 2021، وتلاه عام القهوة السعودية 2022، والشعر العربي 2023، والإبل 2024، والحرف اليدوية 2025. وبموازاة

الفعاليات، شـــهدنا أيضا محطات في تعزيز الاعتراف الدولي بالتراث السعودي، منها إدراج منطقة حِمى الثقافية في قائمة التراث العالمي لليونســـكو عـــام 2021، والمنظر الثقافي لمنطقة الفاو الأثرية عام 2024. وهو مـــا يبرز امتداد العناية الثقافية إلى تعريف العالم بتاريخ المملكة وحضارتها.

بيوت تسكنها المعرفة

وإلى جانب هـــذه المواعيد الكبرى، تقدم "بيـــوت الثقافـــة" صيغة تســـتقر في يوم المجتمع العادي. فالمبـــادرة التـــي تتولاهـــا هيئة المكتبـــات ضمن برنامـــج جودة الحياة تعيد تأهيل المكتبات العامة وتطوير وظائفهـــا لتصبح أماكن للقراءة والتعلم واللقاء والمشاركة. يحتفظ الكتاب بموقعه الأساســـي، فيما تتســـع المساحة حوله للورش والمعارض والبرامج التفاعلية. كأن المكتبة تضيف هوامش واسعة إلى صفحاتها، وتتـــرك للزائر أن يكتب فيهـــا تجربته الخاصة، ســـواء جاء باحثًا عن مرجـــع أو راغبًا في تعلم مهارة.

وفي ســـبتمبر 2025 أعلنت هيئة المكتبات تجاوز زوار بيوت الثقافة نصف مليـــون زائر منذ انطلاق أول بيت في ديســـمبر 2023، وذكرت بيوتًا فـــي أحد رفيـــدة والدمام وســـكاكا وبريدة وحائـــل ونجران وجيزان والريـــاض. ويعكس هذا الانتشـــار أهميـــة توزيـــع فرص المشـــاركة على مناطق متعددة. أما الأثـــر الأطول فيتصل بما تتركه الزيارة في الســـلوك: طفل يعود إلى كتاب اختاره، أو مشـــارك يطور مهارة بدأها في ورشـــة، أو قارئ يجد جماعة تشاركه اهتمامه.

المقاهي الأدبية

تســـتثمر المقاهي الأدبيـــة مكانًا مألوفًا فـــي الحياة الاجتماعية. وقد أُطلق برنامج "الشريك الأدبي" عام 2021 لتمكين المقاهي من احتضان النشـــاط الأدبي وتقريب المؤلفين من جمهور أوسع. وتشمل فعالياته مناقشة الكتب والأمسيات الشعرية والتوقيعـــات واســـتضافة نوادي القراءة، بما يجعـــل اللقاء بالكتاب ممكنًا في المكان الذي اعتاد الناس الذهاب إليه أصـــلًا، دون ترتيبات استثنائية في يومهم.

تتبـــدل هنا طبيعة المســـافة بين الكاتب والقارئ، وتمنح هذه الألفة الأدب فرصة للوصول إلى أشخاص لـــم يعتـــادوا ارتياد الأمســـيات. وتوســـعت المبادرة في نســـختها الخامسة لتضم، إلى جانب المقاهي، أندية الهـــواة الثقافية والجمعيات ودور النشر والمساحات المشتركة. ومع تعدد الشركاء، تتسع إمكانات التنظيم والوصول إلـــى الجمهور. وتظل جودة الاختيار وحســـن إدارة الحوار أساسًـــا لبقاء التجربة؛ فحين يجد الـــرواد برنامجًا يحترم وقتهم واهتماماتهم، يتكون حول المكان رصيد مـــن اللقـــاءات ينتظرونه، وتتطور الصحبـــة الاجتماعية إلى علاقة بالقراءة والمشاركة.

ثمار الرعاية الثقافية

تأخذ ثمار رعاية خـــادم الحرمين الشـــريفين الملـــك ســـلمان بـــن عبدالعزيـــز للثقافـــة صورتهـــا الأوضـــح في اتســـاع إتاحتها للناس. فبحســـب حصيلة برنامج جودة الحيـــاة لعام 2025، المنشورة في 2026، بلغ عدد أيام الفعاليـــات الثقافيـــة 6314 يومًا، متجاوزًا ضعف المستهدف، ووصل عدد مواقع التـــراث الوطني القابلة للزيارة إلى 232 موقعًا. وتكشـــف هذه الحصيلة عن كثافة النشـــاط وتعدد الأماكن التي تمنح المجتمع فرصة للقاء ثقافتـــه والتعرف إلى تاريخ بلاده.

وامتد هذا الأثر إلى العام الجاري؛ إذ اختُتمت في يوليو الماضي النسخة الخامسة من "الشريك الأدبي" بأكثر من مليون مســـتفيد، وبمشاركة 220 شـــريكًا في 57 مدينة. وفي ظل الرعاية الملكيـــة وقيادة ولي العهـــد الأمير محمد بن ســـلمان لرؤيـــة الســـعودية 2030، يتجه الطموح إلى بلوغ مساهمة القطاع الثقافـــي 180 مليار ريال في الناتج المحلـــي الإجمالي بحلـــول 2030. وبين المشاركة المتحققة والطموح المقبل، تتجلى دلالـــة المنجز في عهد الملك ســـلمان: ثقافة تتسع دوائرها، ويزداد شـــركاؤها، وتجد فيها الأجيال مجالًا للمعرفة والعمل وصناعة المستقبل.

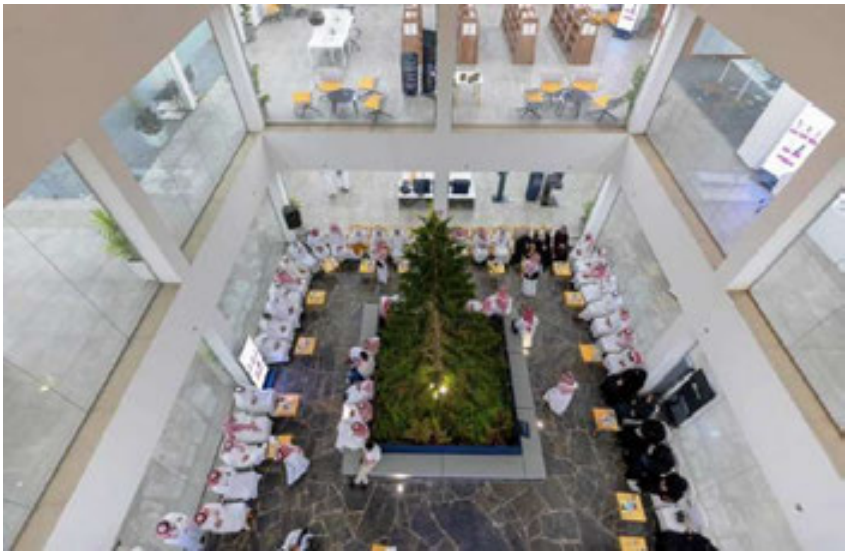

بيوت الثقافة

بيعة الملك
الثانية عشرة

ديواننا

محسن علي
السهيمي

بَيْعَةُ الشَّعْبِ

عَشْرٌ تَوَلّتْ.. وَعَامٌ بَعْدَهُ عَامُ
وَبَيْعَةُ الشّعْبِ أَحْكَامٌ وَإِحْكَامُ
«سَلْمَانُ».. أَدْنَتْ لَكَ الْعَلْيَاءُ هَامَتَهَا
وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ إِصْرَارٌ وَإِقْدَامُ
تَمْضِي السِّنُونَ وَفِيكَ الْقَلْبُ يَمْلَؤُهُ
شَعْبٌ لَهُ فِي جَنَابِ الْحُبِّ أَرْقَامُ
إِنْ قِيلَ «سَلْمَانُ».. كَانَ الْفَخْرُ وَاشْتَعَلَتْ
فِيكَ الْقَوَافِي لَهَا وَقْعٌ وَإِلْهَامُ
وَافْتَرّ ثَغْرُ الْمَدَى عِزًّا بِهِ نَعِمَتْ
أَرْجَاءُ مَمْلَكَتِي.. وَاسْتَبْشَرَ الشّامُ
وَقَامَ لِلْعُرْبِ تَارِيخٌ وَمَلْحَمَةٌ
وَعِزٌّ لِلْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ إِسْلَامُ
هَذَا لِوَاءُ الْعُلَا فِي كَفِّكُمْ.. سَمَقَتْ
بِهِ الْبِلَادُ.. لَهَا مَجْدٌ وَأَيّامُ
فَقُمْتَ فِي خِدْمَةِ «الْبَيْتَيْنِ» مَفْخَرَةً
«وَلِلْكِتَابِ» عَلَى كَفَّيْكَ إِكْرَامُ
وَكُنْتَ لِلْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مُنْتَهَلًا
فِي كُلِّ شَأْنٍ لَكُمْ فَضْلٌ وَإِنْعَامُ
أَعْلَيْتَ صَرْحَ الْبِنَا فِي مَوْطِنِي فَسَمَتْ
آمَالُنَا.. وَتَمَطّتْ ثَمّ أَحْلَامُ
وَكُنْتَ عَزْمًا إِلَى الآفَاقِ.. مُقْتَفِيًا
هَدْيَ «الْإِمَامِ» لَكُمْ سَهْمٌ وَإِسْهَامُ
وَكُنْتَ حَزْمًا عَلَى الْبَاغِي فَلَا سَلِمَتْ
يَدَاهُ.. مَا رَفْرَفَتْ بِالنّصْرِ أَعْلَامُ

بيعة الملك
الثانية عشرة

حديث
الكتب

قراءة:
سارة الخزيم

كتاب أكاديمي يحاول حصر مسيرة خادم الحرمين الشريفين..

سلمان بن عبدالعزيز آل سعود.. سيرة توثيقية.

ليست كتب السير عن الملوك مجرد سرد لتاريخ ميلاد وتولي منصب فقط، بل هي قراءة في تاريخ دولة ومرحلة وزمن كُتب ويكتب وسيحكى للأجيال القادمة.

وهذا ما أدركه الأستاذ الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد في كتابه التوثيقي المهم «سلمان بن عبدالعزيز آل سعود - سيرة توثيقية».

الكتاب ليس من كتب المديح المناسباتي التي تكثر عند الأحداث، بل هو عمل أكاديمي متقن وموضوعي، حاول فيه المؤلف - وهو المؤرخ المعروف وعضو مجلس الشورى سابقاً - أن يحصر المسيرة الكاملة لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، منذ نشأته الأولى في كنف والده المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله، حتى توليه مقاليد الحكم.

أسلوب التوثيق لا الإنشاء

أهم ما يميز الكتاب هو منهجه، حيث أن الدكتور الحميد لم يكتب مقالاً أو قصة فقط، بل اعتمد على التوثيق الببليوجرافي الدقيق وأقصد هنا أن المؤلف اعتمد على قائمة منظمة وموثقة لمصادر معلوماته.

وهذا ما أشار إليه الباحث أحمد العساف بأن الكتاب جاء حافلاً بالدلالة، إلى جانب كتاب الأستاذ محمد الراشد «ببليوجرافية مختارة بما كتب عن سلمان».

المؤلف تتبع كل ما كُتب عن الملك سلمان: مقالاته هو، وتقديماته للكتب، وكلماته، ومحاضراته التي ألقاها - ومنها محاضرتان مهمتان صدرتا في كتابين مستقلين - إضافة إلى ما كتبه المؤرخون والمفكرون عنه.

ابتدأ المؤلف بكتابه بفصل السيرة والشخصية ...ثم نهضة الرياض.. ثم التاريخ والثقافة فالعمل الخيري والإنساني ثم الزيارات الميدانية واختتمها بالرؤى المعاصرة هذا المنهج يجعل الكتاب مرجعاً للباحث والأكاديمي

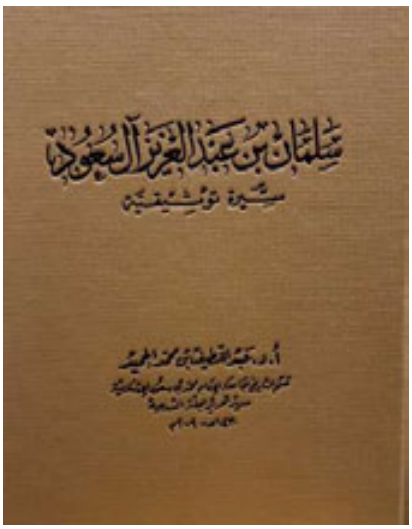

غلاف الكتاب

الذي يبحث عن معلومات عن رجل دولة جعل الرياض منارة لعواصم كبرى، لا مجرد قراءة عابرة.

الرياض في قلب السيرة:

من الإشارات الجميلة التي توقف عندها الكتاب وعلق عليها كثير من القراء، أن الملك سلمان حفظه الله ولد في نفس اليوم والشهر الذي استرد فيه والده الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه مدينة الرياض. وكأنها إشارة بأن يكون هذا الابن هو أمين الرياض وأميرها ومؤرخها وحارس ذاكرتها.

ولهذا يفرد الكتاب مساحة واسعة لمرحلة إمارة الرياض التي امتدت لأكثر من خمسة عقود.

لم تكن إمارة مدينة فقط، بل كانت صناعة عاصمة من جديد.

من مدينة صغيرة من الطين إلى عاصمة من أكبر عواصم العالم.

رحلة قراءتي لهذا الكتاب جعلتني أتذكر بعض الجُمل التي رسخت بذاكرتي على سبيل المثال اقتبس جملة من الكتاب عن أحد عوامل نجاح الملك سلمان بأمارة مدينة الرياض «أنه رجل دولة لدرجة جعلت منه ممثلا جيداً للبلاد كلها، كما هي العاصمة التي يتولى مسؤوليتها، فالقادم إلى البلاد يحس بعد زيارته أمير الرياض أنه زار أحد كبار القادة المسؤولين في الدولة».

يوثق المؤلف الحميد كيف كان الملك سلمان يومياً في قصر الحكم، أبوابه

مفتوحة للجميع، يستقبل المواطنين، ويعرف الأسـر والعوائل ويلم بجميع نواحي الحياة الاجتماعية للعاصمة، ويحفظ أنساب الرياض وتاريخها.

ولذلك لم يكن غريباً أن يقترح الملك عبدالله رحمه الله على الملك فهد رحمه الله أن يكون الأمير سلمان حينها رئيساً لمجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز، فكانت نفخة حياة جديدة في الـدارة، واستمر اهتمامه بالتاريخ حتى بعد توليه مهامه السيادية الكبرى.

رجل الدولة والثقافة:

كتاب المؤلف الحميد يكسر الصورة النمطية التي عهدناها عن رجل الدولة السياسي ومراحله السياسية والحياتية، بل يبرز لنا أيضا جانباً آخر لسلمان المثقف الرجل الـذي عُـرف بعنايته واهتمامه بالمخطوطات والتاريخ والثقافة، وحرصه ورعايته لمؤسسات عدة مثل دارة الملك عبدالعزيز ومركز الشيخ حمد الجاسر، وبدعمه لطباعة الكتب على نفقته الخاصة.

وهذا الجانب الثقافي هو ما يجعل سيرته تهم كل قارئ وطني، لأنه كان قريباً من كل المناطق، يعرف رجالها وتاريخها، ويقدر أدوار أبنائها البارين بمناطقهم.

يضم الكتاب أيضا في الجزئية الأخيرة ملحق خاص بالكتاب يحتوي على بعض الوثائق والمطبوعات والصور الخاصة بالملك سلمان حفظه الله والخرائط الخاصة بمدينة الرياض.

لماذا نقرأ هذا الكتاب اليوم؟

في زمن رؤية المملكة 2030، يأتي هذا الكتاب ليجيب عن سؤال مهم: من أين جاءت هذه الرؤية؟

اقتبس جملة قرأتها للكاتب بالمقدمة عن سموه «خمسون عاماً من تاريخ نجد سطرها سلمان بعقله وفؤاده وشبابه

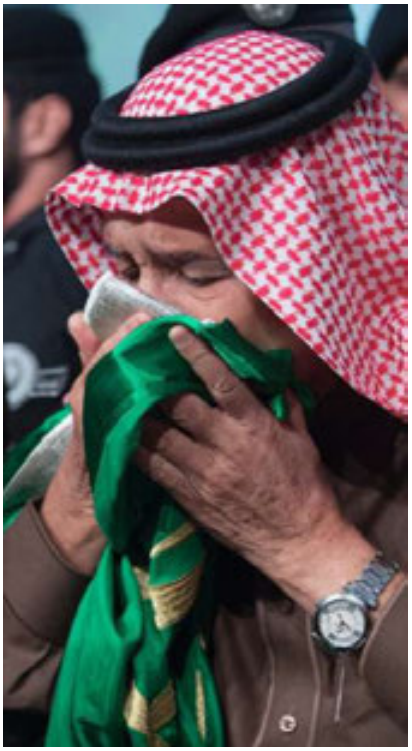

ورجاله عمراناً بشرياً فريداً في المجالات شتى: التنموية والاجتماعية والمعرفية والاقتصادية والصحية والعمرانية».

الكتاب يوضح أن الحزم والعزم (وهو اللقب الـذي عـرف عن سموه سلمان الحزم والعزم) والإصلاح الإداري والانفتاح المدروس الذي نراه اليوم في عهد خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده،

لم يأتِ فجأة، بل هو امتداد لخبرة 80 عاماً من العمل العام، عاصر فيها الملك سلمان جميع ملوك المملكة، وتعلم مباشرة في مدرسة والده الملك المؤسس عبدالعزيز طيب الله ثراه.

الكتاب مقسم بشكل زمني دقيق، يبدأ من أخبار ولادته التي نشرتها صحيفة أم القرى عام 1356هـ وهو ابن سنتين في سفره مع إخوانه إلى مكة، وصولاً إلى المحطات الكبرى في حياته.

كتاب الدكتور عبداللطيف الحميد ليس كتاباً يُقرأ مرة ويوضع على الرف، بل هو مرجع و وثيقة وطنية وإرث ثقافي يستحقه الوطن لتخلد أعمال رجل عظيم قاد عاصمة الدولة لمدة تزيد عن خمسة عقود.

هذا الكتاب يعتبر عمل يحتاج أن يحذو حذوه باحثون ومفكرون وأكاديميون من كل منطقة لتوثيق تاريخ رجالات الدولة من منظور أكاديمي لا عاطفي.

أنصح أن يكون هذا الكتاب في مكتبة كل بيت مواطن سعودي، وأن تُخصص له زاوية «قرأت لك» في اليمامة، لأنه يمنح القارئ شعوراً بالطمأنينة بأن هذه البلاد قامت على أكتاف رجال يعرفون تاريخها جيداً قبل أن يخططوا لمستقبلها.

بيعة الملك الثانية عشرة

مقال

د. سونيا أحمد علي مالكي

@dr_malky

في ذكرى البيعة المباركة ..

أمل يتبلور وحلم يتحقق.

يصادف يوم الثالث من ربيع الآخر 1448 الذكرى الثانية عشرة لبيعة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وهي ذكرى عزيزة وغالية على كل مواطن ومواطنة في هذا البلد الكريم الذي اختصه الله بأنه أرض الحرمين الشريفين وقبلة المسلمين ومحجهم ومعتمرهم، ومهبط الوحي ومثوى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وينبغي التذكير ونحن نحتفي بهذه المناسبة السعيدة أنه عندما تسلّم سلمان بن عبد العزيز مقاليد الحكم عام 2015 لم يكن جديدًا على هذه المهمة الصعبة، فقد ظل يحمل هم وقضايا الوطن منذ صغره، عبر ما تقلده من مناصب ومهام ومسؤوليات، جعلته يكرس جهده وأوقاته في خدمة الوطن والمواطن. وإنجازات سلمان قبل أن يصبح ملكًا لا تعد ولا تُحصى، فعندما كان أميرًا للرياض، على مدى نصف قرن، ثم وليًا للعهد، حقق العديد من الإنجازات على مختلف الأصعدة داخليًا وخارجيًا، وسجل حضورًا في كثير من الأنشطة، وجاءت هذه الإنجازات على المستوى المحلي من خلال اهتمامه بالجيش والدفاع عن الوطن. كما كان له دور كبير في مجال مكافحة الإرهاب، والمحافظة على التراث، إلى جانب اهتمامه بالمحافظة على الهوية الإسلامية لبلاده، ورعاية الحجيج، كما اهتم بإرساء العدل والشفافية، وأولى اهتمامًا خاصًا بتطوير البنية التحتية في عاصمة بلاده، وتطويرها، وخلال فترة ولايته للعهد لعب دورًا سياسيًا واقتصاديًا واستراتيجيًا في أنحاء العالم؛ حيث قام بزيارات تاريخية مميزة ومهمة بالنسبة للمملكة العربية السعودية ومستقبل العلاقات بينها وبين المجتمع الدولي، واستطاع منذ توليه منصب القيادة النهوض بمستوى المملكة العربية السعودية بكافة المجالات، بالأخص مع وجود ولي العهد سمو الأمير محمد بن سلمان إلى جانبه يشد أزره، والذي أعلن عن مبادرة رؤية المملكة 2030 التي رأى فيها مستقبل الإصلاحات والتقدم النوعي للمملكة العربية السعودية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

وقد مهد الملك سلمان الطريق أمام التحولات الجذرية والإنجازات الضخمة التي تحققت في عهده – وما زالت تتحقق- بإجراء إصلاحات هيكلية طالت كافة مؤسسات الدولة، ومكافحة الفساد من خلال إطلاق حملة وطنية شاملة لمكافحة الفساد وحماية المال العام، وترسيخ قيم الشفافية والنزاهة والمحاسبة.

ما من شك أن ذكرى البيعة تتيح لنا الفرصة لرؤية بانورامية لما تحقق لبلادنا العزيزة من إنجازات في هذا العهد الذي أقل ما يوصف به بأنه العهد الذي نقل المملكة إلى مصاف الدول المتقدمة في العالم. ويمكن وصف هذا العهد أيضًا بأنه العصر الذهبي في المسيرة السعودية المباركة وبأنه عهد التحولات الكبرى، خاصة فيما يتعلق بالمشاريع العملاقة المنبثقة عن رؤية سمو ولي العهد الأمير محمد بن سلمان (رؤية 2030)، التي تهدف إلى تنويع الاقتصاد وتطوير البنى التحتية، وفي مقدمتها مشروع مدينة نيوم، والقدية، وروشن، وأمالا، وسندانة، ومدينة محمد بن سلمان غير الربحية، وجدة التاريخية، والجينوم السعودي، والمربع الجديد، وبوابة الدرعية، وبوابة الملك سلمان، وحديقة الملك سلمان ، والعلا، والرياض الخضراء، وغيرها. وقد حظيت المرأة السعودية بقدر كبير من اهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز عندما احتل موضوع تمكين المرأة ركنًا أساس في الرؤية وعندما رفع الملك سلمان العديد من القيود المفروضة على المرأة ووفرّ فرصًا واسعة أمامها، ما مكنها من تطوير مهاراتها وزيادة مشاركتها في سوق العمل والوصول إلى مناصب قيادية. أما على الصعيد الخارجي، استطاع خادم الحرمين الشريفين خلال السنوات القليلة الماضية أن يعزز مكانة المملكة على المستويين الإقليمي والدولي، بما انعكس على الدور الإستراتيجيّ للمملكة في القضايا الإقليميَّة والدوليَّة، وعزز مكانتها على الخريطة الدولية.

ويتميز خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز عن غيره من قادة وزعماء العالم بالعديد من المزايا، من أهمها أنه مؤرخ لتاريخ بلاده، وثانيهما أنه يضع للإعلام أهمية قصوى في سلم أولوياته.

وقد كرس خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حياته، كما يذكر سمو الأمير سلطان بن سلمان، في «خدمة الوطن والمواطن، ولازم جميع ملوك هذه البلاد، وعاش مع المواطنين وبين المواطنين، وله تقاطعات مع كل شرائح المجتمع الذين كانوا يأتون إلى مكتبه في قصر الحكم بالرياض بشكل يومي». وأوضح سموه أن خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - منذ بداياته الأولى في العمل وهو يجاهد في سبيل أمن واستقرار، وتطور الوطن وعمل بهمة وعزيمة وجسارة لتخطي كل الصعوبات والعوائق التي تعترض طريقه وطريق تطور الوطن ونموه.

تمضي المملكة في هذا العهد الميمون بخطى ثابتة نحو التنمية والتقدم والازدهار والتمكين في شتى المجالات مع إيلاء عناية خاصة للقوة الناعمة وللذكاء الصناعي والسياحة والثقافة والرياضة والعمل على تحقيق الرفاهية والحياة الكريمة للمواطن السعودي.

بيعة الملك
الثانية عشرة

ديواننا

د. محمد
راضي الشريف

سلمان

قائد سفينة السعد.

وَطَنِي جَعَلْتَ الْمَكْرُمَاتِ شِعَارِي
وَخِصَالَ كُلّ الْأَكْرَمِينَ فَخَارِي
وَدَرَجْتُ طِفْلًا فِي عُلَاكَ مُهَيْمِنًا
أَرْوِي لِمَجْدِ شَبِيبَتِي أَشْعَارِي
فَالِاسْمُ وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَزَمْزَمٌ
تَتْلُو الثَّنَاءَ بِلَيْلَتِي وَنَهَارِي
وَمَدِينَتِي بِالنُّورِ يَخْفِقُ فَضْلُهَا
فَعَلَى الزَّمَانِ تَزِيدُ بِاسْتِمْرَارِ
وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ الْكِرَام مَكِينَةٌ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَخْيَارِ
وَطَنِي بِهِ الصِّيدُ الْكِرَامُ تَأَثَّلُوا
وَغَدَا سَنَاهُمْ بِالْجَمَالِ يُمَارِي
حَتّى اعْتَصَمْتُ بِفَضْلِ ذَاكَ بِفِكْرَةٍ
أَنّ افْتِخَارَ النّاسِ بَعْضُ عَوَارِ
وَطَنُ الْعُلَا يَكْسُو الْجِبَاهَ مَهَابَةً
يَغْشَى سَنَاهَا كُلّ مُدْلِجِ سَارِي
لِنَفُوزَ فِي سَاحِ الْكِرَامِ بِدَوْلَةٍ
تَسْقِي الْبِطَاحَ بِغَيْثِهَا الْمِدْرَارِ
سِتٌّ وَتِسْعُونَ انْقَضَتْ وَبِلَادُنَا
بِالرّايَةِ الْخَضْرَاءِ يَخْفِقُ سَارِي

فَعَلَى الْجَمِيعِ غِلَالَةٌ مِنْ مُقْرِنٍ
نَزْهُو بِنَسْجِ شَمِيمِهَا وَنُمَارِي
فَسَفِينَةُ السَّعْدِ اشْرَأَبّ شِرَاعُهَا
لِيَقُودَهَا سَلْمَانُ نَسْلُ نِزَارِ
وَمُحَمَّدٌ فِي الْأَكْرَمِينَ مُحَمَّدٌ
يَبْنِي بِفَضْلِ رُؤَاهُ خَيْرَ مَسَارِ
أَمْنٌ وَعَيْشُ رَخَاءٍ يَتْلُو فَضْلَهُ
الصَّادِقُونَ بِصَفْحَةِ الْأَخْيَارِ
وَالْعِلْمُ مُمْتَدٌ سَنَاهُ يَؤُمُّهُ
هِمَمُ الرِّجَالِ وَحِكْمَةُ الْأَبْرَارِ
فَلْتَبْقَ مُخْضَلّ الْجَنَابِ مُعَظَّمًا
وَشَمِيمُ عِطْرِكَ فِي الْبَرِيّةِ سَارِ

بيعة الملك
الثانية عشرة

أمين الحباره
@Ameentoon

الدكتور أحمد أسامة أحمد عبدالحميد المدير العام شركة أعمال الحياة الدولية

و شركة فجر السماء الدولية لـ«اليمامة»:

ذكرى اليوم الوطني الـ 96 يذكرنا دائماً بالإنجاز العظيم الذي حققه المؤسس الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه.

حوار محمد الحماد

في بداية حديثنا مع الدكتور أحمد أسامة أحمد عبدالحميد المدير العام شركة أعمال الحياة الدولية و شركة فجر السماء الدولية قال: أتقدم بأسمى وأصدق آيات التهاني والتبريكات لمقام سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله ورعاه وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله ورعاه بمناسبة اليوم الوطني الـ 96 للمملكة العربية السعودية. ونحمد الله أولاً ثم نحمده جل وعلا على حنكة القيادة المتوكلة على ربها في عزمها بوعي مستنير وعزم لا يلين على الاستمرار في ترسيخ الأمن والعدل والاستقرار وفي المضي قدماً بالأخذ بأسباب النمو والازدهار.

الدكتور أحمد أسامة أحمد عبدالحميد المدير العام
شركة أعمال الحياة الدولية
وشركة فجر السماء الدولية

رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

تهنئة نجاح بمناسبة مرور
عشر سنوات على رؤية 2030

رؤية حكيمة
ومكتسبات عظيمة

نبارك لكم هذا الإنجاز

وما تحقق خلال السنوات العشر من منجزات تنموية وحضارية

رؤيتنا تنفيذ مشاريع نوعية تواكب مستهدفات رؤية 2030
وتسهم في بناء مستقبل عمراني مستدام

الدكتور أحمد أسامة أحمد عبد الحميد

المدير العام
شركة أعمال الحياة الدولية
وشركة فجر السماء الدولية

للتواصل (واتساب أو إتصال) على مدار الـ ٢٤ ساعة
+966580556597

FJRCO فجركو
شركة فجر السماء الدولية
FAJR ALSAMAA international company

شركة أعمال الحياة الدولية
AAMAL ALHAYAH international company

المجلس

حسن عبدالحي قزاز (2-2)

من صناعة الكلمة إلى صناعة الطوب.

د. عبدالعزيز بن صالح بن سلمة

اتصالاً بما ورد في العدد السابق، كان لقاء رؤساء تحرير الصحف السعودية مع ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية والمالية الأمير فيصل بن عبدالعزيز في الطائف بدعوة منه- رحمه الله- فرصة ثمينة لهم للحوار مع ثاني أرفع مسؤول في البلاد؛ وتم ذلك اللقاء الذي كان أول لقاء يخصص لرؤساء الصحف والمجلات السعودية لوحدهم في جو ودي، بل وأخوي كما وصفه الأمير فيصل، حسبما نشر في صحيفتي «عرفات» و«الأضواء» في حينه. وأتيح لرؤساء تحرير الصحف والمجلات في ذلك اللقاء الذي جرى في الطائف مساء الخميس 9 ربيع الثاني 1378 هـ، الموافق 23 أكتوبر 1958 م، طرح قضاياهم والتعبير عن همومهم، ومن أبرزها سبل تعزيز وضع الصحافة السعودية وتطويره، ونقل الصحف والمجلات السعودية داخل المملكة وخارجها مجاناً على متن الخطوط السعودية، نظراً لما كانت تشكله كلفة التوزيع وبطئه من عقبة كانت مصدر شكوى أكثر من صحيفة؛ وضعف الإعلان التجاري وموضوع إلغاء الرقابة المسبقة على الصحف...، وتركزت أغلب الأسئلة على وضع البلاد الاقتصادي وما تم من إجراءات لمعالجة الأزمة التي مرت بها البلاد بعد العدوان الثلاثي على مصر نهاية عام 1956 م، والتي قطعت المملكة بسببها علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا وأوقفت تصدير النفط إليهما...؛ والاستفسار عن سير مشاريع الدولة وموقف الحكومة تجاه المطالب بمراجعة اتفاقية امتياز النفط مع أرامكو...

ومن ضمن ما قاله الأمير فيصل خلال اللقاء الذي استمر ساعتين ونصف: «لقد عانت البلاد في منتصف السنة الماضية أزمة مالية حادة، وذلك لأن حكومة جلالة الملك كانت قد التزمت بالتزامات أكثر مما تستطيع بالنسبة للبلاد العربية- يقصد مصر والأردن...، وربما الجزائر التي كانت ثورة شعبها ضد الاستعمار الفرنسي في أوجها وصاحبها تأييد حكومي وشعبي كبير مادياً ومعنوياً- وكذلك بالنسبة للمشاريع المحلية العامة، وصاحب هذا نقص في الواردات فنتج عن ذلك الأزمة المالية...» وبالنسبة لمطالب الصحفيين فقد ذكر قزاز أن الأمير فيصل «طلب إلى أصحاب الصحف أن يفكروا في وسائل عملية لرفع مستواها.. وجعلها في حال أحسن مما هي عليه الآن».

بعد أربعة أشهر، تبع ذلك اللقاء الذي وصفته الصحف بالتاريخي مؤتمر صحفي عقده الأمير فيصل في الرياض، عصر يوم الأربعاء 4 رجب 1378 هـ، الموافق 14 يناير 1959 م؛ دعي لحضوره جميع رؤساء تحرير الصحف في المملكة، بحضور عدد من الوزراء، وذلك بمناسبة إعلان

حسن عبدالحي قزاز

ميزانية الدولة للعام 1378/1379 هـ. وبعد تشرفهم بالسلام على سموه الكريم تفضل فوزع عليهم نسخاً من الموازنة السعودية.. ونسخاً أخرى من البلاغ الرسمي الذي أذيع ونشر مع الموازنة، ثم بدئ المؤتمر الصحفي الذي نقلت الصحف نصه كاملاً، وطرحت خلاله أسئلة تركز معظمها على القضايا الاقتصادية والمعيشية...، إلا أن واحد منها تعلق بالصحافة، حيث سأل رئيس تحرير صحيفة «حراء» صالح محمد جمال- « هل سيُعطى الصحفيون السعوديون امتيازات تساعدهم على أداء رسالتهم أسوة بالبلاد الأخرى؟»، فأجاب الأمير فيصل على هذا السؤال بالقول: «نظموا أنفسكم وتعاونوا فيما بينكم للمصلحة العامة، وسأعمل لكم ما تريدون.. كلفتكم أن تتفقوا على إدماج صحفكم لما فيه قوتها ورفع مستواها.. وأنا لا أحب أن ألزمكم بشيء وأخشى أن

أفرض عليكم شيئاً ربما لا يكون في صالح بعضكم، ولذا أحب أن تتفقوا فنحن إخوان وأسرة واحدة».

وبالنسبة لقضية الدمج فقد تم التداول بشأنه بين عدد من ملاك الصحف في مكة وجدة في فندق «اليمامة» بالرياض خلال اليومين الذين أعقبا المؤتمر الصحفي، وسبق لصاحب هذه السطور الحديث عن تلك المباحثات بالتفصيل في العدد 2843 من هذه المجلة، الصادر في 16 يناير 2025 م-»من الدمج إلى المؤسسات الصحفية»-، ضمن الحلقة الثانية من مراجعة مذكرات الشيخ جميل الحجيلان.

حسن قزاز ومولد صحيفة «البلاد»

من بين ما نتج عن تلك المباحثات التي جرت في أوائل شهر رجب 1378 هـ، والتي واكبتها متابعة من الأمير سلطان بن عبدالعزيز- بتوجيه من الأمير فيصل- اتفاق فؤاد شاكر، ممثل الشركة العربية للطبع والنشر المالكة لامتياز صحيفة «البلاد السعودية» ورئيس تحرير الصحيفة آنذاك مع حسن قزاز، مالك امتياز «عرفات» ورئيس تحريرها، على الاندماج في صحيفة واحدة تصدر في جدة، على أن يكون الاندماج على قدم المساواة، أي مناصفة. ووافق الطرفان على اقتراح الشيخ أحمد السباعي- صاحب صحيفة «الندوة» التي طالها الدمج أيضاً مع صحيفة «حراء»- على أن يكون اسم الجريدة الجديدة «البلاد» فقط، وحضي الاتفاق بموافقة الأمير فيصل ومباركته.

نتج عن هذا الاتفاق بعد اثني عشر يوماً صدور صحيفة «البلاد»، التي خرج عددها الأول من مطابع الأصفهاني في جدة صباح يوم الاثنين 16 رجب

العدد ٢٩٥٩، أحد أواخر أعداد «البلاد السعودية» الذي صدر قبل اندماجها مع «عرفات» بثلاثة أيام.

1378 هـ، الموافق 26 يناير 1959 م. وأصبحت «البلاد» في السنوات الأربع التالية- أي حتى بدء تطبيق نظام المؤسسات الصحفية نهاية عام 1383 هـ- الصحيفة اليومية الأبرز في المملكة، حيث عاد معظم الكتاب البارزين الذين هجروا «البلاد

العدد الثاني من صحيفة «البلاد»، في ١٣٧٨/٧/١٧ هـ، الموافق ١٩٥٩/١/٢٧ م.

السعودية» في السنوات الأربع الأخيرة من حياتها للكتابة في الصحيفة الجديدة، وأضفت عليها ديناميكية حسن قزاز وحماسه المتوثب للتطوير بعداً احترافياً يتماشى إلى حد كبير مع تطلعات الدولة والقراء. وبدأت الصحيفة ترقيم أعدادها بالرقم واحد، في الوقت الذي توقفت فيه صحيفة «البلاد السعودية» عند العدد 2961، الصادر في 15 رجب 1378 هـ، الموافق 25 يناير 1959 م. وهذا أمر مربك بالنسبة للمهتمين بدراسة تاريخ الصحافة، إذ أن «البلاد السعودية» عندما صدرت عام 1365 هـ- 1946 م- بدأت بالرقم 593، اتصالاً بآخر عدد صدر من صحيفة «صوت الحجاز» التي توقفت قبل أربع سنوات عند العدد 592، الصادر في 27/6/1360 هـ، الموافق 21/7/1941 م.

على أية حال، كانت الليلة التي سبقت إصدار العدد الأول من «البلاد» ليلة لا تنسى، بعد جهد محموم لتحضير مواد العدد الذي أريد له أن ينال رضا القراء وإقبالهم. وتواجد في تلك الليلة كل الصحفيين والمثقفين والإداريين الذين لهم علاقة بالصحيفة، وكأنهم في غرفة عمليات ينتظرون مولوداً جديداً. ومن أجمل ما كتب في وصف وقائع تلك الليلة مقال لمحمد عبدالقادر علاقي، نشر في العدد الثاني من الصحيفة في زاويته «يوميات قصيرة»، وهو مقال ملىء بالتفاصيل التي لم تخل من طرائف- أو مقالب عرف بها صاحب المطابع محمد حسين الأصفهاني وكذلك حسن قزاز. وقبل إيراد بعض ما ورد في مقال علاقي عن مساء ذلك اليوم- الأحد 15 رجب 1378 هـ، الموافق 25 يناير 1959 م، يتطلب الأمر إيراد أسماء الشخصيات المشاركة في ذلك

محمد عمر توفيق

محمد حسين زيدان

عبدالله عمر خياط

الحدث الإعلامي الكبير في حينه، الأول من نوعه في المملكة، والذي كان أكبر جهاز إدارة وتحرير لصحيفة سعودية آنذاك، وهم:

-1 حسن عبدالحي قزاز.

-2 فؤاد شاكر (1905-1973)، رئيس تحرير صحيفة «البلاد السعودية»، قبل دمجها مع صحيفة قزاز «عرفات». وفؤاد شاكر رأس تحرير الصحيفة الرسمية «ام القرى» من عام 1355 هـ (1937 م) مدة خمسة عشر عاماً؛ وتولى رئاسة تحرير «البلاد السعودية» في 1 محرم 1376 هـ، الموافق 9 أغسطس 1956 م، بعد إقالة عبدالله عريف الذي تولى رئاسة تحريرها وإدارتها مدة عشر سنوات.

وبقيت تلك الصحيفة طوال عام دون رئيس تحرير وكان يسير تحريرها صالح محمد جمال، الذي تركها بعد تعيين شاكر رئيساً لتحريرها، ليصدر صحيفة منافسة في مكة باسم «حراء». وهو شاعر وكاتب معروف، وله تجربة مبكرة جداً مع الصحافة إذا أصدر صحيفة «الحرم» في القاهرة عام 1349 هـ (1930 م) مدة أربع سنوات، وعمل رئيساً للتشريفات الملكية خلال الثمان سنوات الأخيرة من عهد الملك عبدالعزيز. (عن حياته، انظر محمد بن عبدالرزاق القشعمي، «رواد الصحافة السعودية المبكرة: صحافة الأفراد»، نادي تبوك الأدبي، د. ت.، ص ص. 54-45).

-3 محمد حسين زيدان، كاتب وأديب من كبار أدباء المملكة، كان من ضمن أسرة تحرير صحيفة «البلاد السعودية» عند صدورها عام 1365 هـ، واستمر يكتب فيها بانتظام حتى تنحية عبدالله عريف عن رئاسة تحريرها عام 1375 هـ، واستمر في الكتابة في كل الصحف السعودية تقريباً. عمل مديراً لتحرير صحيفة «البلاد» خلال الفترة من 13 محرم 1380 هـ، الموافق 7 يوليو 1960 م وحتى 25 رمضان 1380 هـ، الموافق 12 مارس 1961 م، وهو التاريخ الذي حل فيه محل حسن قزاز بعد إقالته من رئاسة التحرير بسبب مقال لأحد كتاب الصحيفة سيتم التطرق إليه لاحقاً. وعمل زيدان أيضاً رئيساً لتحرير صحيفة «الندوة» بضعة أشهر بعد صدورها من مؤسسة مكة للطباعة والإعلام. وقد صدر حول حياة زيدان- أو الزيدان كما كان محبوه يسمونه- عدة كتب أحدثها من تأليف حفيده الكاتب طارق فريد زيدان، بعنوان: «في بيت محمد حسين زيدان».

-4 محمد عمر توفيق، أديب وكاتب كان أيضاً من ضمن أسرة تحرير «البلاد السعودية» عند صدورها عام 1365 هـ، وكان من بين كتابها المنتظمين منذ العدد الأول. عمل سنوات طويلة في ديوان النيابة العامة حينما كان الأمير فيصل- الملك فيصل- نائباً للملك في الحجاز-، وترك الصحيفة بعد تولي فؤاد شاكر رئاسة تحريرها عام 1375 هـ، وانتقل للكتابة في منافستها صحيفة «حراء» وفي بقية الصحف السعودية، وعمل في التجارة بضع سنوات ثم أصبح مديراً لمكتب «البلاد» في مكة المكرمة بعد صدورها، وغادر المملكة إلى بيروت (هارباً) بسبب مقال نشر في الصحيفة في 25 رمضان 1380 هـ، الموافق 12 مارس 1961 م، بعدما نمى إلى علمه أن المقال تسبب بغضب شديد في جهات عليا، ثم عاد إلى المملكة بعد قرابة عام ونصف، بعدما علم بنبأ تعيينه وزيراً للمواصلات في الحكومة

معالي وزير الصحة يقول
تخريج الفوج الأول من المراقبين الصحيين هذا العام
تعبير الأدوية يتنافى مع حرية التجارة
الوزارة توفد بعثتين للهندسة الصحية

مقابلة حسن قزاز مع وزير الصحة الدكتور حسن نصيف، في صفحة كاملة، في العدد ٦١٣، في ١٣٨٠/٨/١٩ هـ الموافق ١٩٦١/٢/٥ م؛ وهي واحدة من عدة مقابلات أجراها هو أو عبدالله خياط مع أمراء مناطق ووزراء وشخصيات سعودية وأجنبية أخرى ونشرت في الصحيفة.

التي شكلها الأمير فيصل في 9 جمادى الثانية 1382 هـ، الموافق 6 نوفمبر 1962 م.

-5 حامد مطاوع، كاتب وصحفي عمل مديراً لإدارة «البلاد السعودية» بعد تولي فؤاد شاكر رئاسة تحريرها في 1 محرم 1376 هـ، واستمر مديراً لإدارة «البلاد» التي خلفتها لكن اسمه لم يظهر في ترويسة الصحيفة إلا ابتداءً من العدد 739، في 30 محرم 1381 هـ، الموافق 13 يوليو 1961 م. وأصبح رئيساً لتحرير «الندوة» بعد تطبيق نظام المؤسسات الصحفية، خلفاً لمحمد حسين زيدان.

-6 عبدالله عمر خياط، كان يعمل كاتباً في شرطة مكة ويتعاون مع جريدة «البلاد» في الشهور الأولى من صدورها، ثم اجتذبه مدير مكتب الجريدة في مكة محمد عمر توفيق للتفرغ للعمل في مكتب الصحيفة في مكة. واستمر خياط في العمل في «البلاد» خلال سنواتها الأربع الأولى، وعرف بنشاطه الكبير في مجال التحقيقات الصحفية الميدانية، ومنذ عمله في الصحيفة أطلق عليه محمد عمر توفيق لقب «العمدة»، وأصبح الاسم مصاحباً له طوال عمله في الصحيفة. ثم انتقل إلى صحيفة «عكاظ» بعد تطبيق نظام المؤسسات الصحفية، وأصبح ثاني رئيس لتحريرها مدة ست سنوات.

-7 عبدالغني قستي، عمل مصححاً ومحرراً في صحيفة «البلاد السعودية»، وأشرف على صفحة «دنيا الطلبة» فيها بين عامي 1376 و1379 هـ، خلفاً لمحرر الصفحة عبدالرزاق بليلة. استعان به محمد حسين زيدان لمؤازرته بعد فترة من تعيينه

حسن قزاز خلال توقيع وزير البترول أحمد زكي يماني اتفاقية بين المملكة وإحدى الشركات الأجنبية عام ١٣٨٣ هـ، ١٩٦٤ م.

رئيساً لتحرير الصحيفة بعد إقالة حسن قزاز، وبدأ اسمه يظهر في الترويسة بصفته سكرتيراً للتحرير ابتداءً من العدد 839، في 28 جمادى الأولى 1381 هـ، الموافق 7 نوفمبر 1961 م.

افتتاح مكتب البلاد في الرياض
تحت رعاية حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم
البلاد
الوزارة الجديدة في شهر

تغطية حفل افتتاح مكتب «البلاد» في الرياض، في العدد ٦٠٠، الصادر في ٣ شعبان ١٣٨٠ هـ، الموافق ٢٠ يناير ١٩٦١ م.

-8 السيد ياسين طه، وسبق تخصيص موضوع للحديث عنه في العدد 2942 من هذه المجلة، الصادر في 3 سبتمبر 2026 م.

-9 عبدالله عبدالرحمن الجفري، آخر المنظمين لجهاز تحرير الصحيفة كسكرتير تحرير إلى جانب قستي- وأصغرهم سِناً، إذ كان عمره 22 عاماً ، وظهر اسمه في ترويسة الصحيفة ابتداءً من العدد 918، الصادر في 26 شعبان 1381 هـ، الموافق 1 فبراير 1962 م. ويقول الجفري في مذكراته «مشواري على البلاط» ص. 58: «وكان أستاذنا ومعلمنا محمد عمر توفيق قد ترك العمل الحكومي والمناصب، واختار أن يفتح «بقالة» واسعة في مدخل مكة المكرمة (البيبان) وسماها «دكاكين»- ومكتب جريدة البلاد الذي كان مديراً له في مكة يقع في الطابق الذي يعلو تلك الدكاكين-.. وكنا نذهب إليه- عبدالله خياط وأنا- بعد المغرب من كل يوم نعرض عليه حصادنا من الأخبار والتحقيقات.. وكانت صحيفة «البلاد» منتعشة بكسب باقة من الكتاب المميزين، على رأسهم محمد عمر توفيق الذي كان يكتب عموداً يومياً بعنوان «ذكرى»، ويوميات أسبوعية، ومحمد حسين زيدان الذي كان يكتب يوميات أسبوعية...».

وعودة إلى ما كتبه محمد عبدالقادر علاقي عن ليلة ميلاد الصحيفة اقتطف الآتي: «شَهِدتُ مساء يوم الأحد الماضي ميلاد صحيفة البلاد مع جمهرة كبيرة من الصحفيين والكتاب، فقد اندمجت أسرتا البلاد السعودية وعرفات اندماجاً حقيقياً وكانت النتيجة ميلاد صحيفة البلاد،

وقد حضر الاستاذان فؤاد شاكر وحسن عبدالحي قزاز إلى مطابع الأصفهاني في الساعة العاشرة من مساء يوم الأحد للتفاهم على طبع الجريدة وإصدارها كي توزع في صباح اليوم التالي. وكان ذلك يبدو مستحيلاً في أول الأمر ولكن إجراءات سريعة قام بها محمد حسين الأصفهاني (صاحب المطابع ومساعدوه) غيرت الموقف. وهكذا بدأت في الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً عمليات السبك والصف والتوظيف ووصلت إلى المطبعة أسرة البلاد السعودية وعلى رأسها فؤاد شاكر ومع الأساتذة سليمان قاضي وعبدالغني قستي وأسرة عرفات وفي مقدمتها الأساتذة عبدالوهاب آشي وعبدالعزيز الرفاعي وعزيز ضياء وطاهر زمخشري وحسن قزاز (طبعاً) ومع السيد عبداللطيف ألمي المخبر الصحفي الجديد. وحضر بعد قليل الأستاذ أحمد زكي يماني... وسهرت الأسرة الجديدة إلى ما قبل الفجر بقليل وكان طبيعياً أن تطالب الأسرة الجديدة بأول وجبة عشاء فثارت نخوة الأستاذ حسن قزاز وأمر بإعداد وجبة سريعة مكونة من كميات كافية من الحلاوة الطحينية والمفروكة والهريسة والجبن المصري والزيتون اليوناني إلى جانب أكوام من الأرغفة الساخنة التي انهال عليها الجميع بغير تحفظ ووقار. وقد تبرع صاحب المطبعة بتقديم الشاي مجاناً ودون مقابل... وقد دارت في السهرة أحاديث ممتعة... تحدث خلالها الأستاذ عبدالوهاب آشي عن أول عدد أصدره من «صوت الحجاز»- صدرت في 27/5/1350 هـ، الموافق 4 أبريل 1932 م، وكان آشي أول رئيس لتحريرها-؛ وشاركه في الحديث الأستاذ عزيز ضياء الذي شهد هو أيضاً

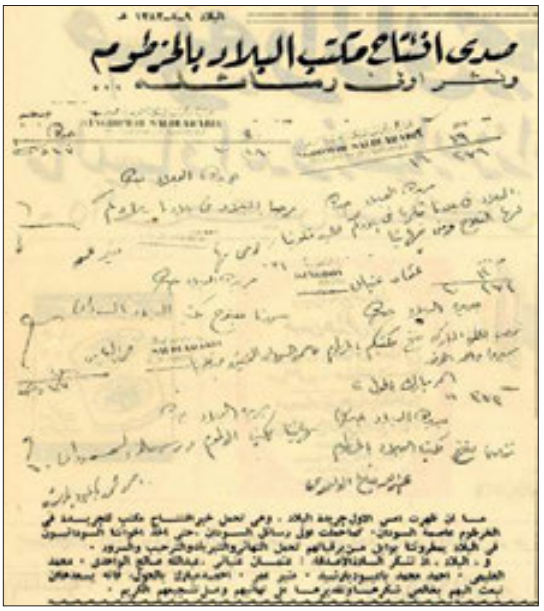

خبر عن افتتاح مكتب «البلاد» في الخرطوم، وبدء تلقي الصحيفة رسائل صحفية من المكتب. العدد ١٤١٧، في ١٣٨٣/٥/٩ هـ ، الموافق ١٩٦٣/٩/٢٧ م.

ميلاد العدد الأول من تلك الصحيفة وشارك بالكتابة في أعدادها الأولى ابتداءً من العدد السادس...».

وقد حظيت الصحيفة بمشاركة عدد كبير من الكتاب البارزين وأتاحت الفرصة لبروز أسماء شابة أصبح لها حضور قوي في الصحافة السعودية فيما بعد. ومن أبرز الأسماء- حسب عدد المقالات في الصفحة الأخيرة- الكاتب والناقد المعروف عبدالله عبدالجبار، والأستاذ محمد حسين زيدان والأستاذ حسين عرب- الذي أصبح وزيراً للحج بعد عامين- ومحمد عمر توفيق والسيد ياسين طه وحسن قزاز وأحمد عبدالغفور عطار- رغم أنه كان يصدر صحيفة «عكاظ» التي كانت تصدر أسبوعياً آنذاك- والشاعر الكاتب حسن عبدالله القرشي وعبدالله جفري وأحمد عباس طاشكندي وغالب حمزة أبو الفرج وحامد دمنهوري وإبراهيم الناصر... ويضاف إلى هؤلاء كتاب عرب مقيمون في المملكة ومن أغزرهم مشاركة الكاتب الشاعر محمد مصطفى حمام، ومصطفى الصباحي، ومحمود أحمد هيكل. أما الأعمدة في الداخل، فمن أبرزها عمودا «في الأذن» لياسين طه و«قبل ستين عاماً» للشيخ رشدي ملا نيازي،الذي يصف حال المملكة ومجتمعها في الماضي، بالإضافة إلى عمود «حكمة اليوم» لحسن قزاز، وهو- حسب اعتقادي- أول عمود يومي في الصحافة السعودية، وإن لم يستمر إلا ثلاثة أشهر، ابتداءً من مطلع شهر صفر 1381 هـ.

العدد الأول من صحيفة البلاد- يحمل رقم ١٥٥٩- بعد صدورها من «مؤسسة البلاد للصحافة»، في ٤ ذو القعدة ١٣٨٣ هـ الموافق ١٧ مارس ١٩٦٤ م، ويحمل اسم عبدالمجيد شبكشي رئيساً لتحريرها ومحمد حسن فقي مديراً عاماً للمؤسسة.

الحس التطويري لدى حسن قزاز

كان قزاز كاتباً متمكناً ذا أسلوب سهل وواضح، ويجمع بين العمل الصحفي المكتبي والميداني، إذ بالإضافة إلى كتابة الافتتاحيات بين حين وآخر- وكان يكتبها أيضاً محمد حسين زيدان وياسين طه-، يشارك بالكتابة في الصفحة الأخيرة التي تخصص للمقال الرئيس في كل عدد. وبالإضافة إلى ذلك كان يجري مقابلات

صحفية بنفسه مع مختلف الشخصيات ويبرز المقابلات التي كان يجريها عبدالله عمر خياط وعبداللطيف ألمى أيضاً، وهي مقابلات مع مسؤولين وتمس حياة المواطنين وتطلعاتهم وبالخدمات العامة في المملكة. وأولى أبو عبدالوهاب الخبر المحلي- وهو ما يهم القارئ بالدرجة الأولى- اهتماماً بالغاً، بالإضافة إلى الاهتمام بالصورة- سواءً الصور الشخصية أو صور المناسبات والأحداث، حسب إمكانات الصحيفة آنذاك. ورغم جهده التحريري الكبير في الصحيفة، كان قزاز حريصاً على ألا يظهر على أنه الشخصية الطاغية أو المهيمنة أو ذات الحضور الأبرز في الصحيفة. كما استحدث قزاز- ولأول مرة في الصحافة السعودية- صفحة بعنوان «ركن الأطفال»، ابتداءً من مطلع عام 1381 هـ، بالإضافة إلى جزء من الصفحة الأخيرة كان يخصص كل يوم من أيام الأسبوع لباب معين: «دنيا الطلبة»، «دنيا الأدب»، «دنيا المكتبات»، «دنيا الطب»، «أخبار علمية»، «دنيا الطوابع» و «من الأدب الشعبي».

ومن بين أبرز القفزات التطويرية لقزاز افتتاح مكتب «البلاد» في العاصمة الرياض بعد عام من صدور الصحيفة. وقد أقيم لذلك الحدث احتفال كبير رعاه الملك سعود، وحضره الأمير فواز بن عبدالعزيز- أمير منطقة الرياض- آنذاك- وعدد كبير من الشخصيات وأهالي مدينة الرياض، ونشرت الصحيفة تغطية شاملة لحفل افتتاح المكتب في العدد 600، الصادر في 3 شعبان 1380 هـ، الموافق 20 يناير 1961 م. وقد كلف يوسف حسين دمنهوري بالعمل مديراً للمكتب. ومن بين الذين تعاونوا مع المكتب خلال تلك الفترة الصحفيان المعروفان محمد بن عبدالله الطيار ومحمد العجيان. وبالإضافة إلى مجموعة الأخبار التي كانت تنشر في الصفحة الثانية كل يوم، كان المكتب يعد صفحة أسبوعية بعنوان «مجتمع الرياض في أسبوع». وبالإضافة إلى مكتبي الرياض ومكة، افتتح قزاز مكتباً للصحيفة في الخرطوم، حسبما ورد في العدد 1417، في 9/5/1383 هـ، الموافق 27/9/1963 م، وكان ينوي افتتاح مكتب رابع في بيروت. من جانب آخر- وعلى غير المتوقع- لم يخصص قزاز باباً للرياضة وهو من أحد عشاق كرة القدم، ورغم أنه بدأ مسيرته الصحفية بتغطية المناسبات الرياضية في «البلاد السعودية»، كما أوضحنا في الجزء السابق.

إعلان من مكتب عرفات للتجارة والأعمال العامة- أعمال هندسية وإنشاءات- لصاحبه حسن قزاز، منشور في صحيفة «المدينة»، في ١٣٦٤/٧/٤ هـ ـ الموافق ١٩٦٤/١١/٨ م.

الإقالة من كرسي رئاسة التحرير ثم العودة إليه

لم تخل مسيرة الصحيفة- وعدد من الصحف آنذاك - من متاعب لرؤساء تحريرها وبعض محرريها، وورد في الجزء السابق ما حدث مع مدير تحرير الصحيفة ياسين طه. ورغم صدور كتاب لعبدالله عمر خياط عن محمد عمر توفيق عام 2012 م بعنوان «النزاهة الشامخة»، تضمن ذكرياته معه وما كتب عنه- رحمه الله-، إلا أنه لم يتطرق إلى المقال الذي دعاه- أي توفيق- إلى مغادرة بلاده بسبب مقال نشر بقلمه في «البلاد» وأدى إلى إقالة قزاز من رئاسة تحريرها.

من تطرق إلى ذلك هو الشيخ جميل الحجيلان في مذكراته- الجزء الأول، ص. 270-273-. فتحت عنوان «سافر هارباً وعاد وزيراً» يقول الحجيلان: «لعل أشدها قسوة- ويقصد المواقف التي مرت به خلال عمله مديراً عاماً للإذاعة والصحافة والنشر- تلك التي انتهت بإقصاء السيد حسن قزاز عن رئاسة «البلاد»، واسنادها للكاتب الأستاذ محمد حسين زيدان. نشرت جريدة البلاد (في 25 رمضان 1380 هـ، الموافق 12 مارس 1961 م) مقالاً للأستاذ محمد عمر توفيق (الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمواصلات) عنوانه «الأصل والصورة». كان مقالاً مزيجاً من الرمزية والتأمل، على نحو ما اعتاد عليه الكاتب، في تناوله لشئون الحياة والناس». ومما ورد في المقال الذي أورد الحجيلان نصه، وهذه فقرات منه: «يحدث ان تطالعني صورة- أية صورة- في المجلة التي أتناولها أحياناً لسد الفراغ كيفما اتفق، فإذا هي حسبي من المجلة... إنك قد تَرْهَب الرجل، إذ تقف بين يديه في تلاشٍ كبير، يقف كالسد بينك وبين تأمل ملامحه لمعرفة إذا ما كانت تستحق كل

هـذه الرهبة.. أو كل هـذا التقدير؟... أما صورته فأنـت في حل من تأملها بمنتهى الراحة.. وحينئذ قد تتكشـف صورة الرجـل الرهيب عن غبي بليد.. وصـورة الداهيـة قـد تتكشـف عن جبـان!... هـذا مـع أن الصـورة هي الواقع عند التقاطها، فهي تنقل عن الأصل، وربمـا كان هو عند التقاطها سيء المزاج...»

ويقول الحجيـلان: «فوجئنـا بغضب المسـؤولين عن الإعلام في الديوان الملكي لنشـر هذا المقـال، ومما زاد فـي غضبهم أن الأسـتاذ محمد عمر توفيق كان- قبـل ان يتقاعد حديثاً- واحـداً مـن موظفـي ديـوان الأمير فيصل بن عبدالعزيز، ومن هنا جاءت الظنـون، وجاء الربط بين (سـوء نية الكاتب) وتوقيت نشر المقال!... طلب إليَّ الديوان الملكي إشـعار الأسـتاذ حسـن قـزاز فـوراً بوجـوب سـفره إلـى الريـاض، لمسـاءلته عن نشـر هذا المقـال! أما الأسـتاذ محمد عمر توفيـق، فما أن علم بتداعيات نشـر مقاله، حتى توجه في أول طائرة إلى بيروت» ويذكر الحجيلان أن قزاز أتاه فـي منزله فـي جدة فـي أواخر ذلك الشـهر- شهر رمضان- وهو في حالة نفسـية سـيئة جـداً، وكان ذلك بعد ثلاثة أشهر من تعيينه مديراً للإذاعة والصحافة والنشـر (نشـر المرسـوم الملكـي بتعيينه فـي صحيفة البلاد، في العدد 583، بتاريخ 14 رجب 1380 هـ، الموافق 1 يناير 1960 م).

كان طلـب الديـوان حضـور قـزاز إلـى الرياض علـى الفـور، ولتهدئة العاصفة واحتواء الغضب وحصره في أدنى الحدود رفع الحجيلان برقية إلى الملك سعود في 28 رمضان يلتمس منه بقاء حسن قزاز في جدة لتمضية العيـد مـع أسـرته... علـى أن يكون سـفره بعد العيد. ويقول الحجيلان- ص. -273 إن الشـيخ محمـد الدغيثر رئيـس ديوان البرقيات فـي الديوان الملكي اتصل به وأخبره بأن الملك لا علم له بالأمر، وأنه لا مانع أن يمضي حسـن قزاز العيد عنـد أهله ثم يأتي إلى الرياض لمقابلة المسؤولين عن الصحافة في الديوان الملكي. ويتابع: «هدأ الغضـب، ومع هـدوء الغضب، اقتصرت المسـاءلة علـى تنحية قزاز من رئاسة تحرير البلاد، دون أن يكون عرضة للمساءلة مرة أخرى. وبقي عند أهله ولم يسـافر إلـى الرياض، وحل محله في رئاسـة تحرير جريدة البلاد الأسـتاذ محمد حسـين زيـدان». أما محمد عمر توفيق، فقد عاد إلى بلاده بعد غياب دام سـنة وسـبعة أشهر، بعـد تعيينـه وزيـراً للمواصلات في الحكومـة التي شـكلها الأمير فيصل بـن عبدالعزيز فـي 30 أكتوبر 1962 م. وقد نشـر ملحق «الأربعـاء» الذي تصدره صحيفـة المدينة» في العدد الذي خصص لمحمد عمر توفيق بعد وفاتـه- والمؤرخ فـي 23 ذو القعدة 1414 هـ- مقـالاً بقلـم حسـن قزاز بعنـوان «أين العريـس رحمه الله؟!، تطرق فيه إلى علاقته به منذ أن كان موظفاً في مطبعة الحكومة في أواخر ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي.

عين محمد حسـين زيـدان- بدلاً من قزاز- رئيساً لتحريـر الصحيفة ابتداءً مـن العـدد 651، في 9 شـوال 1380 هـ، الموافـق 26 مـارس 1961 م، وخلال رئاسـته لتحرير الصحيفة قام زيدان بأعباء رئاسة التحرير خير قيام، وحافظت الصحيفة خلال الثلاثة عشر شهراً التي قضاها في رئاسة التحرير على المسـتوى المتميز نفسـه، ولم تفقـد أحداً من كتابها أو المتعاونين معها، كمـا حدث سـابقاً من بعض الصحـف التـي مرت بظـروف مماثلة أدت إلـى اسـتبدال رؤسـاء تحريرها. والواقع أن محمد حسـين زيدان كان تَوَّقاً إلى عودة قزاز إلى رئاسة التحرير؛ ومـن نبل ذلك الرجل الكبير أن نشـر في العـدد 885، فـي 19 رجب 1381 هـ، الموافق 27 ديسـمبر 1961 خبراً فـي الصفحة الثانيـة- صفحة الأخبار المحلية – بعنوان «خبرٌ سار» ورد فيه: «صرح الأسـتاذ حسـن عبدالحي قزاز أحد صاحبـي الامتياز لهـذه الجريدة ورئيـس تحريرهـا السـابق لبعـض مراسـلي البلاد المتطوعين بأنه عائد قريباً إلى الجريدة، وسـيرتب له عمله فيهـا.. مع القفـزات المنتظـرة التي سـيطور بهـا الجريدة إن شـاء الله... وعلى أسـاس ما صرح به فلقد وعده معالي وزيـر الدولة لشـئون الإذاعة والصحافة والنشـر بذلـك حينما كان فـي الريـاض. والبلاد أسـرة وجهازاً ومـن بينهم رئيـس التحرير المؤقت الأستاذ محمد حسـين زيدان يزفون هذه البشرى... ويرجون للأستاذ القزاز العودة القريبة فهم يعرفون له أثره في جريدة البلاد».

لكن عودة قـزاز إلى رئاسـة التحرير لم تتم إلا بعد قرابة ثلاثة أشـهر من نشر ذلك الخبر، ابتداءً من العدد 977، فـي 9 ذو القعـدة 1381 هـ، الموافق 13 أبريـل 1962 م. واسـتمر قزاز في رئاسـة تحريـر الصحيفـة حتـى آخر عـدد صدر منها قبل يـوم من إعادة إصدارهـا مـن قبل «مؤسسـة البلاد للصحافة»، بعدد جديد- العدد 1559 فـي 4 ذو القعـدة 1383 هـ، الموافق 17 مـارس 1964 م-، وحمـل العـدد اسـم عبدالمجيـد شبكشـي رئيسـاً للتحريـر ومحمد حسـن فقـي مديراً عاماً للمؤسسـة. وطـوال العامين الذيـن قضاهمـا قـزاز بعـد عودته رئيسـاً لتحريـر الصحيفـة حافظـت «البلاد» على وهجها وتميزها.

بعـد انتهاء علاقـة قـزاز بالصحيفة اسـتمر قزاز في الكتابـة في الصحف المحليـة بين حين وآخـر؛ وبعد فترة قصيـرة من تركـه العمـل الصحفي اتجه إلى العمل الحر، إذ أسس «مكتب عرفـات للتجـارة والأعمـال العامة» المتخصص في الهندسة والمقاولات عـام 1384 هـ، ولم يحالفـه الحظ- لأسـباب تطرق إليها في الجزء الثاني من مذكراته «مشواري مع الكلمة»-، ثم افتتح عام 1391 هـ «مصنع عرفات للطوب الأحمر والمواسـير الفخارية»، واسـتمر في هذا المجال حتى وفاته- رحمه الله- عـام 1421 هـ، الموافق لعام 2000 م.

محمد العلي

غنم وذئاب

حكي أن أحمقين تصاحبا في طريق، فقال أحدهما: أتمنى قطيع غنم، فقال الآخر: أتمنى قطيع ذئاب تأكل غنمك، فتضاربا ثم تصالحا على أن يحكم بينهما أول خارج، وإذا بشيخ بحمار عليه زقان من العسل. وحين أخبراه بأمرهما، أنزل الزقين وصبهما على الأرض وقال: صب الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين.

الحكاية وضعت الثلاثة في سلة واحدة، ولكن من هو الأشد حمقا يا ترى؟ هنا اختلف علماء الأرصاد، بنيويا، فقال الأول، وهو من زمرة ما بعد الحداثة: عندما تكون الشمس في طفولتها أنشغل بحبوها الراقص، أما حين تتفتح أزهار شبابها تتسع عيناي فأرى أن أشدهم حمقا صاحب الحمار. أما صاحب الذئاب فهو مصاب بارتجاج نفسي يسمى:(طرطلوجيا) وعليكم تقييم الثالث، لأنه حين تلبس الشمس ثوبها المائي في طريقها إلى السرير لا أرى شيئا. وقال الثاني، وهو مخضرم شهد عصر الحداثة وعصر ما بعدها: أنا من أنصار(يورغن هابرماس) قال ذلك (وهو لا يدري أن هابرماس هذا صهيوني متعصب، يبرر إبادة أهل الأرض) أُنْكِر (الما بعد) هذه في الحداثة وفي التاريخ وفي أي شيء. إن الحياة هي نهر هرقليطس. أما مسألة الحمقاء الثلاثة فأنا أجزم بأن الحكاية من نسج القصاصين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، كما يقول القدماء، وقد دعا (الرائي) أبو العلاء المعري إلى تعليم القصاصين التثبت والصدق حتى لا ينخدع الناس بهم. وقال الثالث: وهو يحفظ عن ظهر قلب كل درجات الفصول، لأنه غيرنا لا يرى أن الفصول أربعة، بل هي (4×4) وعين يُسأل: لماذا أيها العبقري ضاعفت العدد؟ يقول مقهقها: رأيت ذلك في المنام، ثم يتصبب ضحكا أي أن ما يقوله مجرد خرافة. وهو لا يدرك بأن ما يقوله حكم بإعدام جزء كبير من صحاحنا، لأنها مكتظة بالرؤيا. ولكن أنت كقارئ ظريف ـ يضرب آباط الإبل ـ في سبيله إلى المعرفة الزرقاء ما هو رأيك؟ أنا لست من علماء الأرصاد حتى أدلي برأيي، ولكني أغسل غبار المعركة بينكم بوصف ماء دجلة للشاعر العراقي الشيخ علي الشرقي:

(طاح عمود النور فوق دجلة / فصيّرته بارتجاجها كسر / وفوقه القصر المنيف فوقه / سوافر الغيد وفوقها القمر / مناظر تدرج الحسن بها / ويصعد الحسن ويصعد النظر)

عين

عبدالله بن محمد الوابلي
@awably

المقال الصحفي..

حين تفكر الكلمة.

قال الثعالبي في كتابه ثمار القلوب، ص 197: سئل عبد الحميد الكاتب – كاتب الدولة الأموية - ما الذي خَرّجك في البلاغة؟ فأجاب: حفظ كلام الأصلع- يعني علي بن أبي طالب. وحين يشرع القارئ في قراءة "نهج البلاغة" الذي جمعه الشريف الرضي من روائع أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحِكَمه، يجد فيه من البلاغة ما تطرب له الأذن، ويقصر دونه اللسان. ولئن سبق عبد الحميد الكاتب جمعَ الشريف الرضي لنهج البلاغة بقرون، فقد تخرّج - كما تقول الرواية - في مدرسة كلام علي بن أبي طالب؛ تلك المدرسة التي حفظ لنا نهج البلاغة جانبًا من تراثها البياني وكاتب هذه السطور لا يمل من التنزه في حدائق هذه المدرسة الغناء. ومن تلك المدرسة تَعَلَّمَ أن البلاغة ليست في كثرة القول، بل في أن تعرف ماذا تقول، وكيف تقوله، ومتى تصمت.

المقال الصحفي، في جوهره، فكرة جديرة بأن يقدمها الكاتب إلى القارئ. ولهذا تبدأ مسؤوليته قبل أن تُكْتَب الجملة الأولى، ولا تنتهي بوضع النقطة الأخيرة. ولعل هذا ما يجعل كتابة المقال أكثر صعوبة مما يبدو للكثيرين. فبوسع أي إنسان أن يكون له رأي، ولكن امتلاك الرأي شيء، والقدرة على تحويله إلى مقال شيء آخر. وبين هذا وذاك مسافة تقاس بوضوح الفكرة، وسلامة المعلومة، وترابط الحجة، واقتصاد اللغة، وحسن التوقيت، واحترام عقل القارئ. ولعل المقال الصحفي أحوج فنون الكتابة إلى هذا الميزان.

الكتابة الصحفية، مهما اتسعت مساحتها، تبقى مرتبطة بالحقيقة. والأدب يستطيع أن يخلق عالمه، أما الصحافة فلا تملك هذه الرفاهية، إذ يمكن للروائي أن يخترع شخصًا ويمنحه تاريخًا ومشاعر ومصيرًا، بينما لا يحق لكاتب المقال أن ينسب إلى شخص موقفًا لم يتخذه، أو قولًا لم يقله، أو دافعًا نفسيًا لا دليل عليه. ولهذا تأتي سلامة الوقائع والتسلسل في مقدمة أدبيات المقال. ويتبعها الحذر من تحويل الاحتمال إلى حقيقة، أو التزامن إلى سببية، أو الظن إلى يقين. فالفرق كبير بين أن نقول إن حدثًا أعقب حدثًا آخر، وأن نزعم أن الأول تسبب في الثاني. وكثير من الأخطاء الفكرية لا تنشأ من كذب المعلومة نفسها، وإنما من العلاقة التي يصنعها الكاتب بين معلومات صحيحة. قد تكون الواقعتان صحيحتين، ويكون الاستنتاج الذي يربطهما خاطئًا. ومن هنا تبدأ أخلاق المقال من الدقة، لا من البلاغة. لكن الدقة وحدها لا تصنع مقالًا. فلو كانت الكتابة مجرد جمع للحقائق لكانت الموسوعات أكثر المنشورات تأثيرًا. المقال الصحفي يحتاج شيئًا آخر: زاوية النظر. فما يميز الكاتب ليس دائمًا ما يعرفه، بل الطريقة التي يرى بها ما يعرفه الجميع. وقد تمر الحادثة الواحدة أمام مئات الكُتّاب، فيراها كل منهم من نافذة مختلفة، أحدهم يلتقط بُعْدَها الاقتصادي، والآخر الاجتماعي، والثالث الأخلاقي، والرابع يستدعي لها نظيرًا من التاريخ. وهنا يظهر الفرق بين الموضوع والفكرة. فالتسامح – مثلًا - موضوع، لكن المفارقة بين الدعوة إلى التسامح وممارسة الإقصاء فكرة. والحرية موضوع، لكن احتمال تحول الدفاع عنها إلى وسيلة لقمع حرية المخالف فكرة. الموضوع واسع ومتاح للجميع، أما الفكرة فهي العدسة التي ينظر الكاتب من خلالها إلى الموضوع.

حين تتحدد الفكرة يأتي العنوان، وهو أقصر أجزاء المقال وأكثرها مشقة. والعنوان الجيد لا ينبغي أن يخبر القارئ بكل شيء، وإلا انتفت الحاجة إلى القراءة، ولا أن يخفي عنه كل شيء، وإلا تحول إلى لغز. إنه باب نصف مفتوح، يكشف من الداخل ما يكفي لإثارة الفضول، ويخفي ما يكفي لدفع القارئ إلى الدخول. ومن أجمل الصيغ أن يقوم العنوان على مفهوم ومفارقة، وأن يكون موجزًا ذا كثافة دلالية. فالعنوان ليس بطاقة تعريف بالمقال بقدر ما هو أول نبضة فيه. وقد تحمل ثلاث كلمات من التوتر الدلالي ما تعجز عنه جملة طويلة من الشرح.

ثم تأتي المقدمة، وهي اللحظة التي يقرر فيها القارئ - في الغالب - هل يواصل الطريق أم يعود أدراجه. والمقدمة الضعيفة قد تظلم فكرة عظيمة في ثنايا النص، كما أن المقدمة البراقة قد تمنح فكرة عادية فرصة للحياة

لبضعة أسطر قبل أن يكتشف القارئ خواءها.

أما متن المقال فليس مخزنًا نكدس فيه ما جمعناه من معلومات. المعلومات ينبغي أن تتحرك داخله في اتجاه مُتَسِق، وأن يكون لكل فقرة سبب في وجودها. فإذا حُذفت فقرة ولم يتأثر البناء، فربما لم تكن ضرورية منذ البداية.

ومن أنفع التصورات لبناء المقال أن يتحرك في ثلاثة اتجاهات: تفكيك الفكرة دون تشتيت، ثم تعميقها دون تعقيد، ثم إعادة تركيبها دون إخلال. في التفكيك يسأل الكاتب: ما الذي يبدو بديهيًا في قضية المقال وهو ليس كذلك؟ أين التناقض؟ وما المسلمة التي اعتدنا تكرارها دون اختبار؟ وفي التعميق يخرج الكاتب بالفكرة من حدودها الضيقة إلى سياقها الاجتماعي، أو التاريخي، أو الفلسفي، أو الأخلاقي. فالفكرة التي لا تتصل بما حولها من أفكار تبقى جزيرة معزولة. ثم تأتي إعادة التركيب، فلا يكتفي الكاتب بهدم التصور الشائع، وإنما يعيد النظر إليه من زاوية أخرى، دون أن يتصرف كما لو أنه عاد من جبل الحقيقة حاملًا ألواحها الأخيرة. فالمقال الجيد يفتح نافذة، ولا يدّعي أنه هدم الجدار كله. وهنا نصل إلى إحدى أهم أدبيات المقال الصحفي: احترام عقل القارئ. فالكاتب ليس واعظًا والقارئ ليس تلميذًا. ومن أكثر ما يثقل المقال أن يشعر صاحبه بأن مهمته قيادة عقل القارئ إلى النتيجة التي يريدها، ولو اضطر إلى تكرارها أو المبالغة فيها أو شحنها أخلاقيًا. أو البحث عما يؤكد موقفه سلفًا.

ولذلك كان الوعظ والخطابة والمباشرة الزائدة من الأخطاء التي تُحَذِّر منها أدبيات الكتابة. المقال الأكثر نضجًا لا يقول للقارئ: فكّر مثلي، بل يقول له: تعال نفكر في هذا الأمر من زاوية ربما لم ننظر من خلالها من قبل. ومن باب احترام القارئ أيضًا ألا نُحَوِّل الشخصيات التي نكتب عنها إلى تماثيل. فالسيرة ليست مديحًا بالضرورة، والإعجاب بالشخصية لا يعفي الكاتب من المسافة النقدية. ومن هنا يجدر الحذر من تحويل صاحب السيرة إلى شخصية فوق النقد، ومن تحويل النص إلى تقديس فكري أو جسر دعائي. وهذا المبدأ يتجاوز المقالات السِيَرِية إلى الكتابة الفكرية كلها. فالكاتب يستطيع أن يدافع عن فكرة دون أن يحولها إلى عقيدة مغلقة، وأن يعجب بمفكر دون أن يمنحه العصمة، وأن ينتقد فكرة دون أن يحاكم صاحبها أخلاقيًا. الأفكار تُختبر بقوة البرهان، لا بعنف العقوبة. ويزداد الأمر حساسية عندما يتناول المقال التاريخ. فمهمة المؤرخ أن يتحرى ما حدث، بينما ينطلق الخطاب الدعوي من غاية إقناعية، وخلط الوظيفتين يجعل الكاتب ينتقي من التاريخ ما يخدم موقفه ثم يطالب القارئ بالتعامل معه بوصفه التاريخ كله. ولهذا ينبغي ألّا يختلط دور المؤرخ بدور الداعية، وألّا تتحول الفرضيات التاريخية التي لا يمكن إثباتها إلى حقائق مكتملة.

وإذا كانت الحقيقة عصب المقال، فإن اللغة جِلْدُهُ. واللغة الجميلة ليست بالضرورة اللغة المزخرفة. بل ربما كانت أجمل الجمل تلك التي لا يشعر القارئ بأن الكاتب بذل جهدًا ليجعلها جميلة. فحين تتكاثر الاستعارات والمحسنات والمفردات النادرة، تتحول البلاغة من جناح يحمل الفكرة إلى حِمْلٍ يثقلها. والمثلث الذهبي في الكتابة: وضوح الفكرة أولًا، ودقة اللغة ثانيًا، وجمال التعبير ثالثًا. وليس في ذلك انتقاص من البلاغة، بل إن البلاغة الحقيقية هي أن تصل العبارة إلى غايتها بأقل قدر من الزخرفة والتهويل. فالقارئ ليس طفلًا، تستميله بحيلة أو تستدرجه بإغراء.

ومع ذلك، يحتاج المقال إلى الصورة الجميلة والمفارقة والإيقاع. فالجملة الصحفية ليست محضر اجتماع، والكاتب ليس موظف أرشيف. وللكلمات موسيقى خفية، تَطُول الجملة حين يحتاج المعنى إلى امتداد، وتَقْصُر حين يريد الكاتب أن يطرق ذهن القارئ. ويتولد الإيقاع من المزاوجة بين الجُمَلِ، ومن التقديم والتأخير، ومن الوقفة في مكانها، بل ومن النقطة حين تأتي في اللحظة المناسبة. لكن الجرعة البلاغية ينبغي أن تبقى تحت السيطرة، فتجمع الكتابة بين جمال الصورة والإيقاع الصحفي، دون حمولة بلاغية تثقل النص.

ثم تبقى الخاتمة، وهي آخر ما يقرأه القارئ، وربما أطول ما يبقى في ذاكرته. ليست الخاتمة مكانًا لإعادة تلخيص ما قيل، ولا منصة لإعلان انتصار الكاتب على القضية التي ناقشها. وقد تكون أقوى حين تترك شيئًا ناقصًا عمدًا: سؤالًا، أو مفارقةً، أو صورةً تعيد القارئ إلى المقدمة وقد تغير معناها. فغاية المقال ليست دائمًا إقناع القارئ، وإنما قد تكون دفعه إلى إعادة التفكير. ولذلك قد تكون الجملة الأخيرة أثقل من فقرة كاملة. إنها أشبه بإغلاق الباب بهدوء بعد خروج الكاتب، فيما يبقى القارئ داخل الغرفة. وقد تبلغ الخاتمة ذروة تأثيرها حين تغلق دائرة المقال؛ فتعود دلاليًا إلى البداية، ولكن بصورة أشد تكثيفًا.

فالكاتب الجيد لا يقاس بعدد الكلمات التي يستطيع رصها، وإنما بعدد الكلمات التي يستطيع الاستغناء عنها، دون أن تخسر الفكرة شيئًا. ولا تقاس قوة المقال بارتفاع صوته، وإنما بقدرته على البقاء في ذهن قارئه بعدما يخفت ذلك الصوت. وهل المقال الناجح هو الذي يجعل القارئ يوافق كاتبه؟ ربما يكون أنجح منه ذلك المقال الذي يجعل القارئ، بعد أن يطوي الصفحة، يختلف قليلًا مع نفسه.

في نهاية الأمر، ليست أدبيات المقال الصحفي قائمة جامدة من الممنوعات والمسموحات. بل هي جماليات كتابة، وأدبيات خطاب، وأخلاق تفكير: أن نتحقق قبل أن نجزم، وأن نُفَرِّق بين الحقيقة والاحتمال، وأن نحترم التاريخ فلا نستخدمه شاهد زور، ونحترم المختلف فلا نجعل المقال منصة لمحاكمته، كما نحترم القارئ فلا نفكر بالنيابة عنه. وحين تتعدد المقالات في أفكارها وأساليبها ونكهاتها، دون أن يختل هذا الميزان، تصبح المطبوعة مائدةً عامرةً بما لذَّ وطاب، تتنوع فيها المذاقات، ويجد كل قارئ فيها ما يغذي فكره ويوافق ذائقته. فلنستمع للكلمة حين تفكر.

أعلام في الظل

محمد بن عبدالرزاق القشعمي

الجوف ..

عذوبة النخيل وصناعة المستحيل.

كعادة الصديق معالي الدكتور عبد الواحد الحميد أن يتحفني بين وقت وآخر بآخر إصدارات مركز عبد الرحمن السديري الثقافي بالجوف، وفي مقدمتها مجلة (الجوبة) العريقة. وبصفة الدكتور الحميد رئيساً لهيئة النشر ودعم الأبحاث، فهو يضيف إلى المجلة ما جَدّ من مطبوعات.

هذه المرة أرفق مع أعداد المجلة كتاب (الجوف... عذوبة النخيل، وصناعة المستحيل) للشاعرة والكاتبة ملاك محمد صالح اللحيد الخالدي، ط1، 2026م بـ 139 صفحة، د. ن.، وهو عبارة عن مجموعة مقالات سبق نشرها، وكلها تدور حول الجوف تاريخاً، وجغرافية، وإبداعاً، أهدته لسمو أمير الجوف. وقدمت له بقولها: «... فالجوف اليوم ليست أرض تاريخ وآثار بل واجهة السياحة التراثية، وليست أرض التراب الخصب والماء العذب والنخيل والثمار بل سلة غذاء البلاد، وبوصلة الزراعة والاستثمار، وليست موئل الحكايا والقصائد والأساطير بل أرض الشعراء والأدباء والفكر الغزير...».

وبدأت بالبوصلة: «الجوف عاصمة الضياء»، و«الجوف في ظل التنمية المستدامة»، مستعرضةً الأمن الغذائي، والأمن المائي، والأمن الطاقي (أمن الطاقة).

واختتمت المقدمة بمقطع من قصيدة لها:

هنا يصنع الإنسان، ليشيد
من التراب غذاءٍ...
ومن النبض الدفين ماءٍ...
ومن الشمس الشفيفة طاقةٍ وكهرباءٍ.
هنا الإنسان الممتد من التراب إلى السماء، بلا انتهاء!».

وفي «الجوف... عاصمة الطاقة والإخضرار»، نجد محطة (سكاكا للطاقة الشمسية) التي أنشئت بتركيب مليون ومئتي ألف لوح شمسي وتنتج حالياً (300 ميغاواط) من الطاقة الكهروضوئية، وتقوم بتغطية 55 ألف وحدة سكنية بالكهرباء. يأتي ذلك لتحقيق التنمية المستدامة بجوانبها ومجالاتها كافة... فالطاقة الكهربائية هي عصب أي مشروع تنموي وأساسه في أي مجال...

وضمن السياق الاستثماري والاقتصادي، فالهدف الأكبر منها هو الوصول إلى تغطية 100٪ من الوحدات السكنية وغير السكنية في منطقة الجوف بالكهرباء. وعن «الجوف الزراعة والتراث»، فهي سلة غذاء البلاد وساحة للعديد من الاستثمارات الزراعية، ووجهة مضيئة للسياحة التراثية؛ إذ تعود آثار المنطقة إلى بداية النشوء الإنساني، فلقد أشارت كثيرٌ من الدراسات التاريخية إلى أن قرية (الشويحطية) أقدم موقع أثري استوطنه الإنسان في الجزيرة العربية.

وأصبحت الجوف أرض النخيل والزيتون الوجهة الزراعية الأولى في البلاد، فهي تحتضن 3500 مشروع زراعي و12500 مزرعة و8 شركات زراعية...

وفي الجانب المستقبلي الإستراتيجي نجد الطاقة المتجددة التي تعمل على الطاقة الطبيعية كطاقة الشمس والرياح والتي جعلت من الجوف عاصمة الطاقة المتجددة.

وقالت عنها شعراً:

هنا نخلة الأجداد والطاقة الكبرى هنا
رسم الإنسان من نبضه فجرا
هنا علم الدنيا، هنا ألهم المدى هنا
أنتج الإبداع والفكر والشعرا

وقالت: إنّ حدة الحرارة وعمق البرودة، الحلاوة والمرارة، التمرة والزيتونة، الدبس والزيت، النخلة وشجرة الزيتون، كلها تعانق تراباً واحداً، أوَليست الجوف جديرة بأن تكون أرض المعجزات الكونية؟!

واستعرضت الإبداع وأوجه النشاط الثقافي بالجوف ومنها ما يتعلق بمجلة (الجوبة): «ولمجلة الجوبة الرائدة دور بارز وجوهري في تنمية اللغة العربية عالية المعنى والمبنى في الوطن العربي، فهي مجلة تجاوزت الآفاق بمحتواها الثقافي الثمين وقدرها العالي المكين، لدى المثقفين والمهتمين والمطلعين.

لقد صافحت عقولنا وقلوبنا منذ وقت مبكر، فكانت الجذوة التي أوقدت فينا عشق المفردة والفكرة والمعرفة، وخلقت في أرواحنا مفازة

من جمال واكتمال حتى مضت لغتنا أشعاراً يفيض بها الوجدان وأفكاراً تسابق الأذهان ومعرفة وأدباً وإبداعاً، هنا في الجوبة تزهو لغتنا الأم بوجه استثنائي صنع الإنسان وأضاء المكان».

وعن الشويحطية وبداية الحضارة والتاريخ تقول: «... مَن يزر آثار الجوف كالشويحطية أو حصن زعبل أو قلعة مارد، سيقرأ فكراً إنسانياً وحضارياً متطوراً جداً، ففيها تتجلى براعة الذهن البشري في الابتكار والتكيف والتخطيط.

فقرية الشويحطية في منطقة الجوف تُعدّ أقدم موقع أثري استوطنه الإنسان في العالم كما يقول بعض الباحثين، واحتوى الموقع على أدوات حجرية استخدمت لتوفير الماء والطعام وسبل العيش، ويعود تاريخه إلى مليون وربع المليون سنة... وحصن زعبل الذي يعود تاريخه كما يقول بعض الباحثين إلى الفترة النبطية المؤرخة من القرن الأول قبل الميلاد، والذي بني على جبل صخري شاهق، وفي أسفله بئر (سيسرا)؛ هذه البئر المنحوتة في الصخر الصلب، تحيط بها المزارع...

وعن قلعة (مارد) التي قالت عنها الملكة الزباء قولتها الشهيرة: «تمرد مارد وعز الأبلق» حين حاولت استلاب قلعة مارد في منطقة الجوف، وحصن الأبلق في تيماء، لكنها لم تستطع.

وبجانبها (مسجد عمر بن الخطاب) وهو من أقدم وأهم المساجد الأثرية، وينسب المسجد إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ويقال إنه بناه سنة 16هـ أثناء توجهه لبيت المقدس...».

وقالت: «فاليوم أصبحت آثار الجوف العريقة محط النظر والتساؤل والبحث والتقصي، ووجهةً جاذبة لعشاق التراث ومحبي الاكتشاف والاستمتاع بالفنون والنقوش».

وقالت: «وما تزال الجوف مخبوءة بالتاريخ الزاهر والتراث الباهر، وما اكتشاف موقع (نحت الجمل) مؤخراً في مدينة سكاكا عام 2021م والذي يرجع الباحثون أنه أقدم موقع نحت في العالم وفق دراسة أعلنت عنها هيئة التراث...».

وعن الجوف واجهةً للثقافة قالت: «فالعقل الخلّاق يبعث الفكرة والفكرة الإبداعية تتحول إلى منجز علمي أو معرفي أو اقتصادي يسهم في بناء التنمية الوطنية بمفهومها العام: الحوار، والتثقيف، والتفكير، وبناء الوعي، وتقويم المفاهيم والقيم المرحلية، وتحفيز الأفكار، وصناعة الواقع».

وعن إبداع أبناء الجوف تحدثت عن جسارة الجمال في قصائد عبد الرزاق الهذيل، وفداحة الشعور في حكايا عبد الرحمن الدرعان.

«وعن معالي الدكتور عبد الواحد الحميد كنخلة (الحلوة) الراسخة عميقاً في (الجوف)... هو القيمة والقامة والعلامة الفارقة والبصمة الواثقة... الذي أضاء ويضيء الحراك الثقافي في منطقة الجوف عبر منارة مركز السديري الثقافي...».

ونجدها تستعرض بعض أعمال ابن الجوف عبد الرحمن الدرعان بصفته رائداً للقصة القصيرة وعرّاب الأدب الحداثي في منطقة الجوف، فقد أصدر مجموعته القصصية الأولى (نصوص الطين) عام 1989م، ومجموعته (رائحة الطفولة) عام 2000م.

وتقول عنه: «عبد الرحمن الدرعان ينتصر للإنسان دائماً، ويحمل على النسق الاجتماعي، فهو يمضي في رسم شخصيات القصص بروح الأديب الذي يرى أن الإنسان مهما بلغت قسوته أو سذاجته ما هو إلا محصّلة نمط اجتماعي ساهم عميقاً في تشكيله؛ فعبد الرحمن الدرعان شديد الرفق بشخصياته، حتى تلك الشخوص التي تتخلى عن جزء من إنسانيتها يجعل منها ضحية نمط جاف ونسق اجتماعي فقط».

وقالت: «لقد صنع الدرعان من بيئته الصغيرة مسرحاً شاسعاً للجمال الذي أحبه وتخيله، والأفكار التي اقترفها، والمسلمات التي تجاوزها، والقصائد التي أصبحت قدره الذي فر منه».

واختتمت الكتاب بحكاية (البكيلة) بين نبض (الحلوة) وفيض (السمح) إذ قالت: «حتى مسميات الأشياء في الجوف تجيئ عذبة مستقاة من جمال إنسانها، فلقد سمّى نخلته بـ (الحلوة) تدليلاً لشجرته القريبة من قلبه والأثيرة في نفسه، وسمى نباته بـ (السمح) تيمناً بسماحة طبعه وصحرائه، وتقديراً لهذا النبات الفريد وكثير الفوائد... وجاء مصطلح (البكيلة) من ذاكرته شديدة الفصاحة، فالبكيلة مأخوذة من (البكل) والبكل في اللغة هو (الخلط) والبكيلة هي (الغنيمة) كما جاء في المعجم الوسيط، كأن ابن الجوف يقول إنه خلط (سمحة) العريق بـ (تمرته) الحلوة، لينتج غنيمة شهية!».

ونختتم بقولها: «نحن نتحدث عن أرض احتضنت أولى الحضارات، وأوقدت ضوء البدايات، عن إنسان اجتاز العصور وخلق الأبجديات فرسم بعطاءاته وإنجازاته أعرق الثقافات، فمن العصر الحجري مروراً بالعصور والحقب المتباينة حتى العهد الإسلامي وصولاً إلى العهد السعودي الذي أتى ليوطد عُرى العراقة وآفاق الثقافة ليبعث الإرث التراثي الثقافي من جديد».

تحية تقدير وامتنان للمبدعة ملاك الخالدي على إعجابها وافتتانها بالجوف.

حديث الكتب

أ.د. صالح الشحري
@saleh19988

سلوى...

سيرة بلا نهاية.

عرف المصريون سلوى حجازي حين أطلت عليهم أول مرة في خريف عام 1960 بعد شهرين فقط من بداية الإرسال التلفزيوني. وجه طفولي هش، رقيق كالطيف، تحمل كلماتها قدرًا هائلًا من البساطة والبراءة، حوارات عفوية وصوت خفيض، لا تشتبك مع ضيوفها إلا نادرًا، تترك لهم مساحات واسعة للحديث.

مع الوقت عرفها المثقفون والأدباء من أشعارها باللغة الفرنسية، نصوصها الشعرية لم تكتب إلا بلغة نخبوية بعيدة عن الثقافة المتداولة والشعبية. ثم تماهت في شعرها مع الآخرين، فكتبت عن الفلاحين الذين عايشتهم في مسقط رأسها، وعن الفقراء الذين يدفعون الثمن، كما دونت تاريخًا قصيرًا لرحلاتها الخارجية ضمن بعثاتها التلفزيونية الرسمية. راجع الكاتب كل ما ورد عنها من أخبار ومقابلات في الصحف والكتب، وتواصل مع عائلتها واطلع على أوراقها الخاصة، وانتهى كريم جمال لكتابة إحدى أكثر السير الغيرية عذوبة وإدهاشًا، ببراعة لا مزيد عليها.

«قطة بلا مخالب، صوتها حلم، وثقافتها لا تقاوم». هذا ما كتبه الإذاعي صلاح زكي بعد أن خرجت سلوى من حجرة اختبار المذيعات بالتلفزيون العربي. عدد المذيعات المقبولات للعمل كان تسعًا فقط من بين 1200 من المتقدمات، 24 عامًا، خريجة «ليسيه الحرية»، زوجة وأم لثلاثة أولاد، من بطلات الرياضة بالنادي الأهلي، وتكتب الشعر الفرنسي. قضت أشهرًا تحت الملاحظة والتجريب لأنها لا تحمل مؤهلًا جامعيًا. مع الوقت والتطور الثقافي الكبير الذي أحرزته بالجهد الذاتي أصبحت أهم المحاورات في برامج التلفزيون، حاورت عبد الوهاب وعبد الحليم ونجاة الصغيرة والشيخ الباقوري الذي كان وزيرًا للأوقاف، والمترجم السوري سامي الدروبي في حلقة جمعته مع أدباء مصريين. وعندما حاورت نزار قباني كان حوار شاعر لشاعر، وقد حمل معه ديوانها «ظلال وضوء»، لتوقع له عليه ووعد بترجمته شعرًا عن الفرنسية.

يكبر داخلها مع كل نجاح شعور معقد. سيطر عليها في البداية قلق المكانة والحفاظ عليها. مخاوفها دفعتها لتقدم طلبًا رسميًا بالنقل إلى القسم الأوروبي في الإذاعة، كان رد مدير الإذاعة: كيف يمكن أن نأخذ من التلفزيون أنجح مذيعات جيلها؟ كانت تخطئ في اللغة العربية وقواعد الإعراب فتقع فريسة للنقد الصحفي الحاد والسخيف أحيانًا. تقدمت بطلب لتقديم برنامج أطفال، رفض طلبها؛ والسبب وجهها الغارق في البراءة والطفولية معًا وافتقاره إلى بعض «الهيبة» المطلوبة لدور أم تخاطب الأطفال. لم تستسلم، وضعت كتابًا يجمع قصصها للصغار -الأقل من ثماني سنوات- على أن تلحق بالكتاب أسطوانة مسموعة تضم الحكايات ذاتها.

كم كانت سعادتها عندما طلب منها العمل للأطفال. سلوى تختار مع المخرج الأطفال الذين يرغبون في الحضور إلى الاستوديو ليظهروا في برنامج «عصافير الجنة»، عملية الاختيار تتم بالقرعة. وفي يوم، وخلافًا للقرعة طلبت أن يستثنى طفلان من القرعة التي تجرى أسبوعيًا؛ لأنها علمت أن الطفلين يتيما الأم، أصبحت سلوى أم كل الأطفال.

عام 1965، غطت سلوى الندوات الأدبية والنقدية التي أقيمت ضمن مهرجان الشعر العربي في الإسكندرية، ومن ثم تطوع ثلاثة من أبرز الشعراء: أحمد رامي وصالح جودت وكامل الشناوي لترجمة قصائدها إلى العربية شعرًا. فأصدرت ديوانها الثاني، وكتب أحمد رامي مقدمة جميلة جدًا للديوان.

حصل ديوانها على جائزة «أكاديمية الشعراء» الفرنسية، وفي احتفال أقيم بمقر السفارة الفرنسية أعلن أن سلوى قد فازت بميداليتين ذهبيتين عن أشعارها؛ الأولى عن قصائدها الجميلة، والثانية عن إلقائها الشعر. بعدها فازت بالميدالية الفضية في المسابقة الدولية للشعر في فرنسا، وأدرج اسمها في قوائم الشعراء العالميين الذين تهتم بنتاجهم الهيئات الأدبية للشعر الفرنسي. عكس ذلك عمق ثقافتها الفرنسية والعربية، تقول في قصيدة «رسالة إلى جونسون»:

«عندما ستضع رأسك على وسادة من ريش النعام ويسترخي جسدك على مرتبة مكيفة الهواء جونسون... لن تنام ستسمع طفلًا رضيعًا يصرخ في فيتنام يبحث عن ثدي أمه يوهمه بالأمان فيجده بلا لبن، باردًا ملوثًا بالدماء فيبكي خوفًا وجوعًا ويفتقد الحنان ولا ينام!»

لم يكن الموت عابرًا في قصائد سلوى حجازي، بل كان هاجسًا مؤرقًا تراه على الورق وهي تكتب قصائدها وخواطرها، خاصة ما نشر منها في ديوانها الثاني، الذي يظهر فيه الموت شبحًا مخيفًا يطاردها من موقع قريب وهي تكتب. رغم ذلك لم تكن نظرتها كئيبة تجاه الحياة؛ كانت تحب الفن وتقدر الجمال، وتشغلها الأشجار وخفة السحب البيضاء، لكنها بقيت تخشى ذلك العالم، وتعيش داخل حدودها الضيقة.

عام 1969 قام فريق تلفزيوني بجولة في مدن القناة، أيام حرب الاستنزاف، لنقل صورة حية عن المقاتلين والفرق الداعمة؛ كانت مهمة خطيرة اقترحتها سلوى، عندما أقبل الليل في بورسعيد، رصدت تحركات عسكرية صهيونية على الجانب الآخر وصدر توجيه بإخراج الوفد التلفزيوني إلى منطقة آمنة، ولكن سلوى أصرت على البقاء طوال الليل لتسجل الأحداث، لم تحدث المواجهة، ولكنها كانت تجربة ملهمة. كانت مدن القناة قد أفرغت من سكانها وصارت متحفًا مفتوحًا للحطام والأنقاض. لم يكن الجو في المدينة يسمح بأي نشاط إعلامي؛ أغلقت المدن الثلاث أبوابها على من فيها من الجنود والعمال الذين ظلوا يعملون في أماكنهم لخدمة المجهود الحربي ولكن سلوى تصدت مع فريقها لهذه المهمة. كانت رابطة الجأش. قد ينقلب العالم، وهي جالسة في مكانها متماسكة، تحافظ على هدوء

أعصابها، تتابع ما يجري دون أن تتغير ملامحها ولا تقطب جبينها. عندما عادت للقاهرة، أخرجت كراسة نصف ممزقة، وقالت: «لقد وجدت هذه الكراسة في منزل متهدم. ربما كانت لتلميذ فاجأته القنابل وهو يذاكر. ربما مات، ربما نجا، لا أعرف، ولكن سأقدم هذه الكراسة في برنامج عصافير الجنة، سأكتب عنها حدوتة أقولها للأطفال، وسأذكر اسم التلميذ المكتوب على الكراسة، ربما يكون حيًا ويسمعني، ليحكي بنفسه عن غارات العدو، وعن بيته الجميل الذي تهدم».

اختيرت لترافق أم كلثوم إلى فرنسا لإحياء حفلات دعم المجهود الحربي، بثت رسائل حية من باريس مع الجالية العربية التي حطمتها الهزيمة ومع فرنسيين، وافقت أم كلثوم بصعوبة في نهاية الرحلة على إجراء حوار، جلست أم كلثوم أمام سلوى، عدت بعد ذلك أهم حوارات أم كلثوم التلفزيونية على الإطلاق وأكثرها وهجًا!

عندما أنشئ المعهد العالي للنقد الفني تقدم له 570 طالبًا، قبل منهم 75 طالبًا فقط، وكانت سلوى من بينهم، سألها مدير المعهد إن كان لديها وقت للدراسة، أجابت: «إنني منذ عشر سنوات أقاوم الوقت والزمن، ولكنني أشعر أن الوقت حان لتلك التجربة، فربما لا تأتي الفرصة مرة ثانية أبدًا!».

عند إعلان الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا جاءت البعثات المصرية إلى الجوار الليبي لتمنح ذلك الاتحاد بعضًا من الوجاهة والفاعلية. كانت سلوى ضمن البعثة التلفزيونية؛ تم تسجيل قدر كبير من البرامج عن المزارات السياحية والأماكن الليبية التاريخية لتعريف المواطن المصري بجارته القريبة، كذلك عملت البعثة على مساعدة التلفزيون الليبي الذي كان لا يزال يتعثر في خطواته الأولى بعد افتتاحه في ديسمبر 1968، حيث لم تكن قد توفرت في أستوديوهاته القدرات الإعلامية الكافية.

صرحت سلوى: «إنني أفكر في تقديم برنامج تسجيلي يعتمد على الريبورتاج ميدانه الدول العربية، ثم الدول الإفريقية، و... و... لا بد للمشاهد من أن يزور بنغازي وطرابلس، ودمشق وحمص، والخرطوم وكردفان، وبقية المدن العربية، ولا بد من أن يلتقي بالآثار والتاريخ والفكر والفن».

تبين للكاتب أن سلوى لم يكن عليها الدور للسفر، فقد تبدلت قوائم البعثة في اللحظة الأخيرة، ورشح اسمها بدلًا من المذيعة نجوى إبراهيم. بعد خمسين عامًا صرحت نجوى في برنامج تلفزيوني أن سلوى هي التي طلبت التغيير حتى تتفرغ لابنها الذي سيتقدم لامتحان الثانوية العامة في العام الدراسي المقبل. كانت نجوى تحكي شهادتها وفي صوتها خليط عجيب من الخجل والشعور بالذنب الذي لا دخل لها فيه.

جاء يوم العودة إلى القاهرة، مع الفجر قتل الصهاينة واحدًا وثلاثين وجرحوا العشرات في هجوم وحشي غير مبرر على مخيم فلسطيني في طرابلس بلبنان، ألقى الخبر بظلاله

القاتمة على المسافرين في البوينغ من بنغازي إلى القاهرة، التقت سلوى ومخرج برامجها عواد مصطفى في الطائرة بوزير الخارجية الليبي السابق صالح مسعود بويصير. كان الوزير معروفًا بنضاله منذ الاحتلال الإيطالي لليبيا، وأصبح مؤرخًا متخصصًا في تاريخ القضية الفلسطينية.

قبل أن تبدأ عملية الهبوط في مطار القاهرة، أحس الطيار الفرنسي جاك بورجيه بأمر ما غير عادي. كانت أجهزة التوجيه تتعارض بشدة فيما بينها، وتبدو كأنها قد فقدت كل معاني الاتزان والتزامن. دب القلق في نفس الطيار، وحاول استشارة زميله مهندس الطائرة وهو معروف بين شركات الطيران العالمية بالخبرة الواسعة في مجال هندسة طائرات البوينغ.

مضت دقائق صعبة وثقيلة، ثم صرخ مساعد الطيار الليبي: «توجد أربع طائرات حولنا»، لم تكن تلك إلا طائرات فانتوم صهيونية. بدت الطائرة المدنية كأنها فريسة ضائعة في غابة وتطارد من وحش مجنون وكاسر، تدور حولها المقاتلات في حلقات متكررة وغير مفهومة؛ أدرك محمد بويصير ما يحدث، قال: «نتعرض الآن لعدوان صهيوني. إن عشنا فنحن سعداء، وإن متنا فشهداء!» وأخذ في ترديد شهادة التوحيد. أعاد الطيار إنزال العجلات في محاولة يائسة أخيرة، يريد أن يقول للوحوش من حوله إنه يحاول جاهدًا أن يهبط هبوطًا اضطراريًا فلا تضربونا، لكن السهم كان قد نفذ، لم يكلف جنرالات الاحتلال وقادتهم من العسكريين خاطرهم بتحذير قائد الطائرة، أصابت دفعة الصواريخ الأولى مؤخرة الطائرة، ثم جاءت الدفعة الثانية لتضرب المقدمة وكابينة القيادة. كان الموت يزحف بشراسة، هوت بقايا الطائرة كتلة من النيران فوق رمال سيناء الساخنة. كان صوت النيران وهي تأكل الطائرة يختلط بأنين البشر الذين بقوا على قيد الحياة، قلة قليلة لا تتجاوز سبعة أفراد فقط بين ركاب عددهم 106 قد نجوا.

يفتاح زيمير قائد سرب الطائرات الإسرائيلي يقول عن تلك اللحظة بعد سنوات طويلة: «كان مشهدًا قاسيًا. ما الذي يمكنك فعله؟ نحن -الطيارين- لدينا امتياز في عدم رؤية أولئك الذين نؤذيهم مباشرة بأعيننا. كانت ثمة صرخات مروعة، رائحة اللحم، رائحة كريهة». أثبتت التحقيقات التي راجعت صندوق الطائرة الأسود وتسجيلات برج المراقبة بمطار القاهرة أن كل ما قالته إسرائيل غير صحيح، وأنهم كانوا يعرفون أنها طائرة مدنية وأنه كان بمقدورهم إنقاذها.

في المشرحة، عرفوا جثة بويصير من أصابع يده المبتورة منذ أيام الاحتلال الإيطالي، وتعرفوا على جثة سلوى من انحراف في أحد أسنانها الأمامية.

كل راكب على الطائرة كانت له حياة حافلة كحياة سلوى، استطاع الكاتب الحصول على معلومات عن بعضهم. اللّه وهبهم الحياة، فقتلهم أعداء الحياة. ماذا نقول يا سلوى؟ أعاد كريم جمال سلوى إلينا رمزًا يتألق.

نافذة على الإبداع

الرواية التاريخية العربية والمحلية (بين التوثيق والتخييل)..

مراحل التطور من التعليم والتشويق إلى الاسترجاع والتأويل.

د. محمد صالح الشنطي

@drmohmmadsaleh

كنت قد أشرت في المقال السابق إلى أنني أريد أن أقدم إطارًا نظريًا لقراءتي لبعض الروايات التاريخية في الأدب العربي السعودي بقصد التمهيد والتعريف، وقد عزمت أن أكون مجرد قارئ لبعض المراجع التي تناولت هذا الموضوع وترتيب مراحلها كما أشارت إليها المصادر الموثوقة وما أسعفتني به الذاكرة من حصيلة قراءتي لنماذج منها؛ ذلك أنني أعتقد أن ثمة خلطًا بين السرد التاريخي المحايد أو المؤدلج والرواية التاريخية الفنية وما شاب ذلك من اضطراب لدى البعض في فهم إشكالياتها؛ ولا أدعي أنني قادر على فض الاشتباك بينهما على نحو قاطع على الرغم من كثرة ما قيل حولها؛ ولكنني سأعمد إلى تبسيط الأمر ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، وقد تمحورت مقالتي السابقة حول هذا الموضوع، وفي هذه المقالة سأعمد -ما استطعت- إلى فهم العلاقة بين الرواية التاريخية العربية والواقع منذ أن تواضع عليه المؤرخون من تسمية تلك المرحلة بـ (عصر النهضة).

واستنادًا إلى ذلك التوصيف أشير إلى أن أسئلة تلك المرحلة تندرج في ثلاثية (الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بمفهوم النهضة ومتطلباتها، ومرحلة الاستعمار ومخلفاته، والحراك الاجتماعي الذي تمثل في بروز الطبقة المتوسطة).

وقد اقتضى ذلك -كما حدث بالنسبة للرواية الأوروبية- أن ترتبط نشأة الرواية العربية بما أسفر عنه الحراك الاجتماعي الذي بدأ يتبلور مع ما انتاب الحياة السياسية وظهور حركات التحرر الوطني وبداية التحول في علاقات الإنتاج في الاقتصادات المحلية التقليدية، وكان لا بد من مراجعة السردية التاريخية، وتجاوز البعد الزمني إلى التأسيس لمرحلة نهضوية جديدة.

وثمة من يشير إلى أن الرواية التاريخية كانت تعمد إلى تعميق الوعي بالانتماء والهوية، والاستفادة من المنعطفات المهمة في مسار الحياة العربية عبر العصور، وتمثل العناصر الإيجابية والتواصل معها، وتجنب المنحدرات التي أودت بالكثير من منجزاتها، وصياغة رؤية واضحة لطموحاتها، ولو أمعنا النظر في بدايات الرواية التاريخية التي تمثلت في أعمال سليم البستاني لتبينا أن البذرة الأولى التي ارتبطت باستعادة الوعي القومي تمثلت في روايته (زنوبيا) التي صدرت عام 1871م حيث يتداعى فيها مشهد الصراع مع الأجنبي، فملكة تدمر تخوض حربها ضد القوى الأجنبية ممثلة في الإمبراطورية الرومانية، وهي مؤشر مبدئي يومئ إلى تباشير الوعي بالذات القومية، في بواكير الرواية التاريخية الأولى التي لم تكتمل فيها العناصر الفنية. وشكلت هذه البواكير بداية لظهور كوكبة من كتاب الرواية التاريخية الرائدين في هذا المجال تمثلوا في فرح أنطون ويعقوب صروف، حيث اكتملت دائرة الريادة التي مهدت لظهور جرجي زيدان بإرثه الروائي التاريخي الضخم (روايات تاريخ العرب والإسلام) الذي عدّ مرحلة جديدة ذات نهج واضح تمثل في ازدواجية الحقائق التاريخية ومعطيات الخيال، والبعد المعرفي والتشويق. وعلى الرغم مما اتهم به جرجي زيدان من تشويه مقصود للتاريخ الإسلامي فإنه يمثل مرحلة جديدة أوغلت في التاريخ الإسلامي في نزعة انتقادية لها علاقة بتوجيه النهضة واستكشاف معالم التاريخ في إشارة ضمنية إلى التنبه لما فيه من معالم إيجابية وسلبية، ولم يكن ليخفي الهدف التعليمي وما يكتنفه من مقاصد أخرى، وذلك في شموله برواياته مختلف العصور التاريخية. وفي مرحلة تالية ضمت أعلامًا معروفين من كتاب الرواية التاريخية مثل علي الجارم وعبد الحميد جودة السحار وفريد أبو حديد وعلي أحمد باكثير الذين يمثلون المرحلة الثالثة التي ركز فيها هؤلاء الكتاب على القيم الوطنية والأخلاقية؛ ففي (غادة رشيد) عرض للحملة الفرنسية ولامس سقف القيم الوطنية ممثلة في الولاء والوفاء وحب الوطن ورذيلة الخيانة؛ أما علي أحمد باكثير فركز في روايته (وإسلاماه) على مواجهة العدو الخارجي ممثلًا في مواجهة الغزاة التتار والصليبيين.

وفي مرحلة تالية جاء مشروع نجيب محفوظ الذي عزم فيه على كتابة تاريخ مصر روائيًا؛ ولكنه لم ينجز منه سوى رواياته الثلاث: عبث الأقدار وكفاح طيبة ورادوبيس، ومن الواضح أنه كان يقصد من وراء كتاباته الروائية الثلاث معالجة مسائل تتعلق بالسلطة والشرعية والمقاومة، كما أشار إلى ذلك بعض الكتاب.

وقد جاءت الانعطافة الكبرى في الرواية التاريخية العربية على يد جمال الغيطاني، وفي تسعينيات القرن الماضي دخلت الرواية التاريخية مرحلة جديدة تمثلت في إعادة تمثيل النهج التراثي في السرد وإسقاطات التحولات الكبرى

المتعلقة بمفهوم السلطة والحكم وأساليبه؛ كما تمثلته رواية الغيطاني (الزيني بركات) حيث نهج ابن إياس وعوالم البيئة المصرية السائدة آنذاك: طائفة البصاصين وهو المصطلح الذي كان يطلق على المخبرين، وإسقاطات ذلك النهج القمعي على ما كان سائدًا في مرحلة ما بعد ثورة 23 يوليو، وقد اعتمدت الرواية في هذه المرحلة على الحوليات والوثائق. وبدت الرواية وكأنها مجموعة من الأصوات التي تأتي استنطاقًا للوثائق متكئةً على ما عرف اصطلاحًا بـ (التخييل التاريخي).

وفي مرحلة تالية تمثلها ثلاثية غرناطة لـ (رضوى عاشور) التي تصور مرحلة ما بعد سقوط غرناطة وما حل بالمسلمين في الأندلس، وتحمل رؤى فكرية تنتمي إلى مرحلة ما بعد الاستعمار وتتعلق بالذاكرة الجمعية والهوية والعقيدة والجماعات المقهورة والمهمشة. لقد انتهت الرواية التاريخية إلى الكشف عن جوهر الحياة الإنسانية في مجمل تجاربها الماضية وما تفضي به إلى حاضرها، وما تمتلكه من إمكانات للإجابة عن أسئلة الواقع وآفاقه التأويلية التي تنعكس إسقاطاتها على الحاضر.

أما الجماليات فقد تحولت من استنساخ الشخصية التاريخية واحدية البعد بوظيفتها المنوطة بها في السياق الزمني إلى شخصية إشكالية متعددة الأبعاد في حالاتها الإنسانية المعتادة بعيدًا عن البطولة خاضعة للتفكيك والتساؤل؛ فقد اهتمت الرواية التاريخية الحديثة بالمهمشين. فانتقلت الرواية في هذه المرحلة إلى اللغة التراثية وعمدت إلى المحاكاة الأسلوبية لها والاهتمام بالرسائل والمخطوطات واليوميات والاعترافات والسرد المتقطع والاهتمام بالوثائق بوصفها عناصر جمالية؛ فضلاً عن الاهتمام بالعناصر الشعبية والفئات الاجتماعية المهمشة من الحرفيين والعمال والعبيد والسجناء، فضلاً عن النساء مستعينةً بالذاكرة والروايات المتضادة والتخييل، في مراحل غيبت فيها الذات الوطنية وهيمنت فيها العناصر الأجنبية من الأتراك والفرس والعثمانيين وغيرها، والحقب المظلمة التي سادت فيها الفتن، وانتقائية المراحل والوقائع التي تناظر الأزمات الحاضرة وإسقاطاتها المعاصرة.

أما الرواية التاريخية في الأدب السعودي فلها شأن آخر، إذ تأخرت نشأتها قليلًا لأسباب تتعلق بتبلور التراتب الاجتماعي وبروز الطبقة المتوسطة، وكذلك تقاطع العلائق وتواشج الوقائع ما بين ماضٍ قريب يدخل في إطار التاريخ وينتسب في أثره إلى تشكيل واقع جديد عبر الأحداث الميدانية ذات النكهة التاريخية التي بدت فيها البطولة الفردية صانعة لأمجاد تتشابك فيها الخيوط وتتعامد المصائر. وتعد رواية «أمير الحب» لمحمد زارع عقيل، التي صدرت سنة 1965م أول رواية تاريخية سعودية، وقد بدا واضحًا أنها انطلقت من التاريخ العربي الإسلامي العام ونهجت نهجًا تعليميًا تشويقيًا على غرار روايات جرجي زيدان المستقاة من تاريخ العرب والمسلمين، سواء في بناء الحوادث أو في استدعاء الشخصية التاريخية وربطها بحبكة قصصية تقوم على التشويق والعاطفة والمغامرة. وعلى شاكلتها جاءت رواية «تراب ودماء» لفؤاد عنقاوي، التي صدرت سنة 1984م، واستعادت مرحلة ارتبطت بالتدخل الخارجي والحضور العثماني في المنطقة، فمثلت خطوة أخرى في نقل الرواية التاريخية من التاريخ الإسلامي البعيد إلى تاريخ الجزيرة العربية وتحولاتها السياسية.

وقد لاحظت الدراسات الحديثة أن الرواية التاريخية في السعودية سارت ببطء منذ منتصف الستينيات حتى مطلع الألفية الجديدة، وأن كثيرًا من أعمال المرحلة المبكرة ظل أقرب إلى النموذج الكلاسيكي الذي تكون فيه المادة التاريخية أكثر حضورًا من التجريب الفني في بنية الرواية. ولم تمضِ الرواية التاريخية في السعودية على نهج تطوري منتظم؛ فقد ظل بينها وبين التطور المشهود في الرواية العربية التاريخية فجوة متسعة وتناءت المسافة الزمنية بين الأعمال السابقة واللاحقة؛ فقد نشرت رواية «تراب ودماء» لفؤاد عنقاوي سنة 1984م التي تقدمت في اتجاه محيط مكاني أقرب إلى الوطن في الجزيرة العربية وتضمنت دلالات سياسية فاقتربت بالمسافة الزمنية إلى تخوم العصر الحديث، وبدا واضحًا أنها لم تكن مشروعًا مستقلاً في الفن الروائي السعودي.

ثمة بون شاسع بين الرواية التاريخية التي تتخذ التاريخ خلفية زمنية وتلك التي تتعامل مع المادة التاريخية بوصفها بنية تاريخية ذات بعد رؤيوي؛ وثمة نقلة مهمة جاءت لتعيد ترتيب التحولات المفصلية في البنية الاجتماعية جامعة بين الإطار التاريخي والبعد المعرفي والرؤيوي على نحو ما؛ فرواية «مفارق العتمة» لمحمد المزيني، التي صدرت سنة 2004م، تستعيد تحولات المجتمع العربي في المملكة من بدايات مرحلة ما عرف بالطفرة وبزوغ تباشير التشكل الاجتماعي، والخروج من تقليدية البنية القائمة على التوزيع البيئي ما بين المدينة والريف والبادية إلى التراتب الطبقي المبني على الملكية الاقتصادية والدور الوظيفي. وفي «ثلاثية ضرب الرمل» لمحمد المزيني رصد واضح لهذا التحول البنيوي حيث الانعطاف إلى البنية الاجتماعية المدنية مشيرًا إلى ملاحظة مهمة تتمثل في وصف المزيني لتجربته بأنها محاولة لكتابة الحدث التاريخي بلغة روائية حديثة تجمع بين «حداثة السرد» و«كلاسيكية الحدث».

وفي رواية «فتنة جدة» لمقبول العلوي، الصادرة سنة 2010م، بدا واضحًا الاهتمام بالتاريخ الوطني المحلي؛ فقد استلهم الكاتب فيها واقعةً تاريخية مهمة تمثلت فيها أزمة ذات بعد سياسي محلي وإقليمي، وبدت فيها البيئة المكانية ذات دور مهم في البرنامج السردي للرواية، وقد تمثل كاتبها البعد الإنساني في الدرجة الأولى متجاوزًا الحدود الوثائقية وإن لم يهملها، مستفيدًا من الوثائق والشهادات، ومفعلًا الخيال في سد الفجوات السردية؛ وإذا كانت «موت صغير» تعيد بناء شخصية تاريخية مركزية، فإن «مسرى الغرانيق في مدن العقيق» لأميمة الخميس، الصادرة سنة 2017م، تقدم نمطًا مختلفًا من التخييل التاريخي، إذ تنقل قارئها إلى القرن الرابع الهجري.

ويطول بنا الحديث حول الرواية التاريخية؛ ولكنها نبذة أقدم بها لقراءة لعلي أوفق في تقديم قراءات لها فيما بعد بمشيئة الله.

المقال

«الفايكنج» فرسان الشمال..

الوجه الآخر لشعب السيف والسفينة.

د. سارا فارس عبدالله فلبي

@DrSaraPhilby

من بين كافة شعوب أوروبا القديمة، ربما لا يزال شعب الفايكنج أكثرهم حضوراً في الخيال المعاصر، بصورة المحاربين الحاملين للفؤوس و المرتدين للدروع على متن سفنهم العبقرية التي جمعت بين الخفة و السرعة مما جعلها وسيلة لتوسيع عالمهم خلال بضعة قرون. بدأ عصر الفايكنج في أواخر القرن الثامن الميلادي، عندما هاجم مقاتلون إسكندنافيون مركزاً دينياً مهماً يضم الرهبان و الكنوز الكنيسية، و هو دير لينديسفارن، في غارة مفاجئة تعد اليوم أشهر الأحداث التي دشنت عصر الفايكنج. بعد ذلك، ازدادت غاراتهم على السواحل الأوروبية و الإنجليزية، حتى تحولت من غارات سريعة إلى حملات عسكرية و استيطانية و من ثم استقرار في بعض المناطق. الفايكنج عبارة عن شعوب خرجت من أقصى الشمال الأوروبي خلال الفترة الممتدة من ٧٩٣ م و ١٠٦٦ م بغرض الغزو و الاستكشاف و التجارة عبر البحار، يعود أصلها إلى الشعوب الجرمانية النوردية التي استوطنت المناطق الإسكندنافية، و التي نعرفها اليوم بالدنمارك و النرويج و السويد. لم تسلك تلك الشعوب مساراً واحداً؛ ففايكنج الدنمارك اتجهوا غرباً لغزو مناطق غرب أوروبا و إنجلترا و فرنسا، بينما اتجه فايكنج النرويج عبر البحار الشمالية نحو آيسلندا و جرينلاند حتى وصلوا في نهاية المطاف إلى أمريكا الشمالية، أما فايكنج السويد فقد اتجهوا نحو الشرق عبر بحر البلطيق حتى وصلوا إلى أوروبا الشرقية و العالم الإسلامي. اللافت في قصة الفايكنج أنهم عبارة عن شعوب انتشرت من منطقة جغرافية واحدة، و فتحت لنفسها مسارات امتدت بها في ثلاث جهات مختلفة من العالم. كشف هذا الانتشار الاستثنائي عن قدرتهم غير المعتادة على التكيف في البيئات المختلفة و مواجهة مصاعب البحار بالإضافة إلى بناء طرق هائلة للتجارة و الاستيطان. لذا، فالفايكنج لم يكونوا مجرد محاربين يحملون السيوف في وسط البحار، بل كانوا أيضاً تجاراً و مزارعين و بحارة و مستكشفين، عاش الكثير منهم في استقرار و زرعوا الأراضي و ربوا الماشية، مما جعل حضورهم يمتد إلى مناطق متعددة و بعيدة عن ساحات القتال. خرج الفايكنج من إسكندنافيا لعدة أسباب، منها المناخ البارد القاسي و محدودية الأراضي الزراعية و شح بعض الموارد، بالإضافة إلى الرغبة في التجارة و تحقيق الثروات و الطموحات الشخصية. كانت الجبال و البحار تشكل عوائق طبيعية حدت من حركة سكان الشمال، لكن مع تطور مهاراتهم الملاحية و خبرتهم في الإبحار و صناعة السفن، تحولت تلك العوائق إلى طرق مفتوحة و جسور قادتهم إلى موانئ و بلدان و أسواق جديدة. كان سر قوة السفن النوردية يكمن في طريقة بنائها؛ فقد تميزت بخفة الحركة و المرونة و السرعة و القدرة على تحمل حركة الأمواج، حيث صممت بهيكل طويل و نحيف من الألواح الخشبية المتداخلة و التي تم تثبيتها بمسامير و تم سد فواصلها بمواد عازلة تمنع تسرب المياه، مما سمح لها بالإبحار بسهولة في البحار و الأنهار و المياه الضحلة، و منح الفايكنج ميزة كبيرة في التنقل و المباغتة ليصلوا إلى أماكن يصعب على السفن الأخرى بلوغها. لم تكن قدرة هذه السفن على الوصول إلى أماكن بعيدة مهمة للغزو فحسب، بل شكلت طرق تجارية استفاد منها الفايكنج لتوسيع نطاق ممارساتهم التجارية. خلال القرنين التاسع و العاشر الميلاديين، ازدهرت الحركة التجارية لدى الفايكنج، و التي امتدت عبر أوروبا و شمال الأطلسي، تاجروا خلالها بعدة سلع محلية و مستوردة منها الفرو و الجلود و الكهرمان و العسل و الأسماك و البهارات، بالإضافة إلى المنسوجات الفاخرة و الفضة و الزجاج و العملات. و من الحقائق المؤلمة و المؤسفة هي مشاركتهم في تجارة الرقيق، حيث أسروا أشخاصاً من المناطق المختلفة التي غزوها، ثم باعوا بعضهم في الأسواق، و تلك صفحة مظلمة بلا شك في تاريخهم. هذا الاتساع الكبير في تجارة الفايكنج عبر شبكات اقتصادية امتدت آلاف

الكيلومترات يفسر سبب العثور على عملات فضية إسلامية في مناطق إسكندنافية؛ حيث وصلت مجموعات كبيرة من الدراهم العربية إلى الشمال الأوروبي. بعيداً عن الحرب و التجارة، كانت الحياة اليومية لمعظم شعوب الفايكنج حياة روتينية اعتيادية تعتمد بشكل كبير على العمل الجماعي، بالإضافة إلى اهتمامهم بالزراعة و حصد المحاصيل و تربية الماشية و الحفاظ على الحياة المنزلية. و كان للمرأة دور بارز في المجتمع النوردي على الصعيدين الاجتماعي و الاقتصادي، حيث كانت تدبر شؤون المنزل و المزرعة في آن واحد خصوصاً في غياب الرجل في حالات الرحلات و الحروب و الغزوات. دائماً ما يسلط الضوء على دور المرأة في القتال في عصر الفايكنج، حيث كشفت بعض الاكتشافات الأثرية، و من أشهرها قبر في بيركا بالسويد، عن هيكل لامرأة تم دفنها مع أسلحة و معدات قتالية، مما أثار نقاشاً بين المؤرخين حول وجود محاربات بين الفايكنج. و مع ذلك، لا تعد الأدلة كافية لتأكيد فكرة أن النساء كن محاربات بشكل شائع حينها. و إذا كانت حياة الفايكنج تكشف عن مجتمع متنوع الأدوار، فإن شغفهم بالبحار دفعهم إلى ما هو أبعد عن موطنهم، حيث اهتموا بالاستكشاف الذي قادهم إلى أماكن مجهولة لم تكن معروفة لديهم من قبل. لم يتوقف طموح الفايكنج الاستكشافي على سواحل أوروبا فحسب، ففي نحو عام ٨٧٠ م بدأ الاستيطان النوردي في آيسلندا، و من بعدها تابع النرويجيون رحلاتهم عبر شمال الأطلسي حتى وصلوا إلى جرينلاند نحو عام ٩٨٥ م بقيادة إريك الأحمر. لم تتوقف الرحلة عند جرينلاند، ففي حدود عام ١٠٠٠ م، وصل الفايكنج إلى أمريكا الشمالية، حيث كشفت الأدلة الأثرية عن وجود مستوطنة للفايكنج في موقع لانس أو ميدوز في نيوفاوندلاند في كندا. لذا، فإن الفايكنج وصلوا إلى أمريكا الشمالية قبل الملاح الشهير كريستوفر كولومبس بنحو خمسة قرون. خاض الفايكنج جميع هذه الرحلات في زمن لم تكن فيه خرائط دقيقة أو أجهزة ملاحة حديثة تساعدهم على معرفة ما ينتظرهم خلف الأفق، كانوا يعتمدون على خبرتهم بالبحار و الملاحة، بالإضافة إلى مراقبة النجوم و دراسة اتجاهات الرياح و الأمواج و التيارات، و واجهوا العواصف و الأمواج العاتية على متن سفنهم الخشبية و التي مكنتهم من عبور مسافات شاسعة. على سبيل المثال، ارتبط الفايكنج بالعالم الإسلامي عبر شبكة من الأنهار و الطرق التجارية التي امتدت من شمال أوروبا إلى الشرق، و كان أحد أبرز الشواهد على تلك المرحلة رحلة الرحالة العربي و الدبلوماسي من العصر العباسي أحمد بن فضلان، و الذي وصل إلى منطقة نهر الفولغا عام ٩٢٢ م و كتب وصفاً للشعوب التي مر بها و من بينهم جماعات من الروس المرتبطين بالإسكندنافيين، حيث وصف عاداتهم و ملابسهم و طقوسهم المختلفة. و أخيراً و ليس آخراً، ترتبط الصورة الذهنية الشائعة عن الفايكنج ببنيتهم الجسدية القوية و ملامحهم الصلبة و مظهرهم المحارب، و هي صورة تمثل جانباً من الحقيقة بلا شك، لكنها تأثرت أيضاً بما يتم تقديمه في الأعمال السينمائية الحديثة. الأدلة الأثرية و دراسة الهياكل العظمية في مواقع الفايكنج تشير إلى تمتعهم ببنية قوية تتناسب مع طبيعة حياتهم القاسية، فقد كشفت الدراسات عن وجود كسور في بعض تلك العظام، مع اختلاف ملحوظ في أطوالهم و أجسادهم من منطقة إلى أخرى. أما بالنسبة لملامحهم، فقد تنوعت ألوان الشعر و البشرة و العينين نظراً لاختلاف أصولهم و اتساع حركة التنقل و التواصل مع الشعوب الأخرى. كان رجال الفايكنج أقوياء البنية، و كانوا يعتنون بشعرهم و لحاهم، و كان لباسهم عملياً في الغالب و مناسباً للطقس البارد، كما كانوا يضيفون معدات الحماية مثل الدرع الخشبي الدائري، وأحياناً الخوذ و الدروع الحديدية، استعداداً للقتال.

أما النساء، فكن يرتدين الفساتين الطويلة المصنوعة من الصوف أو الكتان، بالإضافة إلى ثوب علوي مثبت عند الكتفين بدبابيس معدنية، كما استخدمن الأحزمة و الحلي كالقلائد و الأساور و الخواتم. بشكل عام، ما تم العثور عليه في المدافن و المستوطنات يشير إلى اهتمام ملحوظ بالمظهر و الزينة لدى رجال و نساء الفايكنج على حد سواء. بدأ عصر الفايكنج بالتراجع تدريجياً و أسدل الستار عليه في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، مع تحول المجتمعات الإسكندنافية إلى ممالك أكثر استقراراً. انقضى عصر الفايكنج، لكن قصتهم تبقى حية إلى اليوم، كونها قصة شعب لم يحارب فحسب، بل لم يتردد في مواجهة المجهول، فأبحر إليه بمحض إرادته، و شق طريقه عبر العواصف بحثاً عما وراء الأفق. تستمر حكاية الفايكنج كلما نادى المجهول من بعيد و كلما ظننا أن الأفق قد انتهى.

أخضر x أخضر

استعادة اليمن .. إغلاق مصنع التهديد

عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ
@alshaikh2

ليست استعادة الدولة أن يعود اسمها إلى المباني، بل أن يعود إليها القرار الذي لا تستطيع جماعة مسلحة تعطيله، فحين تنفصل القوة عن المسؤولية، يستطيع طرف أن يختار الحرب و يترك للبلد كلفتها، و لكل صاروخ تاريخ يسبق زر الإطلاق، تاريخ من مال يشتري، و سلاح يعبر، و أرض تُدار خارج رقابة الدولة، لذلك تعني استعادة اليمن استرداد القرار الذي يمنع تحويل أرضه إلى منصة تهديد، و هنا تقع المصلحة السعودية المباشرة: أن يكون على الجانب الآخر من الحدود بلد يملك قراره، و يستطيع الوفاء بالتزاماته.

و هذا الربط حاضر في بيان وزارة الخارجية اليمنية الصادر في الثامن من سبتمبر ٢٠٢٦، حين أدانت الاعتداءات الحوثية على المملكة، و دعت إلى وقف تدفق السلاح و التمويل و الخبرات العسكرية إلى الميليشيا، و إلى تمكين مؤسسات الدولة من بسط سلطتها على الأراضي و السواحل و المياه الإقليمية، و المعنى السياسي الذي أستخلصه من هذا البيان واضح: استمرار غياب سلطة الدولة يترك باب إنتاج التهديد مفتوحاً، مهما نجحت مواجهة جولة منه.

لنأخذ الميناء، يراه الناس رصيفاً ترسو عنده السفن، لكنه في بناء الدولة طريق يصل بين البحر و راتب المعلم، تدخل البضاعة، تُحصّل الرسوم القانونية، تذهب الإيرادات إلى موازنة معلومة، ثم تعود إلى الناس خدمةً و أجوراً، حين تنقطع هذه الدورة، و يصبح المال تحت تصرف سلطة مسلحة خارج المؤسسات، قد يستمر الميناء في العمل بينما تبقى الدولة عاجزة عن أداء وظيفتها، تشغيل الرصيف وحده لا يكفي. لذلك، فإن السؤال الأجدى بعد استعادة أي منفذ هو: أين سيذهب أول ريال يدخل منه؟ إن انتهى إلى حسابات لا تخضع للمساءلة، بقي الخلل الذي يتيح قيام سلطة موازية، و إن دخل نظاماً عاماً عادلاً، يحفظ حقوق المحافظات و يتيح معرفة أوجه الصرف، بدأت استعادة الدولة فعلياً، السيادة يمكن أن تظهر في إيصال رسوم صحيح، و في موازنة لا يستطيع صاحب السلاح أن يمد يده إليها، و لهذا المعنى أصل في «السياسة الشرعية» لابن تيمية، إذ يصف ولاة الأموال بأنهم «أمناء و نواب و وكلاء، ليسوا ملاكاً»، فالمال العام أمانة يُسأل عنها القائم عليه، و لا يصبح غنيمةً لمن استطاع الاستيلاء عليه.

ثم هناك الموظف الذي ينتظر آخر الشهر، و قد أشار البنك الدولي، في عرضه للوضع الاقتصادي في اليمن، إلى الانقسام الاقتصادي و تنافس المؤسسات، و ما يصاحبهما من ضغوط معيشية، و في تقديري، فإن انتظام راتب المعلم و الممرض يعيد للدولة حضوراً لا تصنعه الخطب، عندما يصل الحق وفق نظام معلوم، تقل حاجة الناس إلى البحث عن وسيط مسلح، أو صاحب نفوذ يمنحهم ما يفترض أن يحصلوا عليه بحقهم.

لكن تحويل الراتب إلى علاج سحري سيكون خطأً، يمكن أن تعمل المدرسة، و يبقى قرار إطلاق الصاروخ خارج الدولة، و يمكن أن تُسدّد الأجور، ثم تقرر جماعة خوض مواجهة تقطع الإيراد الذي يمولها، لهذا يجب أن تسير استعادة الخدمات مع معالجة السلاح المنفلت و التمويل الخارجي و استقلال القرار العسكري، لا يستقيم أن تتحمل الدولة مسؤولية إطعام الناس، بينما يملك غيرها قرار إدخالهم في الحرب.

و هنا أصل إلى ما أسميه «دولة التوقيعين»: حكومة توقع اتفاقاً لفتح التجارة، و جهة مسلحة تستطيع في اليوم التالي تعطيل مفعوله، المستثمر يسأل مَن يضمن عقده، و الناقل يسأل مَن يضمن طريقه، و الجار

يسأل مَن يضمن ألا تنطلق الاعتداءات نحوه، كلما اختلفت الإجابات تراجعت قيمة التعهدات، و نجد عند ابن خلدون، في فصل «فيما يعرض في الدول من حجر السلطان و الاستبداد عليه»، وصفاً لبقاء مظاهر الملك لصاحبه مع انتقال التصرف في الجيش و المال إلى المتغلب عليه، و أستعير من هذا الوصف معنى انفصال الاسم عن القدرة، فاليمن يحتاج مؤسسات تملك تنفيذ ما تَعِد به، و قوة مسلحة خاضعة لقرارها و لقانون يحاسبها.

أما البحر، فيشرح حجم القضية بكلمات يفهمها صاحب البقالة، السفينة التي تضطر إلى سلوك طريق أطول تحتاج وقوداً و وقتاً أكثر، و قد ترتفع كلفة نقل بضاعتها، و قد وثّقت إدارة معلومات الطاقة الأميركية، في فبراير ٢٠٢٤، أن هجمات البحر الأحمر دفعت سفناً إلى مسارات أطول، و رفعت تكاليف الشحن و أقساط التأمين ضد المخاطر، و هذا مثال موثّق على وصول أثر التهديد إلى التجارة، بعيداً عن مكان الاعتداء نفسه.

و الدلالة هنا أن الميليشيا قد تجعل آخرين يدفعون كلفة اضطراب صنعته، دون أن تتحمل هي نصيباً مماثلاً من خسائرهم، قد يضطر صاحب المتجر إلى تأجيل توسعته، و تجميد مال إضافي في المخزون تحسباً للتأخير، بينما يعلن مطلق التهديد أنه فرض حضوره، هكذا يتحول تعطيل الطريق إلى نفوذ سياسي، و المعالجة الأعمق تسترد إدارة الساحل للدولة اليمنية، و تجعل مصالح السكان مرتبطة بازدهار التجارة و استمرارها.

لليمن فرصة أن يكسب من موقعه عبر الموانئ و النقل و التخزين و الخدمات، كل نشاط من هذه الأنشطة يستطيع، إذا توافرت شروطه، أن يصنع دخلاً و عملاً و مصلحة في الأمن، و هذا هو التحول المطلوب: أن يصبح مرور السفينة خبراً جيداً لأهل الساحل، و أن تعني عودتها غداً فرصة رزق أخرى، عندها يتسع عدد الذين يخسرون من العبث بالبحر، و يملكون سبباً وطنياً للدفاع عن استقراره.

و بالنسبة للسعودية، فإن دعم هذا المسار استثمار في أمن يمكن أن يستمر، المملكة تحتاج شريكاً يمنياً قادراً على ضبط منافذه و حماية أرضه و تنفيذ اتفاقاته، و كل دعم لبناء هذه القدرة ينبغي أن يقوي المؤسسات، و يصل أثره إلى الناس، و يخضع للمحاسبة، لأن الاعتماد الدائم على تمويل خارجي متقطع يترك الدولة قلقة على شهرها التالي، بينما المطلوب مساعدتها على الوقوف بمواردها و كفاءتها.

و على الشركاء الدوليين إدراك أن تأمين رحلة سفينة اليوم، مع بقاء مصدر التهديد قادراً على تعطيل رحلة الغد، يترك الفاتورة تتجدد، استعادة الدولة اليمنية تمنح جهود الأمن البحري شريكاً محلياً مسؤولاً، و تربط حماية الطريق بحماية البلاد التي تطل عليه، لذلك، ينبغي أن يجتمع وقف الإمداد العسكري للميليشيا مع صون وصول الغذاء و الدواء و التجارة المشروعة إلى اليمنيين؛ حتى تضيق قدرة المعتدي، و تتسع قدرة المجتمع على الحياة.

و المقياس الذي أقترحه للنجاح بسيط: هل صار التاجر يعرف الرسوم المعلنة دون جبايات إضافية؟ هل يستطيع الموظف المطالبة بحقه أمام مؤسسة؟ هل يصل الإيراد إلى الخدمة؟ هل تخضع القوة المسلحة لقرار وطني مسؤول؟ و هل تستطيع الدولة منع استخدام أرضها ضد جيرانها؟ هذه الأسئلة تجعل عبارة «استعادة اليمن» قابلة للقياس، و تمنع الاكتفاء بمشهد احتفال تعود بعده المشكلات إلى مواقعها القديمة، و الإجابة عنها تحتاج رقابة مستقلة تراجع الحسابات و نتائج الخدمات و وقائع الانتهاكات، و تنشر ما يمكن نشره من نتائجها، حتى يكون الحكم على الأداء مستنداً إلى ما يمكن التحقق منه، لا إلى شهادة الجهة لنفسها.

إن اكتمال هزيمة المشروع الحوثي يقتضي حرمانه من إعادة بناء سلطة فوق الدولة، تستطيع جمع المال و امتلاك السلاح و تقرير الحرب، هذا هو إغلاق مصنع التهديد، أمن السعودية يستحق نهاية لهذا الابتزاز، و اليمن يستحق أن يعود وطناً لأهله، يختارون مستقبله عبر مؤسساته، فالغاية أن يصبح للدولة اليمنية القرار الذي يمنع الصاروخ، قبل أن تضطر السعودية إلى إسقاطه.

خط أخضر:

توقيع واحد للدولة يكتمل به معنى استعادة اليمن، فتذهب إيراداته إلى حياة شعبه، و يعود قرار الحرب إلى مؤسساته وحدها.

و أمن السعودية يقتضي إغلاق مصنع التهديد، حتى يفقد الحوثي القدرة على بيع الهدوء بالتقسيط.

بوصلة

علي مكي*
@ali_makki2

عبدالعزيز بن سعود بن نايف..

الأمنُ يصنعُ للمستقبل حصانته!

ليس من المعتاد أن يقودك الحديث عن وزارة للداخلية إلى التاريخ والثقافة والهوية والبحث العلمي والذكاء الاصطناعي. فالصورة التقليدية للعمل الأمني ترتبط، في أذهان كثيرين، بالميدان وحفظ النظام ومواجهة الجريمة وحماية الأرواح والممتلكات. لكن التحولات التي تشهدها وزارة الداخلية السعودية في عهد وزيرها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف بن عبدالعزيز تكشف عن مفهوم أكثر اتساعاً للأمن؛ مفهوم يرى أن المجتمع الآمن لا تصنعه القوة وحدها، وإنما يصنعه كذلك الوعي والمعرفة والاعتدال، وتصنعه مؤسسة أمنية تعرف تاريخها، وتقرأ حاضرها، وتستعد لمستقبل تتغير فيه طبيعة المخاطر وأدوات مواجهتها.

من هنا يمكن قراءة مؤتمر «حوار الأمن والتاريخ 2026»، الذي رعاه الأمير عبدالعزيز بن سعود، واختار له عنواناً لافتاً: «تاريخنا ومستقبلنا.. أمن ونماء». لم يكن المؤتمر حدثاً ثقافياً عابراً في أجندة مؤسسة أمنية، ولا استعادة احتفالية لوقائع الماضي، بقدر ما كان يمثل إشارة إلى الطريقة التي تنظر بها وزارة الداخلية اليوم إلى مفهوم الأمن نفسه.

عندما تجمع وزارة الداخلية المؤرخ والباحث والمثقف والأكاديمي والخبير ورجل الأمن في مساحة واحدة للحوار، وتضع ثلاثة قرون من تاريخ الأمن في الدولة السعودية أمام أجيال الحاضر، فإنها تقول، بطريقة غير مباشرة، إن الأمن له ذاكرة، وإن معرفة تلك الذاكرة جزء من صناعة المستقبل. وهذه مسألة تستحق التأمل. فالأمن في جوهره ليس حالة منفصلة عن المجتمع، بل هو نتيجة لمنظومة متكاملة من القيم والمؤسسات والمعرفة. وكلما كان المجتمع أكثر وعياً بتاريخه وهويته، وأكثر اعتدالاً وتماسكاً، كان أقدر على حماية استقراره من الأفكار المتطرفة ومن محاولات الاستقطاب والتضليل. لذلك لا يبدو غريباً أن تتقاطع في مبادرات وزارة الداخلية اليوم مفردات كانت، في التصور التقليدي، تبدو بعيدة عن القاموس الأمني: الثقافة، والتاريخ، والبحث، والهوية، والتعليم، والذكاء الاصطناعي.

وهنا تحديداً يمكن تلمّس أحد ملامح رؤية الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف في إدارة واحدة من أكبر مؤسسات الدولة وأكثرها اتصالاً بحياة الناس: الأمن يبدأ قبل وقوع الخطر. يبدأ من الإنسان. ويبدأ من الفكرة. ويبدأ من المعرفة.

لقد عرفت المملكة، في مراحل مختلفة، معنى المواجهة الأمنية الصعبة، وقدمت في سبيل استقرارها تضحيات كبيرة. وعرفت كذلك أن الانتصار على التطرف، على سبيل المثال، لا يتحقق فقط بملاحقة الفعل الإجرامي، وإنما بمواجهة البيئة الفكرية التي يمكن أن تنتجه. ومن هنا تكتسب مفاهيم الوسطية والاعتدال والهوية الوطنية والوعي قيمتها الأمنية؛ لأنها تبني في الإنسان حصانة تسبق الحاجة إلى أي مواجهة.

هذه الفلسفة لا تقلل من أهمية رجل الأمن في الميدان، بل تمنحه عمقاً إضافياً. فرجل الأمن المعاصر لا يعمل في عالم بسيط يمكن فهم مخاطره بالأدوات القديمة وحدها. أمامه اليوم جرائم سيبرانية، وشبكات عابرة للحدود، وبيانات هائلة، وتقنيات تتطور كل يوم، وذكاء اصطناعي يعيد تشكيل كثير من تفاصيل الحياة والعمل والجريمة معاً. ولذلك فإن تطوير المؤسسة الأمنية لا يمكن أن يقتصر على تحديث أجهزتها، بل لا بد أن يبدأ بتطوير الإنسان الذي يستخدم هذه الأجهزة ويتخذ القرار.

ومن هذه الزاوية يمكن فهم الاهتمام الواضح بتطوير كفاءات منسوبي وزارة الداخلية، وتوسيع دائرة معارفهم، وربطهم بالمؤسسات الأكاديمية والبحثية المتخصصة.

ولعل التعاون مع جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية «كاوست» يقدم نموذجاً مهماً لذلك. فقد اتجهت وزارة الداخلية، ممثلة في برنامج تطوير الوزارة وكلية الملك فهد الأمنية، إلى التعاون مع الجامعة لتنفيذ برامج دراسات عليا في مجالي الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني. وفي مايو الماضي، كان من بين خريجي كلية

الملك فهد الأمنية الذين رعى الأمير عبدالعزيز بن سعود حفل تخرجهم خريجو الدفعة الثانية من برنامج ماجستير الذكاء الاصطناعي.

قد يبدو ذلك في ظاهره برنامجاً أكاديمياً، لكنه في دلالته أبعد من شهادة علمية يحصل عليها عدد من منسوبي الوزارة. إنه استثمار في عقل المؤسسة الأمنية.

فحين يدرس رجل الأمن الذكاء الاصطناعي على أيدي علماء وباحثين في جامعة بحثية متقدمة، فإنه لا يتعلم استخدام تقنية جديدة فحسب، بل تتغير طريقته في النظر إلى المعلومة، وتحليل البيانات، وفهم الأنماط، واستشراف المخاطر، واتخاذ القرار. وهكذا تتحول العلاقة بين المؤسسة الأمنية والجامعة من تعاون تقليدي إلى شراكة في بناء القدرات التي سيحتاج إليها أمن المستقبل.

والأمر لا يتوقف عند التعليم، ففي أبريل الماضي اعتمد الأمير عبدالعزيز بن سعود الخطة الاستراتيجية لمركز أبحاث الجريمة، وهي خطوة تختصر جانباً آخر من هذا التحول. فالخطة تقوم على بناء قاعدة بيانات شاملة للجرائم، وتأهيل الباحثين المتخصصين في علم الجريمة، والاستفادة من الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات والتنبؤ بالجريمة، وإقامة الشراكات مع الجامعات والمراكز الوطنية والدولية.

والفارق هنا جوهري بين مؤسسة تنتظر الجريمة لتتعامل معها، ومؤسسة تبحث في أسبابها وأنماطها، وتحلل بياناتها، وتحاول استشراف احتمالات وقوعها.

إنها المسافة بين رد الفعل وصناعة المعرفة. وفي هذه المسافة تحديدًا تتشكل المؤسسة الأمنية الحديثة.

فالذكاء الاصطناعي ليس قيمة في ذاته، والتقنية مهما بلغت لا يمكن أن تكون بديلاً عن الإنسان. قيمتها الحقيقية تظهر عندما تصبح أداة في يد كفاءة بشرية مؤهلة تعرف ماذا تريد من التقنية، وكيف تقرأ نتائجها، وأين تضع حدودها. ولهذا يبدو الجمع بين تطوير القدرات البشرية والتحول التقني في وزارة الداخلية أكثر أهمية من مجرد امتلاك أحدث الأنظمة.

لقد ظهرت آثار هذا التوجه بالفعل في استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي والمنصات الذكية في العمل الأمني الميداني وغرف العمليات وإدارة الحشود ودعم القرار. وهي رحلة لا تتوقف عند رقمنة الإجراءات، بل تتجه تدريجياً إلى بناء عمل أمني يعتمد بصورة أكبر على البيانات والتحليل والاستباق.

وهنا نعود إلى «حوار الأمن والتاريخ».

فاللافت أن المؤسسة التي تتجه بهذه السرعة نحو المستقبل هي نفسها التي توقفت لتقرأ ثلاثة قرون من تاريخ الأمن في الدولة السعودية. وليس في ذلك تناقض، بل ربما كان هذا هو المعنى الأجمل في التجربة كلها، لأن الذهاب إلى المستقبل لا يستدعي القطيعة مع الماضي، بل يحتاج إلى فهمه.

التاريخ يمنح المؤسسة ذاكرتها، والبحث يمنحها قدرتها على الفهم، والتقنية تمنحها أدوات المستقبل، والإنسان المؤهل يجمع كل ذلك في قرار واحد.

هذه المعادلة ربما تفسر كثيراً من ملامح وزارة الداخلية في عهد الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف. فهو ينتمي إلى مدرسة أمنية سعودية عريقة، لكنه يقودها في زمن مختلف؛ زمن لا يكفي فيه أن تكون المؤسسة قوية، بل ينبغي أن تكون ذكية، ولا يكفي أن تكون حاضرة في الميدان، بل ينبغي أن تكون حاضرة في الجامعة ومركز الأبحاث ومنصات المعرفة والحوار الثقافي. وذلك هو التحول الأهم. أن تصبح الثقافة جزءاً من الوقاية، والاعتدال جزءاً من الأمن، والجامعة شريكاً لرجل الميدان، والباحث شريكاً لصانع القرار، والبيانات وسيلة للاستباق، والتاريخ مصدراً لفهم الحاضر لا مجرد سجل للماضي.

الأوطان المستقرة لا تحرس حدودها فقط؛ إنها تحرس كذلك وعي أبنائها، وتحمي ذاكرتها، وتعزز هويتها، وتبني الإنسان القادر على التمييز بين الحقيقة والتضليل وبين الاعتدال والتطرف. وفي عالم أصبحت فيه الفكرة قادرة على عبور الحدود في ثانية، ربما أصبحت حماية العقل الوطني إحدى أكثر مهمات الأمن تعقيدًا وأهمية.

لهذا كان «حوار الأمن والتاريخ» أكبر من مؤتمر. كان نافذة يمكن من خلالها رؤية فلسفة أمنية تتشكل أمامنا، حيث الأمن الذي يتذكر كي يتعلم، ويتعلم كي يتطور، ويتطور كي يستبق المستقبل.

وفي قلب هذه الرؤية يقف الأمير عبدالعزيز بن سعود بن نايف، واضعاً الإنسان والمعرفة إلى جانب القوة والتقنية في معادلة واحدة.

فالأمن الذي يواجه الخطر حين يصل يؤدي واجبه، أما الأمن الذي يبني الوعي كي لا يجد الخطر بيئة ينمو فيها، ويصنع المعرفة كي يستبق الجريمة، ويؤهل رجاله لأدوات عصرهم، ويستعين بالعلم لفهم ما سيأتي قبل أن يأتي؛ فهو أمن لا يحرس الحاضر وحده. إنه يصنع للمستقبل حصانته.

(*) كاتب وصحافي سعودي

حديث الكتب

حمد سعد المالك

«بدايات» وبين «أحفادي»..

القشعمي من سيرته إلى سيرة أحفاده .

لم نعتد كثيرًا أن يكتب الأديب عن أحفاده بوصفهم مادة أساسية لعمل مستقل. فالكاتب غالبًا ما يعود إلى نفسه، يستعيد طفولته وشبابه، أو يكتب سيرته وما مر به من تجارب ومواقف، وقد يكتب عن جيله والمرحلة التي عاشها. لكن الأديب والمؤرخ محمد القشعمي اختار في كتابه «بين أحفادي» أن ينظر إلى تجربته من زاوية مختلفة؛ فيكتب عن أسرته، عن والديه وأبنائه وأحفاده، وما بقي في ذاكرته من حكاياتهم وتفاصيل حياتهم.

وأجدني وأنا أقرأ الكتاب أستعيد أكثر من عشرين عامًا جمعتني بأبي يعرب، حين عملنا معًا في مكتبة الملك فهد الوطنية. خلال تلك السنوات عرفته عن قرب، ورأيت كيف كان البحث يستحوذ على اهتمامه؛ يتتبع المعلومة من مصدر إلى آخر، ويعود إلى التفاصيل الصغيرة التي قد يتجاوزها غيره. كان يمضي وقتًا طويلًا في تقليب أعداد الصحف القديمة، يبحث عن اسم أو خبر أو معلومة مهمة.

ومن هذا الشغف خرجت أعمال أدبية

محمد القشعمي

كثيرة له، ومنها اشتغاله على «بدايات الصحافة السعودية»؛ فقد كان يستخرج من الصحف ما يساعد على استكمال مرحلة تاريخية وتوثيق جوانبها التي قد تغيب مع مرور الوقت.

فالرجل الذي قضى سنوات ينقّب في الصحف اتجه هذه المرة إلى بيته، يبحث فيما علق في ذهنه وأوراقه عن تفاصيل جيل يراه يكبر أمامه. تغيرت طريقة البحث، لكن شغفه بالتوثيق ظل حاضرًا؛ فكما كان يحفظ ما يعثر عليه في الصحف، أراد هذه المرة أن يحفظ شيئًا من ذاكرة أسرته في كتاب.

وأنا أقرأ «بين أحفادي» لم أستطع أن أفصل الكتاب عن «بدايات»؛ ففيه عاد القشعمي إلى طفولته وسنوات تكوينه، واستعاد من خلالها جانبًا من البيئة والمجتمع اللذين نشأ فيهما. أما هنا، فإنه يترك مساحة من سيرته ليتوقف عند أبنائه وأحفاده، وما كتبوه وما أنجزوه، وما يراه في شخصياتهم من ملامح تستحق أن تُحفظ. هناك كان يستعيد سيرته، وهنا يفتح سجل الأسرة على جيل جديد.

ويبدأ بالوالدين، فيستعيد في الفصل الأول سيرة والده الشيخ عبد الرزاق القشعمي، الذي فقد بصره في طفولته، لكنه أقبل على العلم، حتى أصبح معلماً للقرآن الكريم والعلوم الشرعية، ونال الشيخ عبد الـرزاق شرفاً عظيماً في عام 1336هـ، حيث أمّ جلالة الملك عبد العزيز في جميع صلوات شهر رمضان المبارك في قصر الحكم بمدينة الرياض. كما يستعيد ذكرياته مع والدته حصة القشعمي، في نص يحمل قدرًا واضحًا من الحنين والحزن الشديد على فقدانها. فيذكر أنـه رغـم كبر سنه وتجاوزه الثمانين، إلا أنه لم يعرف معنى اليتم الحقيقي إلا بعد رحيل والدته، واصفاً

إياها بأنها المخلوق الوحيد الذي يظل يراك طفلاً مهما تقدمت بك السنوات.
ثم يأتينا الفصل الثاني والمخصص للأبناء والأحفاد، فيسجل أسماء الأبناء العشرة وأحفادهم وأسباطهم، في عمل يتجاوز مجرد التعريف العائلي إلى حفظ شجرة الأسرة وتفاصيل جيل قد لا تتوافر عنه مثل هذه المعلومات بعد سنوات.
أما الفصل الثالث، فيكشف جانبًا أكثر خصوصية في شخصية الجد، ليضم رسائل وجهها القشعمي إلى أحفاده في مناسبات مفصلية، كالتخرج والزواج. وفي رسائله إلى «فِّي» و«عبد الرحمن» و«عـمـر» و«سليمان» و«نـجـلاء» و«ريـوف»، لا يكتفي بالتهنئة، وإنما يـقـدم لـهـم خـلاصـة من تجربته في الحياة؛ يحثهم على التفاهم، والجد والاجتهاد، ومواصلة الـتـعـلـيـم، والالـتـــزام، والصدق، وخدمة الوطن، والصبر والحكمة في بناء حياتهم الأسرية.
وهذه الرسائل، في رأيي، من أهم ما يمنح الكتاب قيمته الإنسانية؛ لأنها لا تحفظ المناسبة فحسب، وإنما تبقي على رأي الجد في لحظة معينة من حياة أحفاده. وقد تبدو هذه الكلمات في وقتها مجرد رسائل عائلية بين جد وأحفاده، لكنها مع مرور السنوات تصبح جزءًا من ذاكرتهم، وتكشف عن القيم التي أراد أن يتركها لهم، وعن نظرته إلى التعليم والعمل والزواج والشؤون الاجتماعية.
ثم يأخذنا الفصل الرابع إلى مساحة الإنتاج الكتابي للأحفاد، فيشتمل على نماذج من مقالاتهم وكتاباتهم، ومنها سيناريو «خالد وهند» لفّي المحمد، وقصص نجلاء اليعرب، وكتاب «معن، طفل التوحد» لجنان الصيخان، ونشرة «احتفاء بجهود تستحق التكريم» لوجد العبد العزيز، وقصة «نقطة تحول» لشَدن العبد العزيز.
وتستوقفني هنا قصة «نقطة تحول» تحديدًا؛ فقد كتبتها شَدن وهي في العاشرة من عمرها، وتناولت فيها التنمر المدرسي، وأهمية مساعدة الآخرين، والاجتهاد في الدراسة، وعدم الاستسلام للصعوبات. احتفت بها مجلة «اليمامة» في تحقيق صحفي تناول شغفها المبكر بالقراءة والكتابة. وليس المهم في إدراج هذه التجربة أنها عمل أدبي مكتمل، وإنما أن الجد التفت إلى المحاولة الأولى، وحرص على حفظها ضمن تاريخ الأسرة.
وفي اللقاء الثقافي الذي أقيم حول الكتاب في «قيصرية الكتاب» بالرياض في 17 أغسطس 2026، كان حديثه امتدادًا لما طرحه الكتاب من أسئلة حول علاقة الجيل الجديد بالقراءة والمعرفة. فتحدث عن الكتاب الورقي، ووسائل التواصل والأجهزة الحديثة، والذكاء الاصطناعي، وما أحدثته هذه الوسائل من تغير في طريقة تعاملهم مع المعرفة. وكان في حديثه حنين إلى الكتاب، وقلقٌ من أن تستنزف هذه الوسائل وقتهم وتؤثر في عقولهم.
ولذلك جاءت وصيته في ختام الكتاب محـذرة مـن الإفـراط فـي استخدام وسائل التواصل الاجتماعية والذكاء الاصطناعي، وداعية إلى الاعتدال وعدم ترك هذه الوسائل تستولي على الوقت والعقل. وهي وصية تبدو منسجمة مع رجل عاش زمن الكتاب والصحيفة والمجلة، ثم شـهـد بنفسه انتقال المعرفة إلى الشاشة.
ولعل قيمة «بين أحفادي» لا تـتـوقـف عـنـد أسـرة القشعمي؛ فالقارئ يجد نفسه أمام تجربة تدفعه إلى التفكير في الأشياء التي نعيشها داخل أسرنا ثم ننساها. تخرج ابن، أو أول نص يكتبه حفيد، أو رسالة في مناسبة عائلية، قد تبدو تفاصيل عابرة، لكنها مع مـرور الوقت تصبح جـزءًا من سيرة الأسرة وحكاياتها.
وهنا تكمن أهمية الكتاب؛ فهو يلفت النظر إلى أن التوثيق ليس للأحداث الكبيرة وحدها، وأن حياة الناس العادية فيها ما يستحق أن يُحفظ. والقشعمي، بما عرف عنه من انشغال بالتوثيق، وسّع هذه المرة دائرة اهتمامه لتشمل أقرب الناس إليه، فترك للقارئ تجربة يمكن أن يتأملها، وللعائلة صفحات ستعود إليها يومًا.

حديث الكتب

«صوتُ ذاهلٌ كالحزن» للشاعرة شقراء المدخلي ..

أنثى لم تنكسر..
وتعيد صياغة ذاتها.

بكر منصور بريك

ماذا أُسَمِّيك ؟ جَلَّ الاسمُ والعَلَمُ
وجلَّ يا موطني في وصفكَ الكَلِمُ
سيَّانَ في حبِّك الأسماءُ كلُّ هوى
يُفضي إليكَ، وكلُّ الأغنيات فَمُ
ضَمَمْتَ دعوةَ إبراهيم فانبثقَتْ
آياتُ أحمدَ دانَ العُرْبُ والعجَم .

برزت الشاعرة شقراء المدخلي في مرحلة متأخرة من التاريخ الشعري في منطقة جازان،وكان هذا طبيعيا ومؤاتيا للظرف الاجتماعي والتعليمي السائد في المنطقة،وشقراء المدخلي الشاعرة التي يصدق فيها التوصيف بالفرادة،وليست الوحيدة بالطبع في جيلها،فهنالك غيرها من الشاعرات في الجيل المتأخر،ولكن تفوق إنتاجها الشعري بشموليته على المستوى الموضوعاتي وجودته على مستوى الأداء الفني،وامتازت بحضورها النسوي المتواصل والمشتبك مع طبيعة الظرف الآني،وأخيرا أُختصتْ بميزة اختيار أحد نصوصها (ترنيمة لوطن سماوي) ليدرج ضمن منهج الأدب العربي وتاريخه للصف الثالث

الشاعرة شقراء المدخلي

الثانوي بالمعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،وختاما فازت بمسابقة الشعر في الدورة السادسة لجائزة الشارقة لإبداعات المرأة الخليجية في الآداب والفنون للعام ٢٠٢٤ عن ديوانها (صوتٌ ذاهلٌ كالحزن) .

(الآنَ،صوتُكَ،ذاهلٌ كالحزن،كن نايا ،لتنتفضَ الحكايةُ،في زجاجاتِ النبيذِ،ويحتسي المعنى السلامُ) .

ولنا أن نقف على العنونة وهي العتبة الأولى في هذا الديوان،فالصوت هو الآلية التعبيرية التي يتوسلها الإنسان ويوظفها في حياته كثيرا،وهو إشارة قوية على فاعلية الوجود البشري الذي يرتجي البوح،و«ذاهل» ملفوظ يدلُّ على معانٍ متعددة،ولعل أقربها هنا تلك الحالة الذهنية المؤقتة التي تعتري الإنسان في حال من عدم التهيّؤ للحدث الطارئ فيتبدد على إثرها الفكر وتتقلص القوى الذهنية ولا تسنح الفرصة بالتركيز في موضوع محدد متعين،وتحول حالة الذهول بين المرء وقلبه، يقول الشيخ ابن عاشور في التحرير والتنوير في تفسير الآية (يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعة عما أرضعت) ما نصه : الذهول نسيانُ ما مِن شأنه ألا يُنسى لوجود مقتضي تذكّره،إما لأنَّه حاضرٌ وإما لأنَّ علمه جديد، وإنما يُنسى لشاغل عظيم عنه،فذكر لفظ الذهول هنا دون النسيان؛ لأنَّه أدلُّ على شدة التشاغل . والذهولُ الغفلةُ عن الشيء بطروء ما يُشغِلُ عنه من همّ أو وجع أوغيره،كما قاله ابن عطية في المحرر الوجيز والملفوظ»ذاهل»هنا يعني

الصدمة والانشغال والصمت إزاء تحولات الحياة وتقلبات الزمان . ويأتي التشبية في عتبة العنوان «كالحزن» دالا على انكفاء الصوت الذاهل على ذاته وعودته الى الصمت يلوذ به،وكأنه يتوغل في نفسية الإنسان ويقطع عنه التواصل الطبيعي بالبيئة المحيطة به . وهنا تبرز الإمكانات اللسانية التي يحتويها العنوان المستند إلى التركيب الاستعاري،وينهض معتمدا على الاختيار المجازي لإضفاء نوع من الأنسنة على الحزن لإكسابه عمقا إنسانيا وتجذرا في التجربة .

وإذا انتقلنا سريعا إلى عتبة الإهداء،وهي بالطبع أساسية في تأويل النص،فإننا سنكون في مواجهة مع شحن عاطفي جلي يحمل كما إشاريا عاليا وموحيا،وصيغت بلغة موحية في رمزيتها،ومكثفة في معانيها، ومحمولة على جناحين من التضادات بين الطفولة والأمومة على سبيل التمثيل،وهذا ما ترنو إلية عملية الإهداء من لفت أنظارنا إلى الأذعان لمرحلة هامة من العمر حينما كانت أنثى النص في السن المبكرة في غفلة من صروفات الزمن وحدوده، الزمن الذي يمضي،وإن كانت آثار الملامح الطفولية باقية في ذكراها وعالقة في تذكرها،وهنا مكمن التوترات الحادة والجادة الناتجة من خلود الذات النصية في طفولتها،واستشعارها بصفة عدم الإقرار بمرور الزمن وانحدار السنوات،في مقابل الساعة والآن حيث وقعت المباغتة،خاصة إذا تذكرنا الإشارة الأولى «ذاهل» في العتبة الأولى للعنوان،فالحاضر يتطلب حقوقا وواجبات،ولكن الذات تحاول أن تبعدها وتتناساها فانشغلت ونسيت أنها تكبر . والأسلوب البنائي قائم على حنكة التناول وعلى خبرة الصياغة اللغوية،وعلى اتخاذ المفارقات الضدية مثارا للدهشة بين الطفولة اللاهية والطفلة التي باغتتها مسؤوليات الأمومة،وكذلك المقابلة بين عرائس القش والذهول المفاجئ،جراء تبعات عوامل الزمن، ومن الجلي التضاد بين الماضي البهي البريء وبين الذهول المباغت من الأمومة المبكرة وشجونها ومكابداتها في ظرفية الآن والحاضر،وإن كانت بلغت سنّ النضج بما يعقبه من مسؤوليات ورعاية لأفراد أسرتها الصغيرة . (إلى الطفلة العالقة بين عرائس القش وحرائق الياسمين،الطفلة التي باغتتها الأمومة،فانشغلت بها،ونسيت أن تكبر) . أوكما تقول شقراء المدخلي في نص بعنوان « كأسٌ ثامنة» : (ماضٍ تصرّم،كيف يغدو حاضرا،من دون وعدٍ والأماني فيلقُ / مازلتُ،للتَّحنان أمنحُ قلبي،وأقول: قافلة الغياب ستمرقُ / يا كلَّ،مَنْ أهوى،الحنينُ مكيدةٌ،وأنا بأطياف الحنين أصدِّق) .

ابتداء لا شك أنَّ صاحبة النص أنثى،وهي أنثى شاعرة، أي إنها تشعر بمدى أعظم مما يشعرُ به غيرها من الأناث الأخريات،والذات النصية هنا أنثى يملؤها التوجس وتفكيرها مترع بالقلق ويتقاسمها الحزن . والنصوص هنا تستجيب لتلك الذات الأنثوية المتوترة التي تفتش عن دعوات أناتها في أعماقها الداخلية، وهي تبحث في حضورها الوجودي الخارجي وتفحص وعيها الإنساني في بواطنها،وهي تستقصي معاني حياتها الخاصة والعامة،وتقيس بين مآلاتها وتقارنها،وتتفحص مسيرتها وسط بيئتها الاجتماعية،ولكنها أثناء كل ذلك قد ترتطم بواقع لاذع،وقد تشتبك مع عالم مغاير،وربما تكون هذه العوالم متشددة ومنغلقة وغير متسامحة،وهي عوالم موجعة ويغلب عليها الحذر وفيها

الكثير من المهيمنات،وتحكمها غلبة السيطرة الذكورية،وفي هذه البيئات يسودها كثير من المعوقات التي تبتغي السيطرة وتتحاشى غالبا النبوغ الفردي من الأنثى المبدعة وخاصة إذا كانت الأنثى مفارقة في طرحها للمجتمع ولو كانت تلك الطروحات على الصراط الواضح الذي لا خلل فيه .(هل سيبتكرُ الغواة هناك بعدا آخر للحبِّ ؟،هل للكائن العبثيّ في هذا السديمِ ،الحقُّ في تقبيل أنثاهُ الوحيدةِ ،هل تجرّمه القبيلة،وإن تمادى في التغزّل باسمها؟) . هذا الاصطدام بين الفردي المبدع والجمعي المحافظ له إيجابياته على الذات المبدعة من حيث تشديد التمسُّك بالرأي المبادر المستقل الذي مرَّ بمصافي التبعية الجمعية وانفرد بإبداعه ونبله وبجودة إنتاجاته،وانخرط بثبات في سلك دروب جديدة وجديرة بلفت أنظارنا إلى صنف خاص من التجديد، وتشرع الذات المبدعة في إبهارنا في طرق تجويدها للتراكيب اللغوية المستحدثة وهي تعالجها في الميدان اللغوي،فتكون اللغة ساحة فسيحة تملؤها هذه الذات المبدعة بفنونها الجميلة،وتكون اللغة مضمارا رحبا للذات المبدعة تفرِّغ فيه طاقاتها المختزنة،وتكون اللغة مثل الأسفنجة التي تمتصُّ جهودها الخلاقة وتستوعبها ؛ولذلك نرى النصوص متخمة بلغتها البديعة الراقية وبأسلوبها الأنيق بعدما تسللت المجازات المبتكرة والاستعارات الاستثنائية والصياغات المحكمة التى بدورها عززت ورود الأنماط اللغوية المعاصرة في المجموعة،وكل ذلك أوصل إلى تلبية حاجات الذات الأنثوية الشاعرة وإلى بلوغ رغائبها في الحرية الإبداعية وإلى الاسترسال في ممارسة هواياتها النصية باحترافية ماتعة،ولنا أن نستشعر نشوء تشكيلات لسانية ناجزة تأخذ نصيبها من الإدهاش،ولم تتيسّر لحظات الدهشة من فراغ فكري ولا من خواء احترافي في الصنعة اللغوية،وإنما حيازة كل ذلك ناتجٌ عن وعي لغوي متجذر وقائم على التخصص،وقبل ذلك على موهبة فطرية احترافية،وهذا الاحتراف التركيبي للنص يتطلب معجما لسانيا خاصا،ويستدعي خزينا لغويا استثنائيا يلبي متطلبات التشكيل النصي المرغوب فيه فنيا حتى تتحقق المتعة الفنية في المجموعة،وهذا التوظيف يدعو إلى إعجابنا بإنجازات الديوان في الوصول إلى حساسية لغوية متفردة .(في أضلعي،الطفل الذي أنجبتُهُ،ودسستُ فيهِ تجبّري وإبائي / ومعي،يماماتي التي أطلقتُها،لتذيع للدنيا لحونَ غنائي / لم أنكسرْ .رغم الرياح لم يزلْ،صوتي يقاوم سطوةَ الأصداء / ما زلتُ،أبتكرُ الأمومةَ كلما،عطش الرضيعُ وجفَّ نبعُ الماءِ) . لا شك أنَّ العلاقة بين الزمن والأنثى سباقية غير متوائمة،فالأنثى تودُّ أن تنجز أحلامها وطموحاتها في حياتها بصورة أسرع وبطريقة أذكى؛لأنها تعلم أنَّ زمن الحياة قصير،والإنسان محدود في زمانه وفي مكانه،ولذلك كانت للمرأة نظرتها الخاصة للزمن ولها ارتباطها الخاص بالوقت،واحترامها للزمنية يجعلها دائمة التوجس وعميقة التفكير لاغتنام الفرص المتاحة،ولكن دوما ما يفاجئنا الزمن بأحداث غير متوقعة فنظل عالقين في زمنية محددة نودُّ ألا نغادرها ونشتهي استرجاعها لو انصرفت،والذات النصية هنا تراعي بحذر زمنها النفسي وخاصة في النصوص (ظمأ،حمى الأسئلة،اغتراب،عند مفترق الظلال،على هامش العمر ،عزلة) والنصوص بعامة اشتغلت على مرتكز أساس وهو البوح الذاتي لأنثى النص،والنصوص أقامت جدلية حوارية بين الأنا الماضية بما تحمله من براءة وعفوية والأنا الحاضرة الآن المثقلة بوعيها الآني الذي كبر وتوسع مع تقدمها في العمر، وأصبحت الأنا النصية تعايش مسؤولياتها الجديدة والمستمرة وهذه «سنة الحياة» فالإنسان يتوهم أنّه إذا كبر وتجاوز به الزمن فسيكون أكثر اطمئنانا وأرحب حياة وأقل مسؤوليات،بينما الواقع يناقض ذلك،بل مع تقدم العمر تزداد جرعات الكدح والمكابدات، فعندما كنا صغارا كان التفكير منصرفا إلى الحاجات الفردية ولكن مع المضي الزمني تتوسع دائرة المسؤوليات لتشمل الذات والأسرة والأهل والوطن؛ولذلك نلمس القلق المقيم في بعض النصوص،ونشاهد المحاولات المستميتة للإمساك بعجلات الزمن الراهن وكبحها والاستدارة للوراء لمسك ملامح طفولة غائبة خلف تخوم الأيام،ومازال البحث دؤوبا عن تلك الفتاة الصبية التي داهمتها مشاغل الحياة الأمومية المبكرة،ومن جهة أخرى تحاول المجموعة استدراج زمن ماضٍ لمقاومة واقع لا يخلو من تحولات العمر ومن خشونة واقع معيش،ونقرأ في المجموعة رثاء للماضي الذي أُختلس منا جميعا ومن الذات النصية الشاعرة مخلِّفا صوتا ذاهلا وتاركا حزنا غائرا . (يعتادني، شوقي،القديمُ،إلى زجاج العمر،أركض في أزقتهِ البعيدةِ، أسألُ الحارات عن بنتٍ تبادلُ سُكّرَ الأيامِ، بالضوء المعلّق في فوانيس الهجاءِ) .

حديث الكتب

حمد الرشيدي

«صراطي» للدكتور سالم البلوي ..

«مجموعة انسان» في رجل.

هذا الكتاب الموجود بين أيدينا الآن هو طبع خاص, صدر بطبعته الأولى سنة 2022م وهو عبارة عن (سيرة ذاتية) لمؤلفه, الدكتور/ سالم بن عبد الرحمن البلوي, تطرق خلاله لأبرز محطات حياته الاجتماعية والعملية والثقافية على مدى بضعة عقود من الزمن , ألقى فيها الضوء على جوانب متنوعة من سيرته الشخصية في مجالات عدة, شملت نشأته الأولى منذ تلقيه التعليم في سن مبكرة بإحدى القرى التابعة لمحافظة العلا, ومرورا بالمراحل التالية من استكماله لتعليمه في مناطق أخرى من المملكة , حتى آخر ما حققه من انجازات علمية على مستوى أكاديمي عال, تمثلت بحصوله على درجتي (الماجستير) و(الدكتوراه) من جامعة (غرب فرجينيا) بأمريكا, وذلك خلال الفترة الواقعة فيما بين عامي 1420هـ و1430هـ, ثم اشرافه – بعد حصوله على هذه الدرجة - على فرع جامعة (طيبة) بمحافظة العلا , وتوليه لعمادة (كلية العلوم والآداب) فيها خلال الفترة المحصورة فيما بين عامي 1430 هـ و1436هـ ,ثم تعيينه لاحقا كأستاذ زائر بجامعة (السوربون) بباريس , لمدة عام واحد (1436هـ 1437-هـ) ومن ثم عودته مجددا للعلا مستأنفا مسيرته التعليمية والأكاديمية سنة 1438هـ حتى تاريخه , ليعمل كأستاذ مشارك – تخصص: حاسب آلي , بكلية التربية –جامعة طيبة, مع العلم أنه قد تم تعيينه- أساسا وقبل هذا كله - في سلك التعليم ,كمعلم (دبلوم رياضيات) بمدارس تعليم جدة والعلا , وذلك خلال تلك الفترة المحصورة فيما بين عامي 1410 هـ و1420هـ, حيث حصل بعدها على شهادة البكالوريوس في الحاسب الآلي من كلية المعلمين بـ (جدة).

ليس هـذا فحسب , بل ان سيرة د. سالم البلوي- سواء بالنسبة لمن يعرفه معرفة شخصية أو بالنسبة لمن يقرأون ما جاء في هذا الكتاب حول سيرته- لم تتوقف عند الجوانب التعليمية والوظيفية, وتلك المناصب الهامة أوتلك الأماكن الرسمية التي عمل فيها في القطاع الحكومي العام, بل تعدته الى ما هو أبعد من ذلك ليكون عضوا فاعلا ذا شخصية مؤثرة في محيطه وبيئته التي وجد فيها , كوجه من وجوه الثقافة بالمنطقة

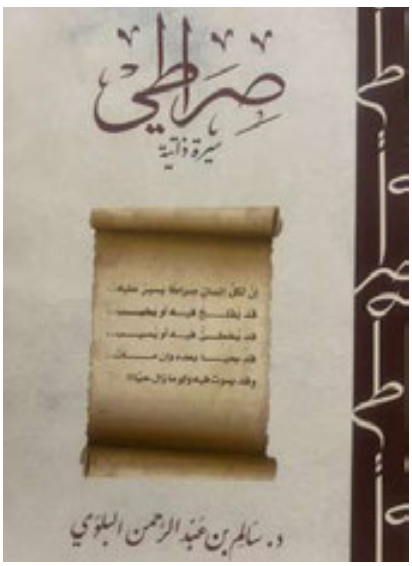

التي كان وما يزال يعيش فيها , وكأحد أبرز وجهاء وأعيان منطقة العلا, وذلك لما قدمه من جهود شخصية وفردية تستحق الاشادة واحترام الجميع, فهو أيضا مثقف وأديب , أسس (مجلس وادي القرى الثقافي) وهو منتدى خصص له مقرا في منزله الخاص بوادي القرى نفسه, وكان ولا يزال مشرفا على هذا المنتدى الثقافي الذي استضاف فيه خلال الفترة السابقة ومنذ تأسيسه مجموعة من المثقفين والأدباء , وكان منبرا نيرا من منابر العلم والمعرفة لكل من شارك فيه أو حضر فعالياته, هذا فضلا عن امتداد نشاط د. سالم ليشمل نواحي اجتماعية وانسانية كثيرة , كمشاركته في بعض الأعمال الاجتماعية والخيرية في المنطقة وتشجيعه لها وغيرها من الأعمال الأخرى.

كل هذا جعلني في نهاية المطاف ,أحيل نظر القارئ مجددا للعنوان الفرعي -أعلاه- لهذه القراءة المختصرة لسيرة ذاتية عطرة , تمثلت لنا في شخصية د.سالم البلوي, ألا وهو (مجموعة انسان) في رجل, فهو مثال حي ونموذج رائع لمواطن سعودي وفي , قدم كل ما بوسعه أن يقدمه لخدمة دينه ومليكه ووطنه. ولعلي – في ختام هذه القراءة المقتضبة- قد تمكنت ولو بقدر يسير من استعراض محتوى هذا الكتاب للقارئ بالشكل المرضي عنه , على الرغم من غزارة مادته الموغلة في تفاصيلها , راجيا ألا يخل هذا الاختصار بمحتواه وما يتحدث عنه.

حديث الكتب

قراءة في ديوان «ماء السراب» لفوزيّة أبو خالد ..

جدليَة الماء والجفاف .

محسن علي*

تشكّل العلاقة بين الماء والهويّة الصحراويّة محورًا مركزيًا في تجربة الشاعرة السعوديّة فوزيّة أبو خالد، وهو ما تؤكّده الشاعرة بإعلانها أنّ الماء «مكوّن عضويّ ومركزيّ وأساسيّ من مكوّنات مشروعي الشعريّ». ويأتي ديوان «ماء السراب» (1995) ليجسّد هذه العلاقة، حيث يُقدّم الماء بوصفه هويّة وجوديّة تعيد تعريف الذات الصحراويّة وعلاقتها بالعالم. والمتأمّل في فضاءات الديوان يدرك أنّ الماء يحضر في تشكيلات متعدّدة: سرابًا، ومطرًا، وندىً، وبحرًا، وماء رحم، وحبرًا، وكلّ تشكيل يحمل دلالة وجوديّة مختلفة.

وتطرح هذه الدراسة سؤالاً مركزيًا: كيف يُعيد ديوان «ماء السراب» تشكيل الذات الصحراويّة عبر استدعاء الماء بوصفه هويّة وجوديّة؟ وما الآليّات اللغويّة والصوريّة التي يحوّل بها النصّ الماء من دلالة ماديّة إلى دلالة هويّاتيّة؟ وتنطلق الدراسة من فرضيّة مؤدّاها أنّ الماء في هذا الديوان لا يقتصر على كونه رمزًا للخصب والحياة، إنّما يتحوّل إلى عنصر وجودي يُشكّل الهويّة ويُحدّد علاقتها بالصحراء والجفاف والذاكرة.

غلاف الديوان

يتأسّس الفضاء الشعري على جدل مركزي بين الماء والجفاف. ففي قصيدة «مخالعة» تقول الشاعرة: «خَلعَت أسنان اللبن وتمضمضت بالحب . «يتحوّل الحبر من مادّة للكتابة إلى ماء يُطهّر ويعيد تشكيل الهويّة، فالتمضمض بالحبر طقس تطهيري يُمحى به اللبن -رمز الطفولة والبدايات- لتُكتب مكانه هويّة جديدة. هذا الفعل يحمل دلالة التخلّي عن هويّة الطفولة والانتقال إلى هويّة الكتابة والإبداع، حيث يصير الحبر ماءً يغسل آثار الماضي ويؤسّس لحاضر مغاير. واللبن هنا رمز للرعاية الأولى والانتماء الأوّل، فخلع أسنان اللبن يعني تجاوز مرحلة الطفولة، والتمضمض بالحبر يعني تطهير الفم من أثر اللبن واستبداله بماء الكتابة، وكأنّ الشاعرة تعيد تكوين ذاتها من خلال اللغة. وتؤكّد في قصيدة «الماء»: «غمسَت أصابعها في الصحراء وكَتَبت بماء السراب قصيدة» . تجمع الشاعرة بين الصحراء (فضاء الجفاف) والماء السرابي (فضاء الوهم) في فعل كتابة واحد، فالكتابة هنا تولد من تزاوج الضدّين: الجفاف والرطوبة، الواقع والسراب. والأصابع التي تغمس في الصحراء توحي بلمس التراب والرمل، أي الاشتغال بالمادّة الصحراويّة القاحلة، ثمّ تحويل هذه المادّة إلى كتابة بماء السراب، وكأنّ الكتابة تحوّل الجماد إلى حياة، والوهم إلى حقيقة. والماء السرابي مداد الكتابة الذي يمحو أكثر ممّا يثبت، ما يشير إلى أنّ الهويّة التي تُكتب بهذا الماء هويّة قابلة للتحوّل والتشكّل الدائم، لا تستقرّ على حال، تعيد تشكيل نفسها في كلّ مرّة. وتضيف: «وكتبت بماء السراب قصيدة» ، فتكرار الفعل يؤكّد أنّ الكتابة بالماء السرابي هو منهج وجودي يقوم على إعادة تشكيل الذات عبر استدعاء الماء في غيابه، فالسراب لا وجود له

لكنّ الكتابة به تمنحه وجودًا.

وتتجلّى استراتيجيّة التهريب الدلاليّ في قصيدة «نافورة» حيث تقول: «غافلتني كملكة لا تريد أن ترى الرعية نزواتها، قطفت نجوم المساء وملأت القصيدة زبيبا وتينا وماء زمزم»، تتحوّل النافورة من مصدر ماء إلى كائن ملكي يختفي ويفاجئ، ما يُخرج الماء من حيّز الفيزياء إلى حيّز الوجود والأسطورة، فالنافورة ملكة لها إرادتها وحضورها وغيابها. والماء هنا يتّصل بالتراثي (زمـزم) والطبيعيّ (الزبيب والتين) معًا، ليُنتج هويّة صحراويّة تعيش في حالة ترقّب واحتمال دائمين بين الجفاف والخصب. فماء زمزم يمنح القصيدة بُعدًا تراثيًا، والزبيب والتين يمنحانها بُعدًا طبيعيًا أرضيًا، والجمع بينهما يُنتج فضاءً شعريًا تتلاقى فيه الأرض والسماء. وتقول في قصيدة «سؤال»: «سكَبَت السراب على الرمل وشكّلت عرائس مطر وأشرعة تبحر». السراب يُسكب كسائل حقيقي، والرمل يصير مادّة لتشكيل عرائس المطر، والأشرعة التي تبحر توحي بتحوّل الصحراء إلى بحر. هذه العمليّة الدلاليّة تعيد توزيع خصائص العناصر: السراب يصير حقيقة وجوديّة، والرمل يصير ماءً، والصحراء تصير فضاءً للاحتمال لا لليأس. وسكب السراب فعل اختياري، أي أنّ الذات هي التي تقرّر تحويل الوهم إلى حقيقة، والجفاف إلى خصب، وهذا يكشف عن إرادة وجوديّة تتجاوز الواقع المادي.

وتقول في قصيدة «طفلتان»: «نتراشق بماء السراب» ، إذ يصير الماء السرابي لعبةً بين الذوات، فيحوّله من عنصر نادر مطلوب إلى فضاء للتواصل والتراشق الشعري، والتراشق يوحي بالتفاعل والتبادل، وليس بالصراع، ما يجعل الماء فضاءً للعلاقة لا للحاجة. فالماء السرابي

فوزيّة أبو خالد

ليس ماءً يُشرب، لكن ماء يتقاذفه الأطفال في لعبهم، أي أنّـه يصير أداة للفرح والمشاركة، وليس للبقاء والاستمرار. ويتّصل هذا الفضاء بفضاء الزمن الدائري، حيث لا يتقدّم الزمن خطيًا بل يعود على نفسه. تقول الشاعرة في قصيدة «ما بعد الوقت»: «أصف قوارير الوقت / ساعة.. يوماً.. هلالاً.. وأبداً.. / أعبئ سنوات العمر بهذا الفراغ المريع / شيئاً من الشعر / قليلاً من العشق / كثيراً.. كثير من الحزن وتباريح الحنين». يتحوّل الماء -المقترن بالزمن في صورة الساعة والهلال- إلى وعاءٍ يُعبّئ العمر، فيجعل الماء شرطًا للوجود الزمني ذاته، فالوقت يصير ماءً يُعبّأ، والعمر يصير وعاءً يمتلئ بهذا الماء، والشعر والعشق والحزن كلّها عناصر تملأ هذا الوعاء.

وتُؤكّد الشاعرة علاقة الماء بالهويّة في قصيدة «مجاسدة» حيث تقول: «من شرفة شقتهم الضيقة كنعش تدلي جسدها الفاره كعرش وتغسل شعرها في النهر البعيد». يتحوّل النهر البعيد إلى فضاء للخلاص، حيث تغسل الذات الصحراويّة أغلالها بماء لا يحضره الجسد إلّا عبر الخيال الشعري، والنهر البعيد يوحي بأنّ الخلاص لا يتحقّق في الواقع المباشر، بل في فضاء القصيدة والذاكرة. فغسل الشعر في النهر طقس تطهيري وجمالي، لكنّ النهر بعيد، أي أنّ التطهير والجمال لا يتحقّقان في الحاضر المباشر، بل في الأفق الشعري والبعيد. وتقول في قصيدة «مخالعة» من خلال فعل «التمضمض بالحبر»: يتحوّل الحبر إلى طقس تطهيري يُعيد تشكيل الذات، فالحبر، عندها، فضاء وجودي يُمحى به اللبن ليكتب مكانه هويّة جديدة، وهذه العمليّة التطهيريّة تعيد تعريف الهويّة عبر محو الماضي وإعادة كتابته بماء الحبر. وتقول: «نشرت مهجتها القرمزية في وهج الشمس وانتظرت في ظلها حتى تجف كثوب لا تملك سواه» ، فالجسد ينتظر أن يجفّ كالثوب، إذ يُوحي بأنّ الماء هو ما يمنح الجسد هويّته، وأنّ الجفاف هو فقدان الهويّة نفسها، فالجسد المبلّل هو جسد حيّ يحمل هويّته، والجسد الجافّ هو جسد ينتظر أن يُمحى أو يُعاد تشكيله.

تُؤكّد هذه الدراسة أنّ ديـوان «ماء السراب» يُشكّل نقلة نوعيّة في العلاقة بين الذات الصحراويّة وعنصر الماء، حيث لا يقتصر الماء على كونه رمزًا طبيعيًا، بل يتحوّل إلى هويّة وجوديّة تعيد تعريف الذات وعلاقتها بالعالم. والصحراء والماء والجفاف والخصب، بقيت كما هي في مادّيّتها، لكنّها تحوّلت في دلالتها وعلاقتها بالذوات، وهذا تحوّل لا يُغيّر الأشياء إنّما يُغيّر نظر الذات إليها. وتُسهم هذه الدراسة في كشف زاوية بحثيّة جديدة حول تجربة الشاعرة، وتفتح آفاقًا لتأويلات متجدّدة لديوان يُعدّ علامة فارقة في مسار قصيدة النثر في الخليج والوطن العربي.

* ناقد وباحث سوريي

حديث الكتب

د. محمود كحيلة

طه حسين في أيامه..

أول من كتب رواية سيرة ذاتية عربية.

إضطر "طه حسين 1889 - 1973م" إلي كتابة أول رواية سيرة ذاتية عربية عام 1926م، بدافع من الضغوط الشديدة التي جاءت نتيجة التشكيك بعقيدته واتهامه بالإلحاد عند نشر كتابه "في الشعر الجاهلي" الذي تحفظ فيه على نسبة تلك الأشعار إلى أصحابها بالإضافة إلي التشكيك في بعض الموروثات ذات الأهمية الدينية لأنه اعتمد فى هذه الدراسة علي منهج الشك عند الفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت" والذي كان يتضمن التحرر من المسلمات عند النقد لأجل الوصول إلي الحقائق المجردة وقد اصطدم في تطبيقه بنصوص دينية مقدسة إسلامية وغير إسلامية مما أدي إلي اتهامه بالزندقة والارتداد ووصل الأمر إلي تحليل دمه مما أضطره أن يجلس فيتأمل قصة حياته كي يراجع متي وكيف تحول من حافظ لكتاب الله رفعه نور الإيمان إلي أعلي الدرجات، ودون "طه حسين" مسيرة حياته ببساطة وذكاء وتهكم وسخرية إذ كان قد ابتعد مسافة زمنية كافية عن تلك الأيام فرأها مكتملة واضحة ولم يكن ليتقنها من دون أن يكتشف موهبته بالكتابة فيما قبل عندما منع مع رهط من زملاءه من حضور مجالس بالأزهر لأنهم جادلوا الشيخ وتعلم "طه حسين" من هذه السابقة أن الكتابة قد تكون طوق نجاة وعلاجا فاعلا للاضطرابات والأوجاع النفسية التي كان يتغلب عليها في طفولته بالقصص والحكايات التي كان يعشقها وكانت هي الحلوي التي يسعد بها غيره من الناس.

كتب "طه حسين" قصته مع العلوم الدينية وحفظ كتاب الله والتحاقه بالأزهر ثم دراسة الأدب والبلاغة والسفر إلى فرنسا والنظريات الفلسفية الأدبية التي فهمها بكل تفاصيلها كما كتب عن رفضه المعلن للتصوف وجداله مع والده وغيره من الناس وكيف أفسح له أبوه المجال كي يجادل ويناقش ويحاور آملا أن يزداد نجله فهما لأمور الدين، وكان أبوه محب للعلم والعلماء، ولذلك رغب الفتي في الالتحاق بالأزهر مع أخيه الأكبر الذي لم يكن طالباً عادياً وإنما كان شيخا مجداً وخطيبا مفوها يخطب الجمعة يؤم المصلين كلما عاد من القاهرة.

حفظ "طه حسين" القرآن ولم يكن قد أتم التاسعة من عمره وقد أسعد ذلك أباه وأقلقه لأنه لم يكن قد دبر بعد هدية شيخ الكتاب علي هذا الإنجاز ورغم ذلك رحب والده بالأمر، وهنا يبرز الجانب المثيرمن مسيرة طه حسين والذي أعطاها قيمتها السردية والإبداعية وجعلها موضع اهتمام صناع الدراما وهي تلك المواقف المعقدة حيث لا تمضي الأمور فيها دائما بتلك السلاسة التي نتوقعها ونتمناها وإنما كانت تتحطم في أحداث حياته أفق التوقعات فبينما يرتب الأب أموره على أنه سوف يتباهى أمام الناس بأن ابنه الكفيف النحيف الضعيف قد أصبح قوياً بحمل كتاب الله نسي الفتى ما حفظ وكأنه لم يقرأ آيات الكتاب الكريم لأول مرة في حياته ويغضب الأب من ذلك

ويراجع الشيخ الذي يقسم له أن الفتى أتم القرآن ويا له من موقف ألم بالفتي أن ينسى ما حفظ من كتاب الله لكنه طه حسين صاحب الشخصية الدرامية غير التقليدية التي لا يجب أن تجري أمور حياته مستقيمة وطبيعية لأنه لا يجب أبداً أن يكون كما يكون الناس ولا يعقل أن تمضي حياته كما تمضي حياة الناس ويقرر الشيخ أن يعيد الكرة ويبدأ من البداية ويحاول أن ينقش في رأسه القرآن نقشاً كي لا ينساه ولا يمضِي بضعة أشهر حتى يختم طه حسين القرآن ويبلى بلاءاً حسناً يليق به، ويبرر شيخ الكتاب ذلك بأنه جاء نتيجه أن الأب أراد في المرة السابقة أن يمنعه مكافأته ولذلك منحه الأب هذه المرة عباءة فخمة كان يحب أن يتباهى بها أمام الناس لكن لا شيء عنده أهم من أن يكون (طه) عالماً من علماء الأزهر وشيخاً من شيوخه، وقد أصبح من اليوم

وبعد ختم القرآن "الشيخ طه" وعليه فقد طلب الأب من شيخ الكتاب أن يحافظ على تلك الأمانة التى يحملها الأبن فجعله يتردد على الكتاب يومياً لكي يراجع ما حفظ لأن حياة العلم مراجعته وعليه أن يحتفظ بما حفظ من كتاب الله لكي يحصل على إجازة الأزهر ويلحق بأخية بالقاهرة التي لم تأتيه عاجلة وإنما أتته آجلة إذ كان ينبغي عليه أن يقضي مزيداً من الوقت قبل أن يجد نفسه ملتحقا بدروس الأزهر، ولم يتوقف الفتى عند ذلك لأنه وجد بحسه السردي العميق أن ذلك لا يخدم القضية ولا يقدم أو يؤخر في تلك السردية التي ينسجها نسجاً ويحاول أن يُعبر فيها بقدر ما أمكنه التعبير عن مجريات الحياة من وجهة نظر شخص كفيف يرى ما يرى بأذنيه ويخشي ما لا يخشاه الناس من أي صوت لا يعرف بدايته ولا منتهاه، ويصف لنا الفتى ساعات من الخوف التي كان يقضيها في ظلمات الليل وحيدا مع أصوات لا يفهمها بالقرية عندما كانت تنام عائلته ويجافيه النوم وبالقاهرة عند غياب أخاه وهي أصوات لقوارض وحشرات، يحكي عن خوفه منها وكيف كانت تحول بينه وبين النوم وكان ينتظر عودة أخاه بالقاهرة كي تضاء الحجرة فيحد الضوء من حركات تلك الحشرات ويخبرنا طه هنا أن النور وإن لم يكن مرئياً للمكفوفين فإنه يؤنس وحدتهم وغياب النور يجعل منها أشباح خيالية مخيفة، وهكذا في أيامه عبر طه حسين عن الأوجاع النفسية للمكفوفين، ولا شك أن البيئة المحيطة بطه حسين كان لها دور كبير فى أن يكون وهو الكفيف النحيف عميداً لكلية الآداب بالجامعة المصرية لأنها هيئت له ظروف التفوق والنجاح الذي أغشي عيون أعداؤه فلم تأخذهم به شفقة لأن كف بصره لم يمنعه الرؤية.

كانت أيام "طه حسين" حبلي بمواقف تعرض لها نتيجة شجاعته في الجدال والرد على شيوخ الأزهر وعلمائه والذي كانت نتيجته تعرضه للمعايرة واللوم والإهانة ولذلك كان استدعاء سيرة هذه الأزمات هي الترياق والعلاج لما شعر به من ألم نتيجة اتهامه بالكفر والزندقة وهو أبعد الناس عن ذلك فهو إنسان متدين بالفطرة لأنه نشأ ببيت مسلم وقد أتم حفظ القرآن بالتاسعة من العمر وما كان الله ليحفظ كتابه بقلب الفتى لو لم يسيطر الإيمان علي قلبه الذي عاش عامرا بحب الله يمضي في نور الله الذي أنار بصيرته بالإيمان ووفقه للوصول إلي هذه المرتبة الرفيعة بالمجتمع الذي سبب له الإحراج والإهانة أمام ابنته وولده ولذلك وجه لهما روايته في الأيام كأنه يقول لهما هذا والدكم الذي يكفرونه اليوم وهو ليس بكافر وبالطبع سرعان ما تدخلت الجامعة وأثبت التحقيق الرسمي أن ما كتبه كان لأسباب علمية وثقافية ثبت بالمستندات الرسمية أنها تعكس تطبيقات عملية لنظرية أدبية أجنبية تمضي في سياق علمي لا يقصد أي إساءة إلي مقدسات الأديان وتأكيدا لصفاء النية عمد طه حسين إلي حذف كل ما تسبب بسوء الفهم ونشر كتابه مجددا خاليا من أي لغط أو إساءة وعاد صاحبنا من أزمته ومعه أول رواية سيرة ذاتية في الأدب العربي.

كلمة

محمد صالح الهلال

الاستشهادات التي أجابت عن الأسئلة

من يتأمل مقال العودة للأستاذ محمد العلي «الصدأ»، يكتشف أن ما أصاب الأستاذ هو حالة إحباط وليس يأساً؛ فالإحباط يحتاج إلى توقف ومراجعة وتأمل وصمتٍ، أما اليأس فهو فقدان الأمل والضياع وعدم العودة.

لقد توقف فعليّاً عن الكتابة قرابة العام، لكنه لم يتوقف عن لقاء الأصدقاء والأحبة في بيته؛ فهم يطرحون عليه الأسئلة بكل حريّةٍ، وهو يجيب بعقلٍ واعٍ ومنفتحٍ على عالمه ومجتمعه، ومتابعٌ لما يدور في الساحة المحلية والعربية ثقافيّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً.

وهذه شواهد كافيةٌ لإثبات أن اليأس لم يسكن قلب الأستاذ أو يستولِ عليه يوماً من الأيام، لكن الصمت والتأمل حكمةٌ يمارسها ليهرب — ربما — من اليأس الذي ما انفك يطارده مثل ظله.

وما الحوارية التي كتب بها المقال إلا تجسيدٌ لهذا الصراع الذي يسكن الإنسان منذ أن يعي إلى أن يفقد الوعي؛ فالحوار والأسئلة والصمت والتأمل هي أدوات الأستاذ للتنوير.

تأمل مقال العودة جيّداً والأسماء التي حضرت في داخله: «نيكوس كازانتزاكيس»، و«جيفارا»، و«محمود درويش»، و«محمد مهدي الجواهري»، وقول جيفارا: «ليس عاراً أن يدخل العدو بيتك، العار أن يخرج منه حيّاً». لقد كان التوقف بطولةً، ولو استمر العلي يكتب لفقدناه وفقد نفسه، لكنه عاد بعد أن ملأ رئتيه أملاً ليقول ما قاله الراحل محمود درويش: «على هذه الأرض ما يستحق الحياة».

اقرأ

حينما يكون الروائي باحثاً.

يوسف أحمد الحسن
@yousefalhasan

سطور تاريخية معدودة قرأها روائي سعودي كانت كافية لكي تقدح في ذهنه فكرة رواية تاريخية كاملة عن علاقة تاجر من وسط الجزيرة العربية بأحداث وقعت في أقصى العالم ومشاركته في حرب أهلية لا علاقة لها بمجتمعه المحلي ولا العربي أو الإسلامي، داخلًا بذلك في مناطق مهملة وصعبة من التاريخ. وقد كان ذلك التاجر يمثل واحدًا ممن يسمون تجار العقيلات، وهم التجار النجديون قبل اكتشاف النفط في المملكة، وذلك في القرون الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذين كانوا يتنقلون بين بلدان عدة منها العراق والشام ومصر والهند وأفريقيا.

فقد قرأ الروائي السعودي أحمد السماري قصة موجزة في صحيفة عكاظ تحت عنوان (قصة 18 سعوديًا ساهموا في حرب الوحدة الأمريكية)، بتاريخ 13/6/2022م، فلم يزل يبحث حتى وصل إلى مصدرها، وهو كتاب (العرب في أمريكا) للكاتب د. جمال زكريا قاسم، الذي تحدث عن تصدير سلالات جيدة من الجمال من الجزيرة العربية إلى الولايات المتحدة (بعقود خاصة أبرمتها)، وكان شخص اسمه الحاج علي (كبير الجمّالة) هو الذي أخذ تلك السلالات من الجِمال إلى هناك.

لفتت القصة نظر السماري، فقرر أن يكتب رواية عنه، أسماها فيلق الإبل، بعدما تأكد من هوية الحاج علي من مؤرخ العقيلات عبد اللطيف الوهيبي، وهو أيضًا صاحب متحف العقيلات في مدينة بريدة، وحصل على "صورة مكبرة في المتحف للقبر المذكور في أريزونا، وعليه شاهد يعلوه مجسم جمل، مكتوب عليه: الصادرات السعودية من الإبل إلى أمريكا – 1856. العقيلي علي السالم توفي بمدينة أريزونا بأمريكا في العام 1902" (ص 176 من الرواية).

وتدور أحداث الرواية، التي تقع في 177 صفحة من الحجم المتوسط، حول واقعة حصلت في القرن التاسع عشر حين قام تجار نجديون بنقل 800 من أفضل سلالات الإبل من نجد إلى العراق ثم إلى الإسكندرية فبرشلونة فنيويورك في الولايات المتحدة، وذلك بالاتفاق مع جنرال في الجيش الأمريكي؛ لمساعدة الحكومة الأمريكية في الحرب الأهلية التي كانت دائرة هناك. وقد كانت رغبتهم تلك مبنية على معرفتهم بقوة الإبل وقدرتها على نقل المؤن والذخائر في ساحة المعركة، وتحملها لتقلبات الطقس.

وكانت الشخصيات الرئيسة في الرواية كلًا من الحاج علي ومناور وسليمان التي كان لكل منها قصة شخصية خاصة. وتتناول الرواية كذلك موضوعات منها الهوية، والغربة، وتصادم العادات بين العرب والأمريكان، وتلاقي المصالح. وتعالج الرواية كيف أن البدوي يبقى حاملًا معه طباعه الأصيلة في النخوة ومساعدة المحتاج أينما ذهب وذلك حينما ساعد إحدى النساء الأمريكيات التي تعرضت مع قريباتها لهجوم بهدف الاغتصاب دون سابق معرفة بها ودون مصلحة له في ذلك.

ختامًا فإن هذه الرواية تؤكد إمكانية توظيف الوثائق التاريخية المهملة لخدمة العمل الروائي، دون حكم على الأحداث الواردة فيها أو تحويرها وتحريفها، بل يبقى ذاك العمل أمينًا على المسار العام للوثائق مع بعض الإضافات الضرورية التي تخدم النمط الروائي.

ديواننا

سعد عبد الله الغريبي

المضحّي

يا صديقي..!
أنتَ كاللاعبِ في نادٍ رياضيٍّ هُزمْ..!
كُلُّ أصحَابِكَ عادُوا..
قابَلوا جُمهورَهُمْ، دُونَ نَدَمْ..
بَرَّؤوا أنفَسَهُمْ..
بَرَّرُوا أخطاءَهَمْ..
أغرَقُوا أرضيةَ الملعبِ وبْلاً من تُهَمْ..!
وعزا بعضُهُم الإخفَاقَ للجمهورِ إذ لَمْ يلتَئِمْ..!
ومضى اكثرُهُمْ...
ينسِبُ الإخْفَاقَ - ظُلْمًا - للحَكَمْ..!
***

يا صديقي..!
أنتَ من حَمَّلَ، طَوْعَاً، نفسَهُ كُلَّ
الخَسَاراتِ...
فَصِرتَ المُتَّهَمْ..!!
فأضَافُوكَ إلى قائمةِ الأسبابِ..
لكِنْ... ما دَرَوا
أنَّهُمْ قد ضَاعَفُوا فيك الألَمْ..!!
يا صديقي..!
أنْهِ ما قدَّمْتَهُ من تضحياتٍ..!
لا تُحَمِّل نفسَك الازكى بأخطاءِ الأمم..
لا تكُنْ قُربانَ مَن لا يعرفُ الفَضْلَ،
ولا يرعى النِّعَمْ..!
* كوتشي – كيرلا 18/7/2026

المقال

المدارسُ الشعريَّة الحديثةُ في الأدبِ السُّعودي.

محمد الحميدي

يتفاوتُ الشعراء ويختلفون بحسبِ شاعريتهم وعطائهم في الساحةِ الأدبية، فأحدهم يشارك بخجل وعلى استحياء، بينما آخرُ يشارك بانتظام فتعرفُ موهبته وإبداعه وتتمُّ متابعته وتتبع أخباره، إذ كلما كثُرت مشاركاته وحضوره غدا أكثر تأثيراً وجماهيريَّة، وأصبح له مريدون ومحبونَ من الشعراء والنقاد، وقد تحصلُ حوله معارك انتصاراً لشعره وشاعريَّته، وأنه الأحق بالاستضافةِ والاستماع، وهذه عمليَّة طبيعية تؤسس لمرحلة لاحقة هي مرحلةُ الاتجاهات والمدارس.

تزدحمُ المملكة بعدد هائل من الشعراء المتفاوتينَ في مستوياتهم وأدائهم، وبالتالي حضورهم وتأثيرهم على الساحةِ الأدبية، وغالبيتهم لا يمتلك اتجاهاً شعريًا خاصًا أو ينتمي لمدرسة معينة يعمل على السيرِ فيها ورعايتها، كما هو الحالُ مع محمود درويش ونِزار قباني، وبدرجةٍ أقل إيليا أبو ماضي وبدوي الجبل، فهؤلاءِ يحضرون بشكل أو آخر ولهم مريدُون ومحبون، ويشبههم في المملكةِ من ناحية الحضورِ والتأثير والتأسيس ثلاثةُ شعراء، هم: محمَّد الثبيتي وجاسِم الصحيح ومحمَّد يعقوب.

كلُّ شاعر منهم يختلف عن الآخر، حيث له مزايا تقرِّبه أو تبعِّده عن البقية، ويظل الإجماع قائماً على شاعريَّتهم وانتمائهم إلى مدارس مستقلَّة استطاعوا تأسيسها والسيرَ فيها، وإن بدَت لدى الثبيتي والصحيح أوضح بسببِ العامل الزمني والأسبقيَّة في الظهورِ عن محمَّد يعقوب، الذي سيحتاجُ وقتاً كي تستوعبَ الساحة سيرته ومسيرته وأشعارِه وترى فيه مدرسة يمكن اتِّباعها.

يتميَّز محمد الثبيتي باللجوء إلى الرمزية والاتكاءِ على الغنائية وأخذِ أفكاره وبنائها من الموروثِ البدوي، حيث يعود بذاكرته إلى العادات والتقاليد والحياة العربيَّة في شقها الصحراوي، موظفاً ثراءها الكبير في تكوينِ صوره ثم إسقاطها على واقعه، ولا تكتملُ قصيدته إلا بإدخالِ ذاته لتغدو أحدَ عناصرها، بل ربما أبرز ما فيها حِينما يتم قراءتها بعمقٍ ودقة، وهو منحىً مختلف عن تكوين القصائد الحديثة في اتِّجاهها ناحية البيئة والطبيعةِ العاطفية الرومانسية، أو إلى البيئةِ الواقعية والطبيعية في ممارسة الحيَاة والوجود.

جاسم الصحيح اتَّجه منذ بداياته إلى أسطرة الكَائنات وتحويلها إلى رموز شعريَّة كما هي النخلةِ والغراب والبشت، حيث يتميز بقدرته الفائقة على تدوير الشخصيةِ وإلباسها مزايا يستحيل أن تمتلكها بهدفِ إيصالها لعتبةِ الأسطرة، مازجاً في الأثناء بينَ النقيضين الحب والحرب، اللذين يأتيانِ مقترنين في قصائده، فلا يذكرُ أحدهما إلا ويرافقه الثاني، لتنتهيَ بانتصار الحب، وأنه بوابة الخلاصِ من مآسي الوجود وآلامِ الحيَاة.

اتَّخذ محمد يعقوب من الحياة المعاصرة مسرحاً لقصائده، وكما هي الحياةُ قصيرة ومريرة كذلك القصيدةُ تحمل سمة القِصر والمرارة، ومن أجلِ علاج أوجاعها لا بدَّ من الاستعانة بالأصدقاء الذينَ يحضرون إما مباشرة أو موارِبة، وهو حضُور سيجعل قصيدته تتفاعلُ أكثر مع محيطِها الأدبي والثقافي، وسيسهم في بناءِ إسقاطاتها وصورها التي ستتميَّز بالعفوية والتلقائية، والأهمُّ أنها ستتجه بالتجربة ناحيةَ التخصصية، واقتصار الديوانِ الواحد على تجربة تحملُ دلالة واحدة لا أكثَر.

تمتاز كل تجربةٍ شعرية عن الأخرى، فالثبيتي بلجوئهِ إلى الرمزية والبدويَّة أعطى لأشعاره خصوصية دلاليَّة، فاختلفت تجربته عن تجربةِ الصحيح الذي عمل على الاستفادةِ من الرموز الحياتية المتعدِّدة والمتنوعة، مستعيناً بمزجها بالحبِّ والحرب والانفتاح على الدياناتِ والثقافات؛ ما أكسبَ أشعاره عمومية دلالية، وهو اتِّجاه ابتعد عنه يعقوب الذي أقامَ فاصلاً بين موضوعات الحيَاة رغم تشابهها وتلاقِيها، فمالَ إلى تخصيص تجربته بموضوع محدَّد وحينما ينتهي من استكماله ينتقلُ إلى آخر.

ثلاثُ مدارس شعرية في الأدب السُّعودي الحديث يمكن رؤيتها وتصنيفُها والبناء عليها في اكتشافِ التغيرات الأدبية والثقافية، وإذا تميَّزت إحداها بأنها الأكثرُ انتشاراً وحضوراً فذلك عائدٌ لعوامل مساعدة أبرزها الأقدميَّة التاريخية وازدياد المحبين والمريدين، الأمرُ الذي أتاح للمثقفين والأدباءِ والجماهير إدراكَ سماتها ومزاياها، وهو ما سيحصل مع المدارسِ الأخرى التي تحتاج وقتاً كي تستقرَّ ويكتمل ظهورها وتجليها وبالتالي تكتسب حضوراً وتأثيراً.

أحمد اللهيب*

الحديقة

الحديقة من زهوها تبتسم
تنام الحكايات في مهدها
ويعبر طيف يعانق أشجارها
يمر غزال ويضحك من حسنها
ويقتات شيئا ويمضي
ويترك أحلامه في الصباح.

البحيرة عطشى تموت وتحيا
حنين إلى الماء يمتدّ من جوفها للسحاب
تمد يدا للسماء وتبكي
وتبذل دمعا خفيّا لسكانها الراحلين
الممرات تزهو بأزهارها ثم تغفو على موكب
الحالمين
وتأسو الجراح.
البحيرة يغفو بأطرافها طائر البلشون
يداعب منقاره الأرض حينا
وحينا يردد أغنية الحزن: إني وحيد
وأين الحبيبة مني!
أنا مالكٌ.
وقد هان مني الجناح.

الحديقة تترك سنجابها
يبعثر أوراقها ثم يأتي يداعب أغصانها
تسلق أشجارها
وينحت في كل جذع له منزلا
يمازح أطفاله
له كل شيء بها مستباح.

الحديقة تقفز فيها الأرانب
وتعزف أنشودة للطفولة:
«أرنب نط
جاب لي خط».
الأرانب تسبق أنفاسها
وحينا تصارع أقرانها
ويعلو الصياح.

طيور الحديقة تزهو بألوانها
تلحن أنغامها
وتصمتُ ثانية كي تردد أشجانها
تمد بألحانها نغمة: يا حبيبي
وتسكت حين يجاوبها صوتها
والصدى
وتعزف لحنا شجيّا:
«يا حبيبا زرت يوما أيكه
طائر الشوق يغني ألمي».
العصافير تمزج بين الحنين وبيني
تلوح في لهفة:
وبعد السرى تحمدون الصباح.

* أسكتلندا _ منتجع السنونو

بين السطور

المقدّمة: بوابة الكتاب المواربة.

أحمد بن عبدالرحمن السبيهين

@aalsebaiheen

لطالما أثارت المُقدّمات في الكُتب الفُضول، سواءً التي يكتبها المؤلّفون أنفُسهم، أو النُقّاد والأُدباء الذي يستعين بهم المؤلّف لتقديم كتابه، تلك المُقدّمات التي نراها واقفةً على ضِفاف أغلب مُتون المؤلّفات الإبداعية؛ راسِمةً نفسها بأشكالٍ شتّى، كدعوةٍ للدُّخول إلى العوالم التي تليها، أو مفتاح تمهيدي للكتاب يجذب قارئه إلى بقيّة الأبواب والفصول، وتجعله يبحث عنه في مضانّ الصفحات القادمة، وكأن في المُقدّمة مفتاح سريّ أو سحريّ لما يبحث عنه!

وقد أخذ الاختلاف بين المؤلّفين حول التقديم أو عدمه مَناحٍ مُتعدّدة.

فلَم يُقدّم عميد الأدب العربي "طه حسين" مثلاً لمُذكّراته: "الأيام"، بل انطلق من سطره الأول فيها إلى مُعاناة سنواته الأربع الأولى في "الأزهر"، وأشجانه وأحزانه ووِحدته في غُرفته المُطفأة المصباح؛ باعتباره كفيف لا فرق عنده بين إضاءة غُرفته أو عتمتها، فما كان يؤنسه في تلك الليالي السوداء غير ضجيج سُكّان حيّ "الأزهر" وباعته، ولم يكُن ليُسعده فيها غير صوت المؤذّن وهو ينطلق من مِئذنة الجامع مع أوقات الصلوات الخمس..

ثم واصل العميد سرد مُذكّراته أو ذكرياته عن تلك الأيام.

أما الأستاذ "سمير عطا اللّه" فقد اختار أن يكتب لكتابه: "جنرالات الشرق" مُقدّمةً طويلة تبلغ 70 صفحة (!!) من كتابه المكوّن من 350 صفحة، عبارة عن بحثٍ شاملٍ لمفهوم "الشرق الأوسط" لدى قوى العالم، ووجد أن كُلّ فريقٍ يُسمّي المنطقة نسبةً إلى قُربه منها: الفرنسيون والبريطانيون يُسمّونها "الشرق الأدنى"، والروس والأمريكيون يُسمّونها "الشرق الأوسط"، والاكتشاف الأهمّ أن الاستراتيجيين الأمريكيين يضعون "باكستان"، على بُعدها، ضمن هذا المُسمّى الدائم الاضطراب، شرق الأزمات والحروب الأزلية.

بينما اكتفى الأديب الكولومبي "غابرييل غارسيا ماركيز" صاحب رواية "مائة يومٍ من العُزلة"؛ التي توّجتْ أعماله القصصية والروائية، ومنحته جائزة "نوبل" في الآداب لعام 1982، بسطرٍ واحدٍ هو "المُقدّمة" وهو الخُلاصة لحياته، عندما قال فيه: "ليست الحياة ما عاشهُ المرء، بل ما يتذكّره، وكيف يتذكّره ليرويه".. وقد كان عنوان مُذكّراته: "نعيشها لنرويها".

وكتب الأديب الأستاذ "عزيز ضياء" مُقدّمةً لمُذكّراته "حياتي مع الجوع والحُبّ والحرب" في شكل رسالةٍ إلى ابنه، ولخّص حياته في ذلك المثَل الفرنسي الأخّاذ، الذي تصدّر المُذكّرات: "الحياة كالبصلة، يُقشّرها المرءُ وهو يبكي"!

وكتب الدكتور "غازي القصيبي" مُقدّمة مُذكّراته الشهيرة، التي صدرتْ بعنوان "حياة في الإدارة"، يُحدّث في جُزئها الأول عن رفض أبيه الشيخ "عبدالرحمن القصيبي"؛ وقد كان وكيلاً للملك عبد العزيز في "البحرين" خلال عشرينيات القرن الماضي، لكلّ مُحاولات استدراج ابنه لهُ لكتابة مُذكّراته، لأنه: "لا يستطيع أن يُفشي الأسرار التي اوئتُمِن عليها، وأن المُذكّرات إذا خلَتْ من هذه الأسرار، فلن تكون سردٍ لأشياء يعرفها الناس جميعاً"..

ليعترف المؤلّف في ختام المُقدّمة، وللأمانة التاريخية، بأنه: "لم يقُل الحقيقة كاملةً، ولكنه يرجو أن يكون كُلّ ما قالهُ هُنا حقيقة".

أما الأديب الدكتور "لويس عوَض" فقد اختار درباً مُختلفاً عندما كتب مُذكّراته التي جاءت بعنوان "أوراق العُمر"؛ فلم يُقدّمها بمُقدّمةٍ مُعتادة، أو بسطرٍ أو مثَلٍ، ولم يدعُ أحداً من أصدقائه المُقرّبين والعارفين به من زُملائه من كوكبة كُتّاب "الأهرام"، في زمن رئيس تحريرها الأشهر "محمد حسنين هيكل" لتقديمها، من أمثال "توفيق الحكيم" أو "يوسف إدريس" أو "زكي نجيب محمود"، لكنه اختار أن يجعل عنوان فصلها الأول "موحياً" بمعنى التقديم، هو: "ما قبل الذكريات".. ليتحدّث فيه عن أيام طفولته في "السودان"، والسنوات الأولى التي أمضاها من حياته في "الخرطوم بحري" بصُحبة أبيه المُثقّف الذي يملك مكتبةَ منزلية إنجليزية صغيرة من مائة كتاب، والموظّف في حكومة السودان الإنجليزية، وعودته بصُحبة أُسرته بعد ذلك إلى مسقط رأس أبيه في صعيد "مصر".

وقد عرف الكُتّاب والأُدباء قدر المُقدّمات التي يكتبها عمالقة الفكر والأدب، ومنهم الأستاذ "عباس محمود العقّاد" في زمانه، وحرص بعض المؤلّفين على أن يُتوّجوا كُتبهم بها، لما في ذلك من الشهادة لها والتعريف بفضلها، إذ لم يكُن "العقّاد" ممّن يُلقي القول على عواهنه، ويُجري القلم في ثناء من لا يستحقّه.. وقد أحصى الدكتور "عبد السلام الحلّوجي" في كتابه عن "العقّاد" والذي نشره بعد وفاته سنة 1964، وسرد في قائمة الكُتب التي قدّم لها "العقّاد" 21 عنواناً، أما الدكتور "حمدي السكوت" في سلسلته لأعلام الأدب المُعاصر، فقد أحصى لمُقدّمات "العقّاد" 50 كتاباً، تنوّعتْ موضوعاتها ما بين ديوان شِعر وقِصّة ورواية، ومقالات مجموعة في فنون اللغة والأدب والاقتصاد والسياسة والتاريخ والتراجم والرحلات.

محمد الحسين الزمزمي*

العبور

(١)

غصة لا تموتْ
وانتظارٌ لِلا شيء يأتي
والليالي تفوتْ
يسقط العمر منها
في حِمى عنكبوتْ!

(٢)

مُدْمِنُ الالتفاتْ
نحو أشياءَ ماتتْ
ناولتْهُ الفتاتْ
وهو يدري... ويدري
أنَّ لا شيءَ آتْ!

(٣)

قيدُه كالسماءْ
بيدِ الوهمِ يبني
مُدُناً... للرِّثاءْ
فارغٌ يتزيَّا
باكتساحِ الفضاءْ

(٤)

يتحاشى النهوضْ!
ما سيجنيهِ... قلْ لي
في فيافي الغموضْ؟
خاض كالنّاسِ وحْلاً
وسيبقى يخوضْ!

(٥)

لم تشأنا الحياةْ!
عاندتنا... ومرّتْ
كرياحِ الفلاةْ
خبطَ عشواءَ تعطي
دون وعدِ النَّجاةْ

(٦)

كلنا عابرون
نالَ مِنا الشقاءْ
نتساقى الأغاني
في طقوسِ العزاءْ
كلنا عابرون...

* رجال ألمع

مقال

وفاء الجبرين

خُلقت القمم لتعلّمنا العلو.

في هـذا الكون قممٌ كثيـرة، تختلف في تكوينهـا، وتتباين في ملامحهـا، لكنها تلتقي في معنى واحد: العلو.

قمةٌ جبلية شـامخة، تشـقّ طريقها نحو السـماء، وقمةٌ يكسوها الجليد، تقف في صمتهـا وهيبتها أمـام تعاقب الفصول، وقمةٌ من الرمل صنعتها الرياح في قلب الصحراء، حتى غـدت كثبانًا تعلو وتمتد، وكأن لكل بيئةٍ من بيئات الأرض طريقتها الخاصة في التعبير عن الشموخ.

جبـلٌ من صخر، وقمةٌ مـن جليد، وأخرى مـن رمل؛ مواد مختلفة، وصـور متباينة، وصانعها واحد سبحانه:

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وحين يتأمل الإنسـان هذه القمم، يدرك أن العلو ليس صـورةً واحدة؛ فليس كل ما ارتفع كان من صخر، وليس كل ما ثبت تشابه في تكوينه. لكل قمة خصائصها، ولكل واحدة منها طريقها إلى العلو.

وهنا يمتـد التأمل من قمـم الأرض إلى قمم الإنسان.

فاللّه الذي أودع في الجبل شموخه، وفي الجليـد هيبته، وفي الرمل قدرته على أن يتراكم حتى يصنع قمة؛ أودع في الإنسان عقلًا وإرادةً وطموحًا وهمّة، وجعل أمامه من مراتـب العلم والعمل والإحسـان ما يستطيع أن يرتقي فيه ما دام يسعى.

وكمـا تختلف قمـم الأرض، تختلف قمم البشر.

فمن الناس من تكـون قمته في العلم، ومنهم مـن تكون فـي الخُلُـق، ومنهم من يسـمو بالعطاء، وآخر بخدمة الناس، وآخر بصبره وثباته، وآخر برسالةٍ يحملها ويمضي بها مهما طال الطريق.

ولعل أجمل ما تقوله لنا القمم بصمتها: إن العلو يحتاج إلى تراكم.

فحتـى الكثيب العظيم لـم يكن إلا حبات رمـل اجتمعـت، والإنجاز الكبيـر قد يبدأ بخطوة صغيرة، والمعرفة الواسـعة تبدأ بمعلومـة، والنجاح يبدأ بمحاولة، والقمة التـي يراها الناس فـي نهاية الطريق قد تكون وراءها آلاف الخطوات التي لم يرها أحد.

وللقمم أيضًا ثمنها؛ فكلما ارتفع الطريق اشتدّ صعوده، وكلما علت الغاية احتاجت إلى همة تليق بها. ولذلك لا يبلغ الإنسان قمتـه بالأمنيـات وحدهـا، بـل بالصبر، والسعي، والثبات، والاستعانة باللّه.

وحيـن خلق اللّه القمـم عاليةً لم يجعلها جميعًا متشـابهة، وكأن فـي ذلك معنى يستحق التأمل: ليس مطلوبًا من الإنسان أن يكون نسـخةً من قمة غيره، وإنما أن يعرف القمة التي خُلق قادرًا على السعي إليها.

فيـا من ينظر إلى القمـم البعيدة ويظن أن الوصـول إليهـا مسـتحيل، تذكّـر أن اللّه الذي أراك فـي الأرض صورًا متعددة للعلو، قـد أودع فيك من القدرة والإرادة ما يجعلك تسعى إلى علوٍّ من نوع آخر.

فالقمم ليسـت دائمًا أماكن نصعد إليها بأقدامنا؛

بعض القمم نصعد إليها بعقولنا،

وبعضها بأخلاقنا،

وبعضها بعلمنا وعملنا،

وأعلاهـا تلك التـي نرتقي إليهـا بقلوبٍ تعرف اللّه، وهممٍ لا ترضى بالدون.

وحينها يصبح السؤال أمام كل قمة نراها ليس: كم يبلغ ارتفاعها؟

بل: إلى أي قمةٍ تمضي همّتي أنا؟

حسين محمد صميلي

تنهيدةٌ على قارعةِ العُمر

لدماءِ شِعرِكَ وِجهةٌ وطُقوسُ
يغشاكَ من دمِه الشَّجيِّ لَبوسُ

رهَقُ ابنِ آدمَ في كُوى أفكارِه
منها يُشعشعُ حظُّه المَنحوسُ

برِّدْ عليك ..
فلستَ أوَّلَ راحلٍ
غدَرتْ به صحراؤه والعِيسُ

مهما تكالبتِ الرياحُ ، وأمعنتْ
فيك الجراحُ ، وجاذبتكَ نُحُوسُ

عهدي بصبرِك لا يَنِخُّ ، فلم يزلْ
بالعاصفاتِ يدُعُّها ويَجوسُ

يا هازئا بشَقا الحياةِ ، ودونه
تقفُ الحياةُ ومكرُها المَدروسُ !

لا هانتِ الدنيا بعينِك خاليًا
ولَوَ أنَّ وافرَ خيرِها مَبخوسُ

فأراك تنتبذُ الغيابَ مُراوحًا
بسكونِه ، وعلى صَداهُ تَحوسُ
تتحسَّسُ الأصحابَ حولك ، لا ترى
إلا الخواءَ ضجيجُه محسوسُ !

وتظلُّ تسألُ ..
والسؤالُ جريمةٌ في حقِّ ذاتِكَ
فالزمانُ دُروسُ !!

جُلُّ الرفاقِ على الطريقِ خمائلٌ
تُثري العُيونَ ، وظِلُّهنَّ بَخيسُ

لوما الشّدائدُ ما تزيَّلتِ الوَرى
عن بعضِها ، ولَما استبانَ نَفيسُ
ومُجالِسٍ أغراهُ خفْقُ صَبابتي
وأسَى بأعلى سِحنتي مَغروسُ

أرخى عليَّ بنصحِه مُتَشدِّقًا
وأفاضَ حيثُ حديثُه المَهووسُ

حظِّي من الأزماتِ ما جرَّعْنَني
غُصَصًا ، أدينُ بفضلِها وأَقيسُ

وأرى بها ما لا يرى متفاصحٌ
يزنُ الأمورَ ، وأمرُه مَعكوسُ !

يا مُمرِعًا برضاهُ ، حسبُكَ شافيًا
هذي اللُّحونُ على شِفاك تَميسُ

لو تدري ما نثَّتْهُ من أكمامِها
أو ما يُثيرُ حنينُها المَلموسُ

لشرعتَ بوحَك في الدروبِ مُعرِّشًا
يأوي إلى أفيائِه المَمسوسُ !

كم ضاربٍ في الأرضِ لم يظفرْ به
رغمَ الضَّنى كمَدٌ ، ولا تيئيسُ

ألقى إلى الرحمنِ من أثقالِه
وسَعى ، فلا صَلِفٌ ولا مَوكوسُ

هيهاتَ تجترحُ الظُنونُ يَقينَه
أو أنْ يَخيبَ رجاؤه المَحروسُ

مازال في دنياكَ مُنطلَقٌ إذًا
يسَعُ المُريدَ عُلًا ، وثَمَّ شُموسُ

حاشاكَ من عثراتِها مُتوثِّبا
تجتازُ من أحراشِها وتَسوسُ

مقال

سجل واحد.. ومكتبان!

مطلق ندا

@mutlaq_nada

جاء نظام السجل التجاري الجديد بخطوة مهمة في طريق تسهيل ممارسة الأعمال، حين ألغى السجلات الفرعية واكتفى بسجل تجاري واحد للمنشأة على مستوى المملكة يشمل جميع أنشطتها، وهي خطوة تستحق الإشادة؛ لأنها تنسجم مع ما تشهده المملكة من تطوير للبيئة التجارية وتقليل للإجراءات والأعباء على أصحاب المنشآت.

لكن هذا التطور يفتح الباب أمام سؤال آخر يتعلق بالرخص البلدية: إذا كان النظام قد أجاز للمنشأة أن تجمع أنشطتها في سجل تجاري واحد، فلماذا لا يمتد هذا المفهوم إلى المقر التجاري نفسه متى كانت طبيعة الأنشطة تسمح بذلك؟

خذوا على سبيل المثال نشاطي المقاولات والعقارات. فهما وإن كانا نشاطين مختلفين في التصنيف، فإن بينهما ارتباطاً عملياً واضحاً؛ فالمقاول يبني العقار ويرممه ويطوره، والوسيط العقاري يسوقه ويبيعه ويؤجره، وكلا النشاطين يمكن إدارة أعمالهما والتعاقد بشأنهما من مكتب إداري واحد، دون أن يترتب على اجتماعهما في المكان نفسه ضرر صحي أو بيئي أو إزعاج للآخرين.

ومع ذلك، فإن إجراءات الترخيص البلدي تربط إضافة نشاط آخر إلى الرخصة بمفهوم "التجانس"، وهنا يبرز السؤال: هل ما زال هذا المفهوم بصورته الحالية مناسباً للمرحلة الجديدة التي جاء بها نظام السجل التجاري؟

وقد يقال إن الجمع بين بعض الأنشطة في مقر واحد قد يثير إشكالات تتعلق بالتوطين، كما في نشاطي العقار والمقاولات؛ فالعمل في عدد من المهن العقارية مقصور على السعوديين، بينما قد يعمل في نشاط المقاولات عمالة وافدة في المهن التي يسمح النظام لها بالعمل فيها. لكن هذه الإشكالية في تقديري لا تستوجب الفصل بين النشاطين في مقرين مستقلين، بقدر ما تستوجب وضوحاً في تنظيم ممارسة كل نشاط داخل المقر الواحد؛ بحيث تظل المهن العقارية المواطنة مقصورة على السعوديين المرخص لهم، ويمارس بقية العاملين الأعمال المسموح لهم بها نظاماً في نشاط المقاولات. فالتنظيم ينبغي أن يضبط الممارسة، لا أن يضاعف المقرات والتكاليف ما دام بالإمكان تحقيق الغاية النظامية في المكان نفسه.

فليس من المنطقي أن نخفف على صاحب المنشأة من جهة بإلغاء تعدد السجلات، ثم نحمّله من جهة أخرى - إذا لم يُسمح بجمع نشاطين مكتبيين في مقر واحد - تكلفة مكتب آخر بما يعنيه ذلك من إيجار وتجهيز ولوحة وخدمات ومصاريف تشغيلية إضافية، في وقت تتجه فيه الدولة إلى دعم المنشآت الصغيرة ومتناهية الصغر وتخفيف أعبائها.

ولست هنا أدعو إلى فتح الباب لجمع أي نشاطين كيفما اتفق، فهناك أنشطة تختلف اشتراطاتها ومتطلبات السلامة فيها، ومن الطبيعي الفصل بينها. لكن الأنشطة المكتبية التي لا يترتب على اجتماعها ضرر أو تعارض فني تستحق أن ينظر إليها بمعيار مختلف، يقوم على طبيعة ممارستها الفعلية لا على اختلاف مسمياتها وتصنيفاتها فقط.

نظام السجل التجاري الجديد لم يوحّد ورقة السجل فحسب، بل حمل فلسفة واضحة تقوم على التيسير وتقليل الأعباء. ومن هنا يصبح من المناسب أن تراجع الجهات المعنية مفهوم الأنشطة المتجانسة في الرخص البلدية بما يواكب هذه الفلسفة، ويتيح للمنشأة ممارسة أنشطتها المكتبية المتوافقة من مقر واحد، ما دامت مستوفية تراخيص كل نشاط واشتراطاته. فإذا أصبح للمنشأة سجل واحد لأنشطة متعددة، فلماذا تحتاج إلى مكتب لكل نشاط.؟

ستار

لماذا لا يستثمر المسرح المحلي نجاح الرواية السعودية؟

دلال خضر الخالدي*

@Dalal_k_1

لم يعد من الممكن النظر إلى الرواية السعودية بصفتها جنسًا أدبيًا يتحرك في فضائه الخاص بعيدًا عن بقية الفنون الأخرى التي تتواكب مع تقنيات العصر ورغبات المتلقي.. فقد استطاعت الرواية، خلال السنوات الأخيرة خصوصاً، أن تبني حضورًا لافتًا لدى القراء بمختلف توجهاتهم القرائية، وأن تثير حولها نقاشات متفاوتة بين المثقفين والنقاد، وأن تتحول بعض أعمالها إلى أفلام ومسلسلات تلفزيونية. وفي مقابل هذا الحضور المتنامي للرواية في الفنون الأخرى دون المسرح، يبرز سؤالاً ملحًا: لماذا لم يستثمر المسرح السعودي هذا المنجز السردي؟ ولماذا ظل انتقال الرواية إلى الخشبة محدودًا أو يكاد لم يكن موجوداً مقارنة بانتقالها إلى الشاشة السينمائية أو التلفزيونية.

السؤال هنا لا ينطلق من افتراض أن الرواية أكثر أهمية من المسرح، أو أن المسرح عاجز عن إنتاج نصوص بعيدة عن الرواية، وإنما من ملاحظتي هذه فجوة بين مجالين أدبيين يفترض أن بينهما إمكانات واسعة للتفاعل، والتلقي والاقتباس. فالرواية السعودية تمكنت على مدى عقود من أن تصنع جمهورًا متفاعلاً معها، وطرحت قضايا المجتمع وتحولاته وأسئلته الكبرى والصغرى، كذلك المسرح يستطيع أن يعيد اكتشاف هذه المادة السردية وتجسيدها على خشبة المسرح.

تكمن المفارقة المحزنة في أن الرواية التي تجد طريقها إلى السينما أو الدراما التلفزيونية لا تجد الطريق نفسه إلى المسرح ولا تعرف الأسباب لذلك، فالرواية السعودية تحمل معها إلى الخشبة المسرحية، جمهورًا يعرف عالمها وشخصياتها، ويحمل تصورًا وموقفًا وانطباعًا، وهذا في حد ذاته يمثل قيمة لا ينبغي للمسرح أن يغفلها، فبدل أن يبدأ العرض المسرحي من نقطة الصفر بحثًا عن علاقة مع المتلقي تدوم وتتسع مع الوقت، يمكن أن يدخل إلى فضاء ثقافي سبق أن تشكل حول الرواية ويكون جمهوراً يرغب بهذا الفضاء المسرحي ويبني معه علاقة ممتدة.

فبعض الروايات السعودية لم تمر بصمت أبداً؛ بل أحدثت صدى، وأثارت نقاشًا، وتفاوتت حولها القراءات بين الإعجاب والرفض، وبين الاحتفاء والنقد لاذع، وهذه المساحة تحديدًا قد تكون من أثمن ما يمكن أن يستثمره المسرح السعودي.

ربما اعتدنا أن نفكر في أن الاقتباس يكون من خلال الأعمال التي نجحت وأجمع القراء على تقديرها وتوحيد الرأي النقدي اتجاهها، ولكن المسرح قادر على أن يجد مادة أكثر ثراء في الرواية التي أحدثت انقسامًا في التلقي أكثر من المتفق عليها نقدياً، فالرواية المختلف عليها تأتي إلى خشبة المسرح وهي محملة بتفسيرات متعارضة، فنجد أن الشخصية التي اختلف القراء حولها يمكن أن تصبح مركزًا لصراع درامي، والموضوع الذي لم يفهم من خلال السرد يمكن أن يفهم حين تجسيده على خشبة المسرح.

لذلك لا يمكن النظر إلى الاقتباس المسرحي مجرد عملية نقل من السرد الروائي إلى الحوار المسرحي، وإنما كتجسيد درامي وإعادة قراءة للنص الروائي بشكل مختلف، فمثلاً المخرج أو الدراماتورج ليس مطالبًا بأن يعيد إنتاج الرواية كما قرأها الجمهور أو كما كتبها الكاتب، بل أن يعيد طرح أسئلتها من منظور مسرحي حي مثل أن يطرح أسئلة قبل الكتابة المسرحية: ماذا لو نظرنا إلى الشخصية الروائية من زاوية مختلفة عما يراه الجمهور الروائي؟ أو ماذا لو أصبح الصوت الهامشي في الرواية صوتًا رئيسيًا في النص المسرحي؟ بعد هذه الإدراك لكيفية التحويل أو الاقتباس لا تصبح العملية تحويل أو تكرار إنما تصبح إضافة نقدية إلى الحالة الثقافية من باب التجسيد المسرحي.

لا تعني هذا الدعوة إلى تحويل الرواية إلى نص مسرحي على البديل عن الكتابة المسرحية الأصلية، ولا إلى إنتاج عروض تابعة للنجاح الروائي، وإنما إلى توسيع مفهوم المادة التي يمكن للمسرح أن يشتغل عليها ويبنى عليها تاريخه المسرحي، فالمسرح الذي يتفاعل مع الرواية لا يفقد هويته؛ بل يستطيع أن يختبر قدرته على إعادة تشكيل الأدب في وسيط مختلف عما كتب فيه وهذا بحد ذاته إبداع، وأن يثبت أن الخشبة ليست نهاية للنص المكتوب، وإنما فضاء لإعادة إنتاجه وتأويله. ولن تكون الرواية السعودية قد أنقذت المسرح السعودي، ولن يكون المسرح كذلك قد استهلك الرواية السعودية؛ بل سيكون كلاهما قد اكتشف في الآخر إمكانًا فنيًا جديدًا. واخيراً حان الوقت لكي تنتقل بعض الروايات السعودية من رفوف المكتبات وشاشات الهواتف إلى الخشبة المسرحية، لكي تُروى مرة أخرى وتُقرأ من جديد تحت الضوء المسرحي.

* ماجستير في الأدب المسرحي.

كاتب فرنسي ينتمي قلبه إلى أم كلثوم وعقله إلى ديكارت..

جيلبرت سينويه: أكتب لأبني جسراً بين الشرق والغرب.

أمينة الرويعي
@Amenaalroweai

حين نقرأ لجيلبرت سينويه، نشعر أن التاريخ ليس بعيدًا كما نظن. فجأة، لا تعود الشخصيات التي عاشت قبل مئات السنين مجرد أسماء في الكتب، بل بشرًا أحبوا وخافوا وحلموا وارتكبوا الأخطاء، تمامًا كما نفعل نحن اليوم. وربما هنا تكمن خصوصية سينويه؛ فهو لا يذهب إلى التاريخ بحثًا عما حدث فقط، بل عن الإنسان الذي عاش وسط كل ما حدث.

ولعل هذه النظرة مرتبطة بحكايته الشخصية أيضًا. ولد في مصر وعاش بين ثقافتين، لكنه لم يتعامل مع الأمر يومًا باعتباره صراعًا عليه أن يختار فيه جانبًا. يصف نفسه، مستعيرًا تعبيرًا من صديقه أمين معلوف، بأنه يشبه «الكابتشينو» الذي يمتزج فيه الحليب بالقهوة ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ثم يختصر هويته بجملة جميلة: «قلبي ينتمي إلى أم كلثوم، وعقلي إلى ديكارت».

ومن هنا ربما نفهم لماذا ظل الشرق حاضرًا بقوة في كتاباته، ولماذا شغله طوال سنوات سؤال العلاقة بين الشرق والغرب. بالنسبة إليه، يمكن للأدب أن يفعل شيئًا قد تعجز عنه السياسة أحيانًا: أن يجعلنا نرى الآخر بعيدًا عن الصور الجاهزة، وأن يمنحنا فرصة لفهم تاريخه ومخاوفه وأحلامه وتناقضاته.

وفي البحرين، وجد سينويه حكاية أخرى تستحق أن تروى. كانت دلمون بالنسبة إليه حضارة يعرف عنها القليل، إلى أن اقترب منها وزار مواقعها الأثرية، وعندها بدأ الروائي داخله يطرح أسئلته: من عاش هنا؟ ماذا كان يحب؟ ممّ كان يخاف؟ وبماذا كان يحلم؟ أسئلة جعلته يرى خلف الآثار والحجارة حياة كاملة مرت من هنا قبل آلاف السنين.

في هذا الحوار نقترب من جيلبرت سينويه بعيدًا قليلًا عن أغلفة كتبه، لنتحدث معه عن مصر التي غادرها ولم تغادره، وعن الهوية والذاكرة، وعن التاريخ حين يتحول إلى رواية، وعن الشرق والغرب، والبحرين ودلمون، والموسيقى التي ما زالت تسكن جمله، وعن الكتابة بعد أكثر من ثلاثين كتابًا. وفي النهاية، ربما نعود إلى السؤال الذي يبدو حاضرًا خلف الكثير من أعماله:

هل نعود إلى الماضي لأننا نريد أن نفهمه، أم لأن شيئًا في داخلنا لا يعرف كيف نقول له وداعًا؟

أنا أشبه بالكابتشينو

***سبق أن وصفت نفسك بأنك «فرنسي 100٪ وعربي 100٪». بعد كل هذه السنوات، هل ما زلت تعيش إحساسك بالهوية بالقدر نفسه من التوافق والمصالحة، أم أن تعلقنا بالمكان الذي بدأنا منه يزداد قوة كلما تقدمنا في العمر؟**

-سأجيب مستعيرًا عبارة من صديقي أمين معلوف: أنا أشبه بالكابتشينو. مكوّن من الحليب والقهوة. لا يمكنك فصل أحدهما عن الآخر. قلبي ينتمي إلى أم كلثوم، وعقلي إلى ديكارت.

***غادرت مصر في سن مبكرة، ومع ذلك ظلت حاضرة في ذاكرتك وفي بعض كتاباتك. هل نكتب عن الأماكن لأننا نحبها، أم لأننا، بطريقة ما، نشعر أننا**

فقدناها؟

-ربما كلا الأمريـــن. نكتب عن الأماكن لأننا نحبها، لكن المسافة تمنح ذلـــك الحب بعدًا آخر. مصر ما زالت موجودة؛ ما فقدته، هو مصر طفولتي، وربما الشـــخص الذي كنت عليه عندما كنت أعيش فيها.

الخيال الروائي

***عندما تعود إلى التاريخ لكتابة رواية، ما الـــذي تبحث عنه أولًا: الحدث الذي تسجله كتب التاريخ، أم الإنســـان الذي عاشه، والذي ربما لم يســـجل التاريخ مشاعره قط؟**

-دائمًا الإنســـان. التاريخ يخبرنـــا بما حـــدث؛ أما الروائي فيحاول أن يتخيل كيف كان الشعور بالعيش وسط ذلك الحدث. ومن هنا يبـــدأ الخيال الروائي، فـــي المســـاحة التي لا يستطيع التاريخ تسجيلها.

***يخبرنـــا التاريـــخ بما حدث، بينما يحاول الأدب الروائـــي أن يتخيل ما قد يكون شخص ما شعر به أثناء وقـــوع الحدث. أين ترسم الحد الفاصل بين مســـؤولية المؤرخ تجاه الحقيقـــة وحرية الروائي في التخيل؟**

-بالنسبة لي، الخط الفاصل واضح جدًا: لا أغيّر أبدًا ما هو معروف أنه حدث بالفعل. لكن بين الحقائق توجد مســـاحات مـــن الصمت، وهنا يستطيع الروائي أن يدخل. يمكنـــك أن تتخيل المشـــاعر، والحوارات، واللحظات الخاصة، ما دمت لا تخون حقيقة التاريخ.

***كتبت عن العديد من الشخصيات التاريخية والفكرية. هل سبق أن بدأت الكتابة عن شخصية وأنت تحمـــل حكمًا أو تصـــورًا معينًا عنها، ثم اكتشـــفت أن نظرتك إليها قد تغيـــرت عندما انتهيت من الرواية؟**

-لا، ليس حقًا. قد أكتشف جوانب فيها لم أكن قد فهمتها بشكل كامل، لكن تصوري الأساســـي عنها نادرًا ما يتغير. ربما لأنني لا أبدأ الكتابة إلا عندما أشعر أنني أفهم الشخص بما يكفي.

جسر بين الشرق والغرب

***بعد أن أمضيت سنوات طويلة في قـــراءة التاريخ والكتابة عنه،**

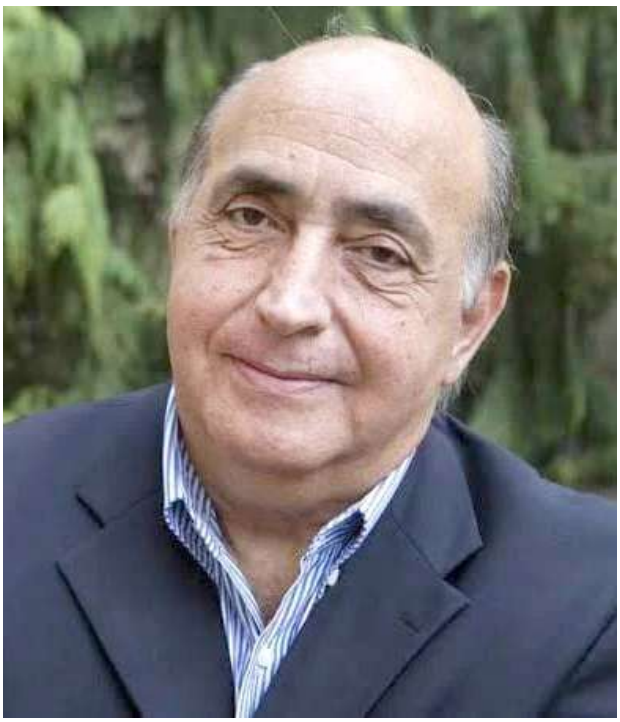

هل تعتقد أن البشـــر يتغيرون حقًـــا، أم أننـــا ببســـاطة نكرر المخـــاوف والصراعات والأخطاء نفسها تحت أسماء مختلفة وفي أزمنة مختلفة؟

-لا، لا أعتقد أن البشـــر يتغيرون حقًا. نتعلم مـــن أخطائنا فقط لكي نكررها، وأحيانًا على نطاق أكبر بكثير. فـــي الواقع، أصبحنا بارعين بشـــكل لافت في تطوير قدرتنا على التدمير. وربما يأتي يوم نتقـــن فيه هذه القدرة إلى حد تدمير أنفسنا.

***تحتل منطقة الشرق والحضارة العربية مكانة مهمة في أعمالك الأدبية. هل شـــعرت يومًا بأنك تفعل أكثـــر من مجـــرد كتابة الروايـــات، وأنك تحـــاول أيضًا تحدي أو تصحيح صورة الشـــرق التي طالما ترسخت في المخيلة الغربية؟**

-نعـــم. بطريقة مـــا، كان هذا دائمًا أحد أهـــداف حياتي: بناء جسر بين الشـــرق والغرب، بين عالمين كثيرًا ما يســـيء أحدهما فهم الآخر. كتب كيبلينغ عبارته الشهيرة: «الشرق شـــرق والغـــرب غرب، ولن يلتقيـــا أبدًا». ومن خلال رواياتـــي، حاولت، بطريقتـــي الخاصة، أن أثبت خطأه. يمكن للأدب أن يخلق مساحة يستطيع فيهـــا أشـــخاص قد لا يلتقون أبـــدًا أن يبدأوا في فهم بعضهم بعضًا: تاريخهـــم، ومخاوفهم، وأحلامهم، وتناقضاتهم. لكن الأمر ليس ســـهلًا. فما زال كل من العالمين ينظر إلى الآخر، في كثير من الأحيان، بعين الريبة، وكل طرف مقتنع بطريقة ما بأن الطرف الآخر يمثل الشـــر. وربما لهذا السبب تحديـــدًا نحن بحاجـــة إلى تلك الجسور.

مرآة الرؤية الخلفية

***ومـــن المنظـــور المعاكس، بعد كل ما قرأتـــه وكتبته عن الحضارة العربية، ما الذي تعتقد أننا، كعـــرب، توقفنا عن رؤيته في تاريخنـــا نحن، إما لأنه أصبح مألوفًا جدًا بالنســـبة لنا، أو لأننا ابتعدنا عنه؟**

-أحيانًا أفكر أن مأســـاة العالم

العربي تكمن في أن العرب يتفقون دائمًا على أمر واحد: ألا يتفقوا أبدًا. كما أننا نميل إلى نسيان من أين أتينا وما الذي حققه أجدادنا، وكأن تلك الإنجازات أصبحت مألوفة جدًا لدرجة أنها لم تعد تعني لنا الكثير. ومع ذلك، انظر إلى ما يدين به العالم للحضارة العربية والإسلامية: إنجازات كبرى في الطب والجراحة، والجبر، والبصريات، وعلم الفلك، ورسم الخرائط، والجغرافيا، والفلسفة، فضلًا عن حفظ المعارف القديمة ونقلها. لقد تغذت الكثير من الإنجازات التي ازدهرت لاحقًا في أوروبا على هذا الإرث الفكري. لكن الفخر بالماضي وحده لا يكفي. لا يمكنك بناء المستقبل وأنت تنظر باستمرار إلى مرآة الرؤية الخلفية. التحدي الحقيقي اليوم هو أن يصنع العرب حاضرًا يمكنهم أن يفخروا به، وأن يؤمنوا، قبل كل شيء، بمستقبلهم من جديد.

حضارة دلمون

***أصبح لقاؤك بالبحرين واكتشافك لحضارة دلمون القديمة جزءًا مميزًا من رحلتك الأدبية. ماذا اكتشفت في دلمون بصفتك روائيًا، وربما لم تكن لتكتشفه لو تعاملت معها من منظور التاريخ البحت؟**

-اكتشفت، أولًا وقبل كل شيء، حضارة كنت أعرف عنها القليل جدًا. ولم تصبح دلمون حقيقية بالنسبة إليّ إلا عندما قضيت بعض الوقت في البحرين، وعندما اقترحت عليّ صديقتي الشيخة مي أن أزور المواقع الأثرية. لقد أذهلتني فكرة أن هذه الجزيرة الصغيرة تخفي تحت أرضها آثار حضارة يعود تاريخها إلى آلاف السنين، وترتبط ببلاد الرافدين والعالم القديم. بصفتك روائيًا، لا ترى فقط الأطلال أو البقايا الأثرية؛ بل تبدأ في تخيل الأشخاص الذين عاشوا هناك، وما كانوا يؤمنون به، وما كانوا يخافونه، وما كانوا يحلمون به. وهذا ما أثار فضولي. وأعتقد أنه

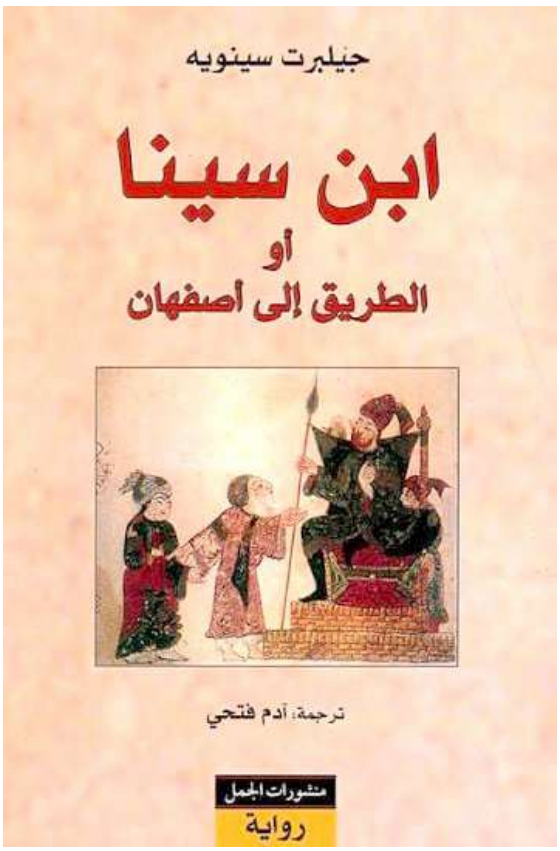

من المهم أن يأتي المزيد من الناس من الغرب إلى البحرين ليكتشفوا هذا التاريخ بأنفسهم. دلمون تستحق أن تكون معروفة على نطاق أوسع بكثير.

نظرة جديدة

***أحيانًا يلاحظ الشخص القادم من الخارج تفاصيل في مكان ما لم يعد أهله يرونها، لأنهم اعتادوا عليها وأصبحت مألوفة جدًا بالنسبة لهم. ماذا رأيت في البحرين وتشعر أننا، كأبناء هذا المكان، ربما توقفنا عن ملاحظته؟**

-إنها ظاهرة شائعة جدًا. عندما كنت أعيش في مصر، هل تعتقد أنني كنت أولي الأهرامات الكثير من الاهتمام؟ وهل لا يزال الباريسي الذي يمر أمام برج إيفل كل صباح ينظر إليه فعلًا؟ الاعتياد يجعل الأشياء الاستثنائية تبدو عادية. وربما هذا هو ما يستطيع الشخص القادم من الخارج أن يقدمه: نظرة جديدة. في البحرين، لفت انتباهي أمور قد يعتبرها البحرينيون ببساطة من المسلّمات: عمق تاريخ البلاد، وآثار دلمون، والعلاقة بين الجزيرة والبحر. أحيانًا تحتاج إلى شخص يأتي من مكان آخر ليذكّرك بأن ما يبدو عاديًا بالنسبة إليك قد يكون استثنائيًا بالنسبة إلى بقية العالم.

صورة كاريكاتورية

***بعد استكشاف تاريخ البحرين ودلمون، هل تغيرت نظرتك إلى منطقة الخليج، ولا سيما إلى منطقة تختزلها النظرة الخارجية أحيانًا في النفط والحداثة والمدن التي شُيدت حديثًا؟**

-أوه نعم، بالتأكيد. المأساة هي أن الغرب لا يزال يميل إلى تصور الخليج من خلال مجموعة محدودة من الصور النمطية: ناطحات السحاب، وآبار النفط، والثروة، والمدن الحديثة المبنية حديثًا. أجد ذلك محزنًا جدًا، لأن هذه ليست الصورة الحقيقية

لهـــذه البلـــدان. إنهـــا صورة كاريكاتورية. فهناك ما هو أكثر بكثير من ذلك: إحســـاس عميق بالضيافـــة، واللباقة، والتواصل الإنساني، والشـــرف، إلى جانب الثقافة والذاكرة وتاريخ يمتد إلى آلاف السنين. وهذا سوء فهم آخر بين الشرق والغرب، ولسوء الحظ، لا يزال قائمًا حتى اليوم.

إما الموسيقى أو الكتابة

***قبل الأدب، كانت الموسيقى جزءًا مهمًا من حياتك. هل تركت الموسيقى حقًا عندما اتجهت إلى الكتابة، أم أنها وجدت ببساطة شكلًا آخر في إيقاع جملك وبنية رواياتك؟**

-كنت قد كرّســـت نفسي للغيتار الكلاســـيكي، وهو آلة تتطلـــب، رغم مظهرها، قدرًا هائلًا مـــن الانضباط والتدريب اليومـــي. عندما قـــررت التفـــرغ لـــلأدب بجدية، وكان ذلك في سن متأخرة نسبيًا، في السابعة والثلاثين تقريبًـــا، أدركت أنه كان علـــيّ أن أختار. إما الموســـيقى أو الكتابة. جاء الاختيار بشكل طبيعي. لكن، وربما على نحو مفاجئ، لم تغادرني الموســـيقى حقًا. فهي حاضرة دائمًا في ذهني عندما أكتب. إنها تساعدني على إيجاد إيقـــاع الجملة، ونَفَسها، وموسيقاها، كلما أمكن ذلك.

معنى «الإلهام»

***بعد أكثر من ثلاثين كتابًا، هل تصبح الكتابة أسهل، أم أن حالة عدم اليقين التي ترافق الصفحة البيضاء الأولى تظل قائمة، مهما ازدادت خبرة الكاتب؟**

-قد أفاجئـــك مرة أخـــرى: لم أشـــعر قط بالخوف من الصفحة البيضاء، ولست حتى متأكدًا من أننـــي أعرف معنـــى «الإلهام». والسبب بسيط جدًا: لا أبدأ رواية أبدًا قبل أن تكـــون القصة قد كُتبت بالفعل في رأسي. أما حالة عدم اليقين الوحيدة التي أشعر بها فتأتي بعد ذلـــك، ويمكن تلخيصها فـــي بضع كلمات: هل أحسنت كتابتها؟

عصر مجنون إلى حد ما

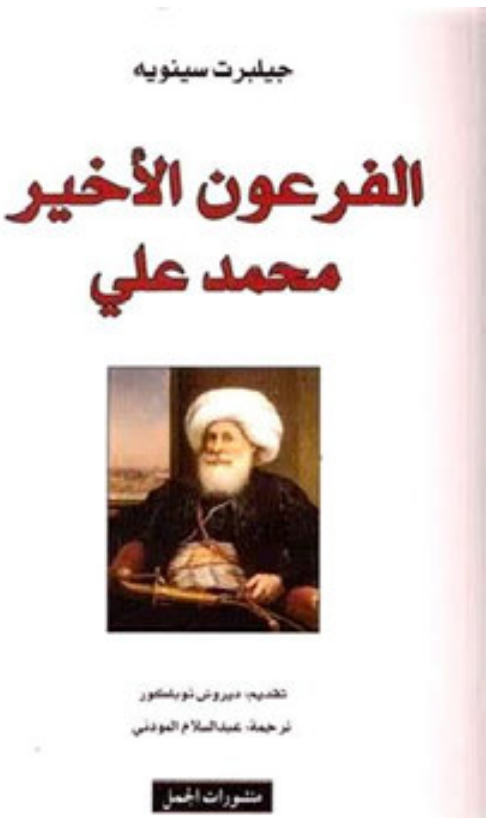

***نعيـــش فـــي عصر الســـرعة والاختصار، بينما تتطلب الرواية، ولا ســـيما الرواية التاريخية، من القارئ وقتًا وصبرًا وتأملًا. ما الذي لا تـــزال الرواية قادرة على منحه لنا اليوم، ولا تستطيع الشاشات ووســـائل التواصـــل الاجتماعي منحه؟**

-لا أعتقد أنه ينبغي لنا أن نضع أشكال التعبير المختلفة هذه في مواجهة بعضها البعض. ينبغي النظر إلـــى الروايـــة باعتبارها مكملـــة للشاشـــات ووســـائل التواصل الاجتماعي، لا عدوًا لها. عندما ظهـــر التلفزيون، اعتقد العاملون في صناعة الســـينما وقالـــوا: «لقد انتهينـــا». لكن التاريخ أثبـــت خطأهم. وأعتقد أن الأمـــر نفســـه ينطبق على الرواية. ويقـــول الناس أيضًا إن الشباب لم يعودوا يقرأون لأنهم يقضون حياتهم ملتصقين بهواتفهـــم الذكية. وهذا صحيح وخاطـــئ في الوقت نفســـه. إذا وجدت الطريقة المناســـبة لقيادتهم نحو الكتب، فسوف يقرؤون. كان ابني نفســـه يكره القراءة. وبالتدريـــج، ومن دون أن أفرض عليه شيئًا، شجعته علـــى فتح روايتـــه الأولى. واليوم، يقـــرأ رواية واحدة كل شـــهر. لكن صحيح أننا نعيش في عصر مجنون إلى حد ما، تهيمن عليه السرعة والفورية. وربما يكون هذا تحديدًا ما لا تـــزال الرواية قادرة علـــى أن تقدمه لنا: ترف التمهّل.

***أمضيـــت جـــزءًا كبيـــرًا من حياتـــك فـــي إعادة أشـــخاص ومدن وحضارات اختفـــت منذ زمـــن بعيد إلـــى الحيـــاة مـــن خلال الخيـــال الأدبي. بعـــد كل هذه الســـنوات، هل تعتقد أننا نكتب عن الماضي لكي نفهمه، أم لأننا لا نعرف كيف نقول له وداعًا؟**

-أخشى أننا نتعلم القليل جدًا من الماضي، لسبب بسيط: لقد قلنا له وداعًا بالفعل. نتذكر قصصه، ونحيي ذكراه، ونكتب الكتب عنه، لكننا نادرًا ما نصغي إلى ما يريد أن يعلمنا إياه. وربما لهذا السبب نستمر في تكرار الأخطاء نفسها.

أكاديميات

مَوسم التمور
أمْ مَوسِم العُطـور !؟

د .محمد حمد القنيبط
@qunaibet

قبـــل حوالـــي ثـــلاث ســـنوات انتَقَلَـــت إدارة الأســـواق المركزيـــة للخضـــار والفاكهـــة في المُـــدُن مِن وزارة البلديـــات والإســـكان وأمانات المُـــدُن إلـــى وزارة البيئـــة والمياه والزراعة، فاستبشـــر الناس خيراً بهذا الخبـــر، حيثُ أناطت الوزارة بالشـــركة الوطنيـــة للخدمـــات الزراعيـــة مُهِمَّة الإشراف على هذه الأسواق.

ولكـــن، كما يُقـــال، الفرحة لـــم تَدُم طويلاً، حيث جـــاء أوَّل اختبـــار لنتائج هـــذا الانتقـــال الإداري للأســـواق المركزيـــة للخضـــار والفاكهـــة إلى وزارة البيئـــة والميـــاه والزراعة العام الماضـــي فيما كان يُســـمى "مهرجان التمور" في ســـوق الربوة المركزي في العاصمة الريـــاض، والذي أطلقت عليه الوزارة اسماً جديداً هو: "موسِم التمور بالربوة". وقد كان شـــعاره هذا العام: "هنا تبدأ رحلة التمور السعودية"!!

وكأنّـــي بـــوزارة البيئـــة والميـــاه والزراعـــة والشـــركة الوطنيـــة للخدمـــات الزراعيـــة تُريـــدان لفت نظـــر العامَّة إلى بدء إشـــرافهما على الســـوق بتغيير ما اعتـــاد عليه الناس بشـــأن مُســـمّى وطريقـــة تنظيـــم مهرجـــان التمـــور بالربوة لســـنوات عديـــدة مِـــن قِبَـــل وزارة البلديات والإســـكان عبـــر أمانـــة مدينـــة الرياض، شأنهما في ذلك شأن قرارات العديد مِن الأجهزة والشركات الحكومية وشـــبه الحكومية عند تغيير رئيسها أو تَبَعيَتها، حيث يكـــون أوَّل القرارات هو اعتماد "هويَّة جديدة" للجهاز !!

ولـــو طُلِبَ مِنّي تقييـــم القائمين على مهرجان أو موسم التمور 2025 و 2026، فيما يتعلَّق بتوقيت افتتاح هذه الفعالية الزراعية التســـويقية السنوية، لقُلت ــ وبدون أي تَرَدُّد ـــــ بأنَّ القائمين عليه يجهلون تماماً توقيت تسويق التمور، إنْ لم يكونوا يجهلون كُل شيء عن النخيل والتمور؛ أو أنَّ الشركة الوطنية للخدمات الزراعية هي شـــركة غير سعودية مِن رأسها حتى أخمَص قدميها ولم تَسمَع بشيء اسمه النخيل والتمور !!

فهل يُعقَـل أنْ يبدأ موسم تسويق التمور في ســـوق الربوة بالرياض في نهاية شهر أغسطس، وذلك عند انتهاء موسم "الرَّطَب" وبدء جَني كامل محصول التمر مِن على النخلة، والمعروف محلياً بعملية "الصَرَام أو الجَـدَاد" !؟

بمعنى آخر، كيف يُهمِل القائمون على فعالية إدارة موسم تسويق التمور في ســـوق الربوة حقيقة بدء نزول أصناف البِسر (البَلَح) والرَّطَب مطلع شهر يونيو، وبالتالي حاجة المُزارعين والمُســـوِّقين والمُشـــترين افتتاح مَنفَـــذ بيع البِسر والرَّطَب مُمَثِّلاً بسوق الربوة في الرياض الـــذي اعتادوا عليه لســـنواتٍ طويلة !؟ وبالتالـــي، لماذا تأخُّـــر افتتاح فعالية موسم التمور إلى نهاية شهر أغسطس العام الماضي وهذا العام !؟

ولكن السؤال الأهمّ هو:

لمـــاذا انخفض عـــدد بائعـــي التمور

في سوق الربوة بالرياض في موسمَي 2025م و2026م إلى حوالي ٪20 أو ٪30 من عدد البائعين في صيف 2024م وما قَبله، عندما كان الإشراف على السوق مُناطاً بوزارة البلديات والإسكان مُمَثَّلةً بأمانة مدينة الرياض !؟ هل هو حدوث ارتفاع كبير في إيجار مواقع البيع (الأكشاك) في هذا السوق !؟ فقد انخفضت مساحة هذا السوق إلى حوالي نصف المساحة السابقة قبل انتقال السوق تحت إشراف وزارة البيئة والمياه والزراعة، إضافةً إلى هَدم مُنشآت السوق السابق (المِظَلَّة)، وإنشاء مِظَلَّة أصغر مِن المِظَلَّة السابقة، وكذلك المُبالَغَة في "البهرَجَة" لإدارة السوق؛ وهذا ما قد يُعرَف "بالهوية الجديدة" !!

وقَد فُوجِئ المُتَسَوقون الصيف الماضي، عند افتتاح "موسم التمور بالربوة 2025" في نهاية شهر أغسطس 2025م، باستقبالهم بفناجين القهوة السعودية عند مدخل السوق مِن موظفين ارتدوا "ثياب المرودن" المُطرَّزة، وكأنَّك داخل إلى حفل زفاف !!

ولكن ما إنْ تَدخُل إلى السوق إلاَّ وتَصطَدِم بضآلة عدد بائعي التمور، مقارنةً بالأعوام الماضية (2024م وما قبلها)، وكذلك ضيق الممرات بين أكشاك البيع.

والصدمة الثانية في موسم هذا العام 2026م تَمَثَّلت بوجود الكثير جداً مِن بائعي مُنتجات أُخرى غير التمر والرُّطب شغلوا أكثر مِن نصف عدد المحلات، يبيعون العطور والبخور والعسل والمعمول والحلويات وغيرها مِن المأكولات التي لم ينقصها سوى وجود أكشاك الشاورما والمعسَّل!! وكأنَّك في مهرجان أو فعالية لبيع المُنتجات الغذائية، وليست الفعالية التي كَتَبَت الشركة الوطنية للخدمات الزراعية هذا العام على الخيمة الكبيرة التي تُظِلّ أكشاك البائعين مُسمّى: "موسم التمور بالربوة 2026 ــ هنا تبدأ رحلة التمور السعودية"، مع رسم نخلتين مُثمرتين على يمين ويسار هذا المُسمى !!

كما يُقال، "اللّه يذكر أمانة مدينة الرياض بألف خير"، عندما كانت مسؤولة عن سوق التمور في الربوة أثناء فعاليته الصيفية مُنذُ عشرات السنين، حيث كانت مواقف السيارات حول الموقع مجانية للجميع.

ولكن عندما أصبحت وزارة البيئة والمياه والزراعة، مُمَثَّلةً بالشركة الوطنية للخدمات الزراعية، مسؤولة عن إدارة سوق الربوة المركزي، قامت هذا الصيف (2026م) بوضع موانع حديدية حول مواقف السيارات المحيطة بموقع فعاليَّة موسم التمور بالربوة 2026، في الركن الجنوبي الشرقي مِن السوق؛ ووضعت موظفي أمن معهم أجهزة الدفع لِمَن يرغب الوقوف بسيارته قريباً من موقع السوق. وكأنّي بالشركة الموقَّرة شركة تجارية هدفها الأول والأخير تعظيم أرباحها مِن أي خدمة تقوم بها، وليست شركة حكومية ٪100 أُنشِئَت لتسهيل تسويق التمور!! وأعتَقِد أنَّ هذه الرسوم على مواقف السيارات هي أحد الموارد المالية الجديدة لتمويل تكاليف "دلال" القهوة وثياب المرودن وموظفي الاستقبال الكُثر العام الماضي (والحالي) للترحيب بزوَّار السوق !!

السؤال البديهي هُنا للشركة الوطنية للخدمات الزراعية هوَ:

لماذا وضعتم مواقف السيارات حول مهرجان أو موسم التمور 2026 برسوم مالية !؟

هل أنتم شُركاء لطَيِّبة الذِّكر "مواقف الرياض" التي تقريباً لم تترك شارعاً في الرياض إلاّ وَوَضَعَت على مواقف السيارات فيه رسوماً بثلاثة ريالات للساعة، وعاقبت المُخالِف بغرامة خُرافية أبعَد ما تكون عن المَنطِّق والعدالة بمبلغ مائتي ريال، وهو ما يُعادل ٪6666 مِن رسم ساعة الوقوف، في حين ألغت وزارة البلديات والإسكان رسوم وقوف السيارات في المنطقة الشرقية والقصيم بعد تطبيقها لأكثر من عام !؟

خُلاصَة القَول في موضوع إنتقال إدارة الأسواق المركزية للخضار والفاكهة في مُدُن المملكة إلى وزارة البيئة والمياه والزراعة، أنَّ الأمَل كان في أنْ تقوم الوزارة بمَنع غير السعوديين مِن مُمارَسَة وظائف البيع في هذه الأسواق التي تكتظ بآلاف البائعين غير السعوديين، لا أنْ تقوم بعمليات تجميلية مُكلِفة وتُخفِق في اتخاذ قرارات بديهية جداً يعرفها عامَّة الناس، وهي توقيت بدء الفعاليات التسويقية، وقبل ذلك وبعده تحميل البائعين والمُتَسَوِّقين تكاليف ما أنزل اللّه بها مِن سلطان.

وآخراً وليس أخيراً، لا يخفى على وزارة البيئة والمياه والزراعة الموقَّرة أنَّ "التجارة تسعة أعشار الرزق".

ولكن الأمل والآمال شيء، والواقع البيروقراطي شيء آخر.

المقال

وجيهة الحويدر

عن بقاء الكثير من الشباب في عالم «العزوبية»..

ألم يحن الوقت لفتح أبواب أخرى للزواج؟

أصبح العزوف عن الزواج شـــبه ظاهرة بدأت تتفشى في المجتمع السعودي، وبشكل ملحوظ في العقد الأخير، حيث بات الكثير من الجيل الجديد من الجنســـين، الذين تتراوح أعمارهم، ما بين العشـــرينات ونهاية الثلاثينات، يتعثرون ويترددون كثيرا، في اتخاذ الخطوات اللازمة، للارتباط، حتى لو كانوا من الفئة المقتدرة على متطلبات الزواج، وتكوين أسرة، فقد أصبح الإقدام على الزواج أمر مقلق جدا بالنسبة لهم، وكأنه من المشاريع الشـــاقة على النفس، أو هدفا يتطلب تأجيله، لأنه صعب المنال، وليس بالإمكان تحقيقه هذه الأيام.

بغض النظر عن حالة الأفراد الاقتصادية، وتكلفة المهور، وحفلات الزفاف الباذخة، والتي تلعب دورا كبيرا، في تردد الشباب الذكور خاصة، الراغبين في مغادرة حياة العزوبية، والشروع في تشـــييد عش الزوجية، وبعيدا عن التغيرات الجذرية التي حدثت في المجتمع، في الســـنوات الأخيرة، والتي وسعّت الســـاحة لتحرّك المرأة السعودية، وظهورها في الفضاء الخارجي، ودخولها ســـوق العمل دون موانع، إلا أن هنـــاك عقبات أخرى، تكبر وتؤثر منذ زمن بعيد على الخطط المســـتقبلية للزواج، حيث جعلت الكثير من العزاب ومعهم العازبات، يقفون مكتوفي الايدي، وفي حيرة تامة، بين مشاعرهم الملحة للارتباط والاستقرار، وعدم قدرتهم على إيجاد حلول لتخطي تلك العقبات.

بإلقاء النظر على صـــورة مقتضبة من الحقائق على أرض الواقع، من الهيئة العامة للإحصاء في تقرير التوزيع النسبي للشباب السعودي لعام 2023 (للفئة العمرية للجنسين ما دون 35 عاما) حيـــث أنها تُمثل ما يقارب ٪71 من إجمالي السكان الســـعوديين، وأن نسبة الذكور تبلغ ٪50.3، بينما الإناث أقل بدرجة بسيطة، تصل نسبتهن الى ٪49.7، وهذا يُبين أن عدد الذكور يفوق عدد الإناث، بعكس ما يعتقده الكثير من الناس.

أما نســـبة الذين لم يتزوجوا أبدا من اليافعين من الفئة العمرية (للجنســـين من 15 الى 35 سنة): فتبلغ ٪65.3، أما المتزوجين ٪32.3، والمطلقين ٪2.2، وهذه النســـبة قليلة جدا، مقارنة بالقلق الشعبي السائد، والجدل الشائع المبالغ فيه، المنتشـــر في المجتمع عن حالات الطلاق. علما أنه ما يقارب ٪5 من الفتيات الســـعوديات تزوجن قبل بلوغ سن 18 عاما. وهناك نسبة ٪57.05 من الذكور عامة متزوجين، ويقابلهم ٪42.95 من الإناث. أي أن عدد الرجال السعوديين المتزوجين أكثر من عدد النســـاء المتزوجات، لعوامل مثل الطلاق، والترمل، والعنوسة التي أنتجتها الفجوة العمرية، بسبب زواج الشاب بشـــابة أصغر منه سناً، أحيانا بعقد أو اكثر.

الجدير بالذكر عن حالات الطـــلاق، يوجد اليوم عدد كبير من المطلقات الســـعوديات، تصل النسبة ما يقارب ٪79، مقارنـــة بالمطلقين الذين لا تتعدى نســـبتهم عن ٪21، والسبب يعود إلى أن الرجل حين ينفصل عن زوجته، لاتزال أمامه فـــرص عديدة للزواج مرة أخرى، فهو صاحب القرار، وعادة يرتبط بامرأة لم يسبق لها الزواج من قبل، وأحيانا تصغره بســـنوات، لأن المجتمع لا يحمّله خطيئة الانفصال، حيث أن "الرجل لا يعيبه ســـوى جيبه"، وعدم قدرته على الإنفاق. بينما تقع تبعـــات الطلاق على المرأة، فهي دائما مدانـــة بهدم بيتها، وهذا العرف الســـائد، هو القيد الذي يحرم النساء المطلقات من الارتباط برجال آخرين.

بالرغم مـــن أن الاحصائيات تبدو غير مبشـــرة كثيرا، إلا أنه منطقياً، قد تتضاءل إشـــكاليات الزواج، لكلا الجنسين، لو أن القوانين أرخت قيودهـــا، والأعراف خففت قبضتها، والمجتمع شرّع أبوابه أمام الجيل الجديد، والحكومة ذللت العقبات وقدمت محفّـــزات، والعائلات مهدّت الطرق لتلك الفئة العمرية، وسهلت لهم السبل لزواجهم، وبناء حياتهم بخطى راسخة.

مما لا شـــك فيه أن بعـــض العادات هـــي العائق الأكبر للمقبلين على الزواج، وهي من صنع السعوديين أنفسهم، وتحتاج لجهود ضخمة، من قبل السلطات المخولة، لإزالتها تدريجيا، بدمج الطوائف، الدينية، والقبلية، وتعزيز التزاوج بين الســـعوديين بـــكل اطيافهم، مـــن ذوي الانتماءات المختلفة، وتثقيف المواطنين لتخطي بعض العادات، التي تتنافى مع الشـــريعة الإسلامية حيث "لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأبيض على أســـود، ولا لأســـود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب."

من الضروري، نشر ثقافة صحية عن أهمية الاختلاط، وفوائد التزاوج مع فئات المجتمع المختلفة، والتناسب فيما بينهم، لتجديد الدماء، ومكافحـــة الأمراض المتوارثة عبر الاجيال، وتقوية الأواصر، ولكي تتســـع الدائـــرة، وتتعدد الخيارات للجنسين، من أجل تقليل نسبة العنوسة للجنسين، وزيادة النسل، وجمعهم تحت مظلة المواطنة بشكل حقيقي.

التلاحم بين الفئات المجتمعية مشروع وطني ملح، يستحق ان تبذل الناس جهودا حثيثة لإنجاحه، بتوجيه من المشرعين القانونين في الدولة، والمرشدين الدينين والاجتماعيين. بالإمكان تعزيز ورفع وتيرة التزاوج بين السعوديين، بتقديم مكافآت مالية لمن يرتبطون بأناس من خارج الطائفة، فعلى سبيل المثال تُبعث للمتزوجين، مباركة من حاكم المنطقة ، او ربما توفير قاعات مجانية لإقامة حفل الزفاف، أو منح مصروفات الحضانة للصغار، حتى بلوغ الأطفال سن المدرسة، او أن يعطوا شهر إجازة مدفوعة مسبقا، وغيرها من الطرق المشجعة للزواجات المدمجة.

بجانب ذلك هناك قنوات أخرى متاحة للتزاوج لكن شبه مغلقة، فالسعودية بلاد شاسعة، ومترامية الأطراف، والمجتمع ملون بأطيافه، ومختلط بعدة ثقافات، نتيجة لتواجد الوافدين من دول أخرى، عرب وغير عرب، فحسب الاحصائيات يبلغ عدد المقيمين (ذكور واناث، صغار، وكبار) أكثر 13 مليون نسمة، ويمثلون ما يقارب 175 جنسية، قدموا من شتى بقاع الأرض، لطلب الرزق في المملكة.

وحين شملت الإحصائيات عدد الذكور غير السعوديين لتعداد السكان العام، تبين أن غالبية سكان المملكة ذكورا، ووصلت نسبتهم إلى 62.1٪، بينهم 85٪ رجال مقيمين في السعودية، لم يسبق لهم الزواج من قبل، وأيضا 15.12٪ نساء مقيمات يندرجن تحت نفس الحالة الاجتماعية، وهذا يزيد من فرص الزواج للسعوديات والسعوديين، لو عولجت المسألة بعقلانية، وقُننت بشكل سليم.

ذلك التجمع السكاني المتعدد الأطياف، من الأجانب المتواجد على أرض الوطن، يعتبر ثروة بشرية لا مثيل لها، حيث أنها تحتوي على جميع الطبقات الاجتماعية، ومزيج من الثقافات، والاعراق، فالأجانب يزاولون مختلف المهن، ويعملون في قطاعات مختلفة. فعلى سبيل الذكر وليس الحصر، قطاع النفط والغاز المتمثل في شركة ارامكو، يضم ما يقارب 90 جنسية، وهذه عينة بسيطة، تكشف مدى التنوع السكاني في المملكة، وفي الشركات الكبرى خاصة، بالإضافة إلى القطاعات الحكومية مثل الصحة، والصناعة، والتعليم العالي، والاتصالات، وغيرها.

توجد اليوم فرص متوفرة بكثرة في السعودية للعزاب والعازبات، لخوض تجربة الزواج، بأجانب وبأقل التكاليف أيضا، والاحتمالات تصبح أوسع للشابات المطلقات، فثمة خيارات كثيرة من الفئات المختلفة من المقيمين، من ذوي حملة الشهادات الجامعية، ويعملون في مهن مرموقة، وبالإمكان أن يعمروا بيوتا، ويكّونوا أسرا، فالعرض أكثر من الطلب، لكن الأمر ليس بتلك السهولة في المجتمع المتمسك ببعض العادات . قال تعالى في الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ان بعض العادات بكل اشكالها، حواجز منيعة وضعتها العائلات السعودية، امام ابناءهم وبناتهم، فصارت كأنها جدران مصنوعة من الفولاذ، من الصعب اختراقها.

ثمة إيجابيات عدة من الاندماج بأعراق وثقافات أخرى، أهمها تعزيز ثقافة التسامح، والأريحية، وقبول الآخر، والتخلص من النزعات القبلية، والطائفية، بالإضافة إلى ذلك، تُضخ دماء جديدة بين الناس، من أجناس أخرى، لمكافحة الأمراض الوراثية، الجسدية والنفسية. لذلك تلك القوانين في حاجة الى تعديل.

من المهم إلغاء تصريح الزواج من الأجانب، للشباب والشابات، وتجنيس أبناء وبنات الأم السعودية، حالها حال الأب السعودي، والقوانين الصارمة التي تحد السعوديين، من الارتباط برفقاء الدرب، من جنسيات أخرى، بالإمكان تخفيفها، وهنا يأتي دور الجهات المختصة لتفكيك تلك القيود، والخلاص من معظمها، وايجاد حلول جذرية، لمعالجة أزمة الراغبين في الزواج، قبل أن يدق جرس الخطر، ويصبح معدل الانجاب بين السعوديين متدنيا، بينما معدل الشيخوخة يزداد، كما يحدث في دول متقدمة مثل اليابان، وألمانيا، وكوريا الجنوبية، بسبب العزوف عن الزواج.

في نهاية المطاف الأجيال السعودية اليافعة، مقبلة على عالم يتطور بسرعة مريعة، ويتغير يوم بعد يوم، فالشباب خلقوا لزمان غير زمان آباءهم وأمهاتهم، وسيواجهون تحديات كثيرة ومعقدة في الحياة، والدولة تتقدم تكنلوجيا، ورقميا، وعمرانيا، وثقافيا، وتتجه بخطى حثيثة للمدنية والتطور، لتواكب العصر والعالم المتقدم، بينما العصبية، لازالت تنخر في المجتمع، وتزيد الفجوة، بين الناس، وتفاقم ازمة الزواج. من الصواب تمهيد السبل، لتكوين عائلات سعودية عصرية، متعددة الأعراق، والمذاهب والاجناس، بقوام متماسك، فالعائلة المترابطة هي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الصحي، المنفتح على الثقافات الاخرى، والقادر على المنافسة وفي عالم تتصارع عليه قوى عظمى بشكل مريب، ويصعب توقع أحداثه، ففي غمار عجلة العولمة، وفي زخم الحداثة، التي تخوضها البلاد بهمة عام بعد عام، ألم يحن الوقت لتلك النوعية من الزواجات لتتماشى مع رؤية 2030؟

مقال

عصر الاقتصاد البنفسجي..

قراءة سوسيولوجية لواقع التنمية الحضرية.

أماني بنت عبدالله أبو زاهرة

مشهد بسيط: في ساعة متأخرة من مساء صيفي، بين الأزقة الضيقة في إحدى المدن العتيقة بشمال إفريقيا حيث الجدران مطلية حديثًا بلون كلسي ناصع، واللافتات الخشبية الأنيقة تتدلى فوق أبواب كانت بالأمس القريب دكاكين عطارين وحدّادين، فإذا بها اليوم مقاهٍ صغيرة تقدم القهوة المختصة، ومحلات لبيع الحرف اليدوية بالعملة الصعبة. على عتبة دار قديمة استحيلت إلى نزل تراثي تجلس سيدة سبعينية على كرسي بلاستيكي، تنظر إلى المارة من السياح وكأنها تنظر إلى مشهد لا يعنيها! حين يسألها أحدهم عن جيرانها القدامى، تجيب بنبرة محايدة: «رحلوا كلهم، باعوا ورحلوا». في تلك اللحظة، يفهم أن ما يجري ليس مجرد ترميم معماري، بل عملية أعمق وأشد التباسًا تستحق أن تساءل سوسيولوجيًا.

هذا المشهد المختزل هو تعريف بسيط لما يعرف اليوم بـ «الاقتصاد البنفسجي»؛ ذلك التوجه الذي يدمج البعد الثقافي في صلب العملية الاقتصادية. فالسؤال السوسيولوجي المركزي هنا لا يقف عند حدود التقييم الاقتصادي للمشاريع، بل يمتد إلى استجواب من يملك الحق في تعريف المدينة، ومن يملك الحق في البقاء فيها. إن المدينة - كما علّمنا الفكر السوسيولوجي النقدي - ليست مجرد تجمع لمبانٍ وشوارع وبنى تحتية، بل تشكّل مادي للعلاقات الاجتماعية. المدينة نصوص حجرية/اسمنتية تحكي قصة من يهيمن ومن يهمّش؛ فالحق لسكان المدينة في إنتاج فضائها لا في مجرد استهلاكه، أي تأسيس الحياة الحضرية على قاعدة المشاركة والإبداع الجماعي، لا التسليع والإقصاء. هذا التأطير يضعنا أمام معضلة حقيقية حين نتأمل ما يفعله الاقتصاد البنفسجي في النسيج الحضري التقليدي: فهو يعد بإعادة الاعتبار للثقافة المحلية بوصفها رأسمالًا، لكنه في الآن ذاته يضع هذه الثقافة في يد قوى السوق فيعيد توزيع حقوق الانتفاع بالفضاء لصالح من يملك القدرة الشرائية على «استهلاك» الأصالة. وهنا يلوح التناقض؛ فالاقتصاد البنفسجي هو الاقتصاد الذي يسهم في التنمية المستدامة عبر تثمين الإمكانات الثقافية للسلع والخدمات، أي أن الثقافة ليست ترفًا فوقيًا يضاف إلى التنمية، بل ركيزة رابعة تقف إلى جانب الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. لكن أيّ ثقافة؟ ولصالح من؟

حين ننتقل من التنظير إلى الميدان، يبرز التوسع الذي يضيفه الاقتصاد البنفسجي على مفهوم الاستدامة ذاته إلى ما يمكن تسميته «استدامة المعنى»: أي صون الرموز والذاكرة والحس بالمكان بوصفها موارد لا تستنزف بسهولة، لكنها قابلة للتآكل حين تهمل أو تساء إدارتها. في سياق التحليل، «بعد الروح»؛ هو ذلك العنصر الذي لا يقاس بالعدّاد البيئي ولا بمؤشر التنمية البشرية، لكنه يقرر في نهاية المطاف هل يشعر الإنسان في حيّه بأنه في بيته، أم بأنه ضيف عابر على ديكور أعدّ لغيره؟

حين تخضع الرموز الثقافية لمنطق التسليع حيث تفرغ تدريجيًا من حمولتها الاجتماعية الأصلية وتعاد تعبئتها كصور قابلة للاستهلاك، ترتفع القيمة ويستبعد من لا يستطيع الدفع. ثمة في عالمنا العربي مدن عتيقة، تعدّ من بين أعرق الحواضر الإسلامية، خضعت في العقود الأخيرة لمشاريع طموحة لإعادة التأهيل، موّلت أحيانًا بشراكات دولية ومنظمات تُعنى بصون التراث فتصبح المدينة متحفًا مفتوحًا كجسد بلا ذاكرة، تعمل حواسه لكنه لا يتذكر اسمه. ظاهر المشاريع نبيل: إنقاذ نسيج معماري مهدد بالانهيار، وتثمين حرف يدوية في طور الاندثار، وإعادة الحياة إلى دروب أنهكها الإهمال، غير أن باطنها يحمل سؤالًا مؤرقًا؛ ففي عدد من هذه المدن، تبين أن ارتفاع قيمة العقار بعد الترميم دفع الأهالي الأصليين، وهم في الغالب من ذوي الدخل المحدود، إلى البيع والرحيل نحو الأطراف، لتحلّ محلهم استخدامات سياحية ونزل وفنادق صغيرة وملكيات لمستثمرين أجانب أو لطبقة وسطى عليا. النسيج المعماري أنقذ، أما النسيج البشري فقد جرى استبداله.

في هذا السياق، يجدر التفريق بين ترميم يحافظ على النسيج المجتمعي وآخر يستبعد أهله. الأول يأخذ السكان شركاء في إنتاج المعنى ويصون حقهم في البقاء عبر آليات اقتصادية مرافقة (سكن اجتماعي مدمج، حوافز للحرفيين الأصليين، ضبط لأسعار الإيجار في النسيج التاريخي). الثاني يكتفي بترميم الحجر ويتركه عرضة لمنطق السوق، فينتهي بالنتيجة المعهودة. يقودنا هذا إلى ما هو أكثر التباسًا في النقاش حول الاقتصاد البنفسجي: «الاستدامة العاطفية» للمكان. إن رفاهية الإنسان لا تقاس بالمتر المربع من المسطح الأخضر للفرد، ولا بعدد محطات النقل الجماعي قرب مسكنه فحسب، بل تقاس أيضًا بمدى شعوره بأن المدينة تعرفه ويعرفها، بأن لها ذاكرة يحتلّ هو فيها موضعًا. حين تعاد هندسة الحي بحيث تتلاشى المعالم الصغيرة التي كانت تشكل خرائط ذهنية للأهالي كالدكان الذي يعرف زبائنه بأسمائهم، المقعد الحجري عند المسجد، الشجرة التي يلتقي تحتها الجيران، فإن ما يفقد ليس عناصر جمالية، بل بنية انتماء. على أن النقاش حول الاقتصاد البنفسجي يظل ناقصًا ما لم يتم تناول الحي ليس بوصفه بنية تحتية فحسب، بل مسرحًا لحياة جماعية. هل مشروع تنمية حي حضري سيحتمل لعب الأطفال وحديث الجارات، أم سيصبح ممرًا لجر الحقائب السياحية؟ فالرأسمال الاجتماعي بلغة بيير بورديو هو مجموع الموارد الفعلية أو الكامنة المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من العلاقات المؤسسة على المعرفة والاعتراف المتبادلين، فلا ينتج بمرسوم ولا يشترى بميزانية، بل يتراكم عبر زمن طويل من المجاورة

والتعـارف والتعاضد. كذلك، حتى لا يبقى الخوف من أن تحفظ القوقعـة، ويفقد المعنى، فمن الضـروري التفكير - إلى جانب اقتصاد الإنتاج - في اقتصاد للحفاظ على شـروط إنتاج المعنى ذاته، وهو ما لا يتحقق إلا ببقاء حاملي هذا المعنى — أي السكان — في أماكنهم. فالاقتصاد البنفسجي هو فتح إمكانات حقيقية لإعـادة الاعتبار للثقافة، وللحرف، وللذاكـرة، وللعلاقة الحميمة بالمكان؛ لكنه يفتح في الآن نفسـه أبوابًا خلفية للإقصاء حين يتـرك لمنطق السـوق وحده. الفـارق لا تصنعه الشـعارات، بل تساهم في صنعه السياسات الاقتصادية والاجتماعية المرافقة: من يمثّل في عملية التخطيـط؟ كيف توزع المنافع الاقتصادية المتولـدة عن المشـاريع؟ مـا الآليات التي تضمن بقاء النسـيج البشري الأصلي شريكًا لا متفرجًا؟ هل هناك سياسة سكن تحمي الفئات الهشة من ضغط ارتفاع الأسعار في النسيج المرمم؟

فلمن تصنع هذه الروح التي يتحدث عنها الاقتصاد البنفسـجي؟ إن كانت تصنع للسـكان الأصليين، فلا بـد أن يكونوا في قلب القـرار وفي قلب المنافع، وإن كانـت للزائر الأجنبي القادم بحثًا عـن أصالة معدّة سـلفًا، فإننا نتحدث عن صناعة اسـتهلاكية أخـرى، أكثر رهافة في مظهرها، وأكثر قسـوة في أثرها! ولعل مـن المفيد، في هـذا المقام، أن نسـتحضر تمييـزًا اصطلاحيًا دقيقًـا بيـن «التراث الحـي» و«التـراث المتحفـي». الأول يحيل إلى نسـيج اجتماعي ثقافي تسـتمر فيـه الممارسـات اليومية للأهالـي بوصفها هي ذاتها التراث، حيث يكون المسـجد مكانًا للصلاة لا موضوعًا للجولة الإرشـادية، والسوق فضاءً للمقايضة الحقيقية لا واجهة للتسـوق الحنيني. أمـا الثاني فيحول المكان إلـى صورة عن نفسـه، جامدًا رغم بريقه، حيـث تتقن المدينة أداء دور المدينـة دون أن تكونهـا. الاقتصـاد البنفسـجي، في تجلياتـه الأكثر التباسًـا، يميل رغم نواياه المعلنـة إلى الانزلاق نحو القطب الثاني، لأن السوق يفضل دائمًا ما هو قابل للتأطير والتسـعير على مـا هو فوار وحـرّ ومتناقض. لهـذا، فالمعركة السوسيولوجية الحقيقية لا تدور حول قبول الاقتصاد البنفسجي أو رفضه، بل حول الشـروط التي تحفظ للتراث حياته خارج إطار العرض. هي دعوة إلى تخطيط ينظر إلى المدينة بوصفها كائنًا حيًا ذا ذاكرة، لا بوصفها مادة قابلة للتشـكيل وفق آخر صيحات السـياحة الثقافية. تخطيط يفهم أن الجمال الحضري لا ينفصل عن العدالـة الحضرية، وأن أجمل واجهـة مرممة تفقد معناها حين يكون من رمّمها قد هجّر من سكنها.

فالمهمة السوسـيولوجية هنا مهمة نقديـة بالمعنى العميق: اسـتجواب الخطابات واسـتنطاق ما تخفيه الكلمات الناعمة من إعادة ترتيب لتوازنات القوة، والإصغاء قبل كل شيء إلى أصوات أولئك الذين لا يكتب عنهم في الكتيبات الترويجية للمشـاريع: الحرفـي الـذي لم يعد يسـتطيع دفع إيجار محلـه، الأرملة التي باعـت بيـت العائلة لتسـكن الضواحي، الطفل الـذي صار حيه القديـم متحفًا يزوره ولا يلعب فيه. هؤلاء هم الميزان الحقيقي لأي تنمية حضرية تستحق اسمها.

وتبقى الأسئلة مفتوحة، ولعلها ستظل كذلك طويلًا. هل يمكن لمدينـة أن تتجدد دون أن تخـون ذاكرتها؟ هل يمكن لاقتصاد أن يكـون ثقافيًا حقًـا دون أن يحول الثقافـة إلى بضاعة؟ هل يمكن للروح أن تخطط، أم أنها كالطائر إذا أمسـكناه قويًا مات بين أيدينا؟

الموت مع الجماعة رحمة

لا ريب

عبدالله الكعيد*

شـخّص الطبيب والمؤرخ الفرنسي جوسـتاف لوبون (1841-1931) في كتابه الشهير سيكولوجية الجماهير المنشـور عام 1895 سـلوك الأفراد عندما يلتحقون بالحشـود إذ يندمج الفـرد منهم فـي الجماعـة ويفقد القـدرة علـى التفكيـر المُسـتقل ويُسيطر عليه حينها سلوك القطيع.

لنتـرك المسـيو لوبـون جانبـا ونسـتعرض المقولة المحلية (الموت مع الجماعة رحمة) التي أراها تقال خارج سياقها المنطقي. فمن ذا الذي يود أن يموت سـواء لوحده أو مع جماعة هذا أولاً. ثانيا هل كل موت رحمة؟ نعـم هنالك المريض الذي يتوجع ولا يُرجى برؤه إلا أن يشـاء اللّه ففـي هذه الحالـة يتمنى محبوه أن يرتـاح فيصبح موته رحمـة لـه. أيضا عبارة " أخيـراً أطلق عليـه رصاصة الرحمة" ويُقصـد بها الطلقة التي تُنهي معاناة حيوان يحتضر ولا أمل فـي نجاته أو القدرة علـى الحد من معاناتـه. إنما أن يعتقد أحدهـم أن الموت مع الجماعة لأي سـبب كان رحمة له فهنا مكمن الغرابة والتساؤلات؟

أليس مـن الأولى القول بـأن (الحياة) مع الجماعـة المتآلفة، المتآخيـة، التي يُحـب بعضهم بعضا هي الرحمـة الحقيقية؟ أعني إشاعة ثقافة الحياة بدلاً من بؤس الموت.

لـو نظرنا الى العبارة مـن زاوية إيجابية فقـد تكون مقبولة إلـى حدٍ ما كأن يقول أحدهـم " إذا كانت المصيبة عامة فإن تحملها مع الآخرين أهون من أن أواجهها وحيداً" لكن أن يرى الجماعـة تتجه نحـو الهاوية ولا بد من تعطيـل غريزة النجاة لمشـاركتها وجدانياً فهذا هو الانتحـار الخفي. قد يقول قائل بـأن عبـارة (الموت مع الجماعـة رحمه) يُقصـد بها ترويض الخـوف الداخلـي فمشـاركة الآخريـن فـي مواجهـة المصيـر الأصعـب يعنـي قطـع دابـر التـردد والاقـدام مـع البقيـة وهذا أيضـا يُلغي القـرار الآحادي للفـرد وتصبح الجماعة صاحبة القرار النهائي.

أخيراً أقول: لا ريب بأن معظم الثقافات تعتبر الانسـان الفرد حُـراً في قراراته ولا تقاس تلك الحرية بقدرته على مشـاركة الآخرين المصير، بل أيضا بقدرته على تغيير ذلك المصير حين يكون بالإمكان تغييره (لا أتحدث هنا عن الأقدار المكتوبة).

* لندن

الفن السابع

من وحي الجزء الأخير من مسلسل «مئة عام من العزلة»..

حين تمطر السماء كي تنسى الأرض.

خلف سرحان القرشي

أحيانًا لا يأتي المطر ليغسل الأشياء، بل ليمحوها.
هذه الفكرة ظلت ترافقني وأنا أشاهد الجزء الثاني والأخير من مسلسل " مئة عام من العزلة ". لم أر المطر الذي انهمر على ماكوندو مجرد طقس غريب يليق بعالم غابرييل غارسيا ماركيز، ولا واحدًا من عجائب الواقعية السحرية التي التصقت باسمه.
كان هناك شيء آخر.
شيء جعلني أشعر، مع استمرار المطر، أن السماء نفسها تساعد الأرض على النسيان.
وربما بدأت الحكاية عندي قبل المطر بقليل، مع شركة الموز.
دخل الغرباء إلى ماكوندو، ودخل معهم عالم جديد: العمل والمال والقطارات والوعود، ومعها سلطة لا تشبه سلطة أهل البلدة. تغير المكان سريعًا، كما تتغير المدن حين يأتيها من يملك المال ويعرف ماذا يريد منها أكثر مما يعرف أهلها ماذا يريدون هم.
ثم احتج العمال.
واجتمعوا.
ثم وقعت المذبحة.
ولا أعرف إن كانت المذبحة نفسها هي أكثر ما أزعجني في هذه الحلقات، أم ما حدث بعدها.
يعود خوسيه أركاديو الثاني وهو يعرف ما رآه. لم يسمع الحكاية من أحد. كان هناك. رأى الناس مجتمعين، ورأى الرصاص والموت والجثث. ثم يعود ليجد عالمًا يقول له، ببساطة مخيفة:
لم يحدث شيء.
هنا تذكرت العبارة التي تتكرر كثيرًا: التاريخ يكتبه المنتصرون.
لا أعرف إن كانت صحيحة دائمًا. فالمنتصر لا يكتب التاريخ وحده بالضرورة، لكن المؤكد أنه يمتلك قدرة أكبر على تحديد ما الذي سيبقى منه، وما الذي سيختفي. أي رواية ستصل إلى الناس، وأي رواية ستدفن مع أصحابها.
وتذكرت عبارة لإبراهيم نصر الله توقفت عندها منذ سنوات، وأظن أنني لم أنسها لأنها مست شيئًا أخشاه أنا أيضًا. يقول على لسان بطلة روايته " أعراس آمنة "، وهي تخاطب غسان كنفاني:
" أتعرف يا غسان مصير الحكايات التي لا نكتبها؟ إنها تصبح ملكًا لأعدائنا. هذا ما أخافني، ولم يزل يخيفني".
وأحسب أن ما حدث في ماكوندو هو هذا تقريبًا.
لم يكن يكفي أن يموت الناس.
كان ينبغي أن تموت حكايتهم أيضًا.
أن تختفي الجثث، ثم تختفي الواقعة من الكلام، ثم يأتي من يقول لمن نجا منها إنه يتوهم.
وهنا يصبح محو الحكاية جزءًا من المذبحة نفسها.
وربما لهذا أخافني الإنكار أكثر من الرصاص. فالقتيل الذي بقيت حكايته موجودة لم يختف تمامًا، أما حين يقتل الإنسان ثم تنتزع منه حكايته، فثمة موت آخر يحدث بعد الموت.
ثم يبدأ المطر.
ويطول.
ويطول أكثر مما ينبغي.
وهنا بالذات شعرت أن ماركيز يفعل شيئًا قاسيًا وعجيبًا. الماء الذي يفترض أن يغسل الأشياء بدا لي كأنه يغسل آثارها. الشوارع، الأمكنة، الوجوه، وربما الذاكرة نفسها.
تمطر السماء فوق ماكوندو حتى تكاد الأرض تصدق أخيرًا أنه لم يحدث شيء.
لكن خوسيه أركاديو الثاني يتذكر.
شخص واحد يقول في داخله:
لا. حدث هذا.
وربما لا يملك أكثر من ذلك.
لكن بعد عبارة إبراهيم نصر الله لم يعد هذا قليلًا في نظري.
أن تتذكر حين يريد الآخرون منك أن تنسى، فعل مقاومة أيضًا.
وماكوندو نفسها كانت تتغير.
من تابع المسلسل منذ بدايته يعرف أن هذه ليست البلدة التي دخلناها أول مرة مع آل بوينديا.
كانت يومها مكانًا صغيرًا، طريًا إن صح التعبير، كأن العالم لم يصل إليه بعد. ثم جاء الغجر، والحروب، والسياسة، والقطار، والشركات،

والغرباء.
وفي كل مرة كانت ماكوندو تدخل زمنًا جديدًا، كانت تترك شيئًا من نفسها في الزمن القديم.
حتى البيت.
بيت آل بوينديا لم يعد كما كان.
وهذا مما أحببته في المعالجة البصرية للمسلسل. فالبيت لم يكن ديكورًا تتحرك داخله الشخصيات. عشنا معه تقريبًا كما عشنا مع أفراد العائلة. امتلأ بالأطفال والأصوات والولادات والموت والحب والخصومات، ثم بدأ يهدأ.
غرفة بعد أخرى.
باب بعد آخر.
بعض الذين كانوا يملأون المكان صاروا أسماء. وبعض الأشياء بقيت في مواضعها بعد أن رحل أصحابها.
وأحيانًا تموت البيوت بهذه الطريقة.
لا تسقط جدرانها، لكن الحكايات التي كانت تجعلها حية تتناقص.
حتى الطبيعة بدأت تستعيد ما أخذ منها. الرطوبة، والنبات، والمطر، والخراب البطيء. كأن ماكوندو لم تكن مدينة خالدة كما توهم أهلها، بل استراحة طويلة للطبيعة قبل أن تسترد أرضها.
وثمة شيء آخر ظل يطارد آل بوينديا أكثر من الموت نفسه:
التكرار.
الأسماء تعود.
أوريليانو يعود.
وخوسيه أركاديو يعود.
والرغبات والأخطاء والعزلات تعود هي الأخرى.
وكأن الأسرة قادرة على إنجاب أجيال جديدة، لكنها عاجزة عن إنجاب مصير جديد.
ربما كانت هذه هي "المئة عام" الحقيقية.
ليست عددًا نحسبه في التقويم، بقدر ما هي دائرة لا يعرف أصحابها كيف يخرجون منها.
وفي لحظة ما وجدتني أسأل:
ألم يتعلم أحد؟
ثم فكرت أن السؤال نفسه قد يكون جزءًا من الحكاية. نحن أيضًا نكرر ما فعله الذين سبقونا، مع أننا نعرف قصصهم. نغير الأسماء والأماكن والملابس، وربما نظن أن حكايتنا جديدة تمامًا.
ثم نكتشف أننا نسير في الطريق نفسه.
وحين يصل أوريليانو بابيلونيا أخيرًا إلى مخطوطات ملكيادس، تصبح الحكاية أغرب.
يقرأ تاريخ أسرته.
ثم يكتشف، شيئًا فشيئًا، أنه لا يقرأ الماضي وحده.

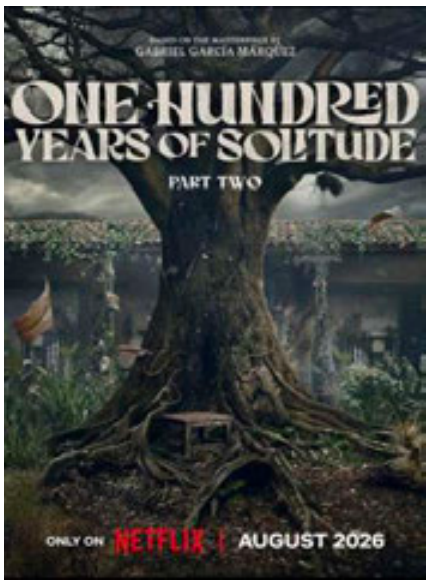

إنه يقرأ نفسه.
وهذه من اللحظات التي كنت أنتظر كيف ستتعامل معها الشاشة.
ففي الرواية يستطيع ماركيز أن يجعل القراءة نفسها حدثًا هائلًا.
أما السينما، فماذا تفعل برجل جالس أمام مخطوطة؟
الحل جاء جميلًا.
صار ما يقرأه أوريليانو وما يحدث حوله شيئًا واحدًا.
هو يقرأ، والبيت ينهار.
يقرأ، وماكوندو تنتهي.
والكلمات تقترب منه حتى يصل إلى اللحظة التي يقرأ فيها مصيره هو.
كأن الحكاية سبقته إلى حياته.
ثم تأتي الريح.
ولا تهدم بيتًا فقط.
تمحو ماكوندو.
لكنني، بعد انتهاء الحلقة، بقيت أفكر في شيء يبدو متناقضًا.
إذا كانت ماكوندو قد محيت فعلًا، فلماذا أعرفها أنا؟
لماذا أعرف بيت آل بوينديا؟ وأورسولا؟ وأوريليانو؟ والمطر؟ وشركة الموز؟ والمذبحة التي قيل إنها لم تقع؟
لقد انتهت المدينة داخل الحكاية، لكنها بقيت بسبب الحكاية.
وهذا غريب وجميل.
ماركيز محا ماكوندو في الصفحة الأخيرة، ثم جاء أناس بعد عقود وبنوها من جديد من أجل مسلسل. أقاموا البيوت، ومدوا الشوارع، وأعادوا آل بوينديا إلى الحياة، وأنزلوا المطر مرة أخرى، ووقعت المذبحة أمام ملايين لم يكونوا قد ولدوا حين كتب ماركيز روايته.
فمن انتصر إذن؟
الريح أم الحكاية؟
لا أعرف إن كان الأدب يستطيع أن ينصف المهزومين. ربما هذه مهمة أكبر من الأدب، ولا أحب أن نحمله ما لا يحتمل.
لكنه يستطيع شيئًا آخر.
يستطيع أن يترك شاهدًا.
أن يحفظ صوتًا كان يمكن أن يضيع.
أن يقول بعد سنوات طويلة إن أناسًا مروا من هنا، وإن شيئًا حدث لهم، حتى لو قال التاريخ الرسمي غير ذلك.
وهنا عدت مرة أخرى إلى عبارة إبراهيم نصر الله، وفهمت لماذا أخافتني حين قرأتها أول مرة:
الحكايات التي لا نكتبها قد تصبح ملكًا لأعدائنا.
وربما لا تستطيع الحكاية أن تهزم المنتصر.
لكن يكفيها، أحيانًا، أن تمنعه من أن يكون الراوي الوحيد.

سينما

بين التمثيلية والفيلم..

من تسجيل الحكاية إلى صناعتها.

سعد أحمد ضيف
@saadblog

في أواخر القرن الماضي كان المشاهد العربي يمارس طقساً مسائياً مألوفاً؛ يجلس أمام شاشة التلفاز ليتابع «تمثيلية سهرة» في حلقة واحدة. كانت تلك الأعمال تنتمي إلى تقاليد درامية جعلت من الحوار وسيلة أساسية لبناء الحكاية وتفسير دوافع الشخصيات وتوضيح مسار الأحداث. ممثلون يقفون في فضاء محدود يتبادلون حوارات طويلة، وتأتي الموسيقى التصويرية أحياناً لتؤكد الانفعال وتعلن عن لحظة التوتر أو التحول.

في المقابل كان المشاهد في دار السينما يدخل إلى تجربة مختلفة في طبيعة التلقي قبل أن تكون مختلفة في حجم الشاشة. القاعة المعتمة تعزل المشاهد مؤقتاً عن عالمه، والشاشة الكبيرة تمنح التفاصيل والفضاء والحركة والصمت وزناً لا يمكن أن تمنحه شاشة منزلية بالطريقة ذاتها. هنا لا تأتي الحكاية من الكلام وحده؛ فقد تستطيع نظرة أو حركة يد أو باب مغلق أو مساحة فارغة داخل الكادر أن تقول ما تعجز عنه صفحة كاملة من الحوار.

من هنا يبدأ الفرق الحقيقي بين الفيلم السينمائي والتمثيلية التقليدية: ليس في حجم الشاشة، ولا في حجم الميزانية، ولا حتى في نوع الكاميرا، وإنما في الطريقة التي تُبنى بها الحكاية، وفي توزيع الأدوار بين الكلمة والصورة والفضاء والزمن. فالفيلم لا يكتفي بأن يخبرنا بما يحدث، وإنما يستطيع أن يجعلنا نراه ونشعر به ونستنتجه من تفاصيل قد لا تنطق بها الشخصيات.

من أهم مبادئ اللغة السينمائية أن تمنح الصورة قدرة على قول ما يمكن للكلمة أن تشرحه. حين يحزن شخص في التمثيلية التقليدية، قد يخبر الآخر عن حزنه، أو يدخل في مونولوج يشرح ما حدث وما يشعر به. أما السينما فيمكنها أن تترك الحزن في وجهه، في طريقة جلوسه، في صمته، في المكان الذي يحيط به، أو في المسافة التي تفصل بينه وبين شخص آخر. ليست المسألة أن السينما ترفض الحوار، فقد صنعت أفلاماً عظيمة تقوم على الحوار، وإنما أن الصورة في السينما تستطيع أن تكون طرفاً أصيلاً في عملية السرد، لا مجرد خلفية للكلام.

تأمل بعض السهرات الدرامية الخليجية والمصرية القديمة؛ غالباً ما كانت القضية الدرامية تُشرح عبر الحوار: هذا يقول ما حدث، وذاك يفسر موقفه، ثم يكشف طرف ثالث معلومة جديدة تدفع الأحداث إلى الأمام. ولو أخذنا الفكرة نفسها إلى فيلم سينمائي، فإن المخرج يستطيع أن يبحث عن أثر الحدث بدلاً من شرحه. الخلاف بين شخصين، مثلاً، يمكن أن يظهر في يد تتردد قبل أن تمتد للمصافحة، أو في كرسي ظل فارغاً، أو في شخصين يجلسان في طرفي غرفة واحدة دون أن ينظرا إلى بعضهما. البيت نفسه يمكن أن يصبح حاملاً للذاكرة، والنافذة يمكن أن تصبح حدوداً بين الداخل والخارج، والظلام المحيط بالشخصية يمكن أن يضاعف شعورها بالعزلة.

في «الأرض» ليوسف شاهين، لا تأتي قوة العالم الريفي من الحوار وحده؛ الأرض والجسد والحركة والجماعة والطبيعة تشارك في إنتاج المعنى. وفي «بس يا بحر» لخالد الصديق، يصبح البحر أكثر من خلفية للأحداث؛ إنه فضاء يفرض حضوره على الشخصيات ومصائرها. البحر هنا جزء من الدراما، مثلما أن الأرض في فيلم شاهين جزء من الصراع وليست مجرد مكان تجري فيه الأحداث.

وهذا ما يميز العين السينمائية حين تنظر إلى المكان. الكادر في الفيلم لا يقتصر على الشخص الذي يتحدث. ما يوجد خلفه وإلى جواره وفوقه وتحته يمكن أن يدخل في السرد. الباب، النافذة، الجدار، الطريق، البحر، الصحراء، الظل، الضوء، والمسافة بين شخصية وأخرى؛ كلها عناصر قابلة لأن تحمل معنى. في كثير من التمثيليات التلفزيونية التقليدية، كان المكان يؤدي وظيفة أكثر مباشرة: مساحة تستوعب الممثلين وتتيح لهم الحركة والحوار. لذلك كانت اللقطات المتوسطة والقريبة مناسبة لطبيعة الأداء، بينما بقيت الخلفية في أحيان كثيرة إطاراً للمشهد.

أما في السينما، فإن الكادر يمكن أن يصبح فضاءً درامياً مستقلاً. قد يقف الممثل في جانب صغير من الصورة، بينما يحتل المكان معظم الكادر. وقد تكون المسافة بين الشخصية والآخر أهم من الحوار الذي يدور بينهما. وقد تقول الخلفية شيئاً عن الشخصية قبل أن تتكلم. الصورة السينمائية لا تسجل المكان فقط؛ إنها تعيد تفسيره.

والضوء هنا ليس مجرد وسيلة لإظهار الممثلين. فالضوء والظلام والظلال والتباين اللوني يمكن أن تؤسس مزاجاً نفسياً، أو تكشف علاقة الشخصية بالمكان، أو تمنح المشهد دلالة لا تحتاج إلى تفسير مباشر. كذلك فإن عمق الميدان وحركة الكاميرا وحجم اللقطة يمكن أن تصبح جزءاً من عملية السرد. لهذا فإن الفرق لا يتعلق بجمال الصورة وحده؛ فالصورة الجميلة قد تكون فارغة من المعنى، بينما قد تكون الصورة البسيطة شديدة الكثافة إذا كانت عناصرها موظفة داخل البناء الدرامي.وتفرض بيئة المشاهدة نفسها على هذه اللغة. المشاهد التلفزيوني التقليدي كان يجلس في غرفة معيشة، حوله أفراد الأسرة وأصوات المنزل ومصادر متعددة للتشتيت. ولهذا نشأت تقاليد تلفزيونية تميل

إلى الوضوح والتأكيد والتكرار والحوار والموسيقى، بما يساعد المشاهد على متابعة الحكاية حتى مع انقطاع انتباهه للحظات.

أما صالة السينما فتضع المشاهد في حالة مختلفة: ظلام، وشاشة كبيرة، وصوت محيطي، وجلوس متواصل أمام عمل واحد. هذه البيئة تمنح المخرج مساحة أكبر لاستخدام الصمت والبطء والتفاصيل والانتقال بين مستويات الزمن والإيقاع. يستطيع أن يترك الشخصية صامتة لثوان طويلة، وأن يجعل المشاهد ينتظر، وأن يسمح للفراغ بأن يصبح جزءاً من التجربة.

ومن هنا يصبح المونتاج أكثر من مجرد وسيلة للانتقال من لقطة إلى أخرى؛ إنه طريقة للتفكير. قد تقطع السينما من وجه إلى مكان، ومن حاضر إلى ماض، ومن فعل إلى نتيجة، وقد تترك لقطة أطول مما يتوقع المشاهد حتى يصبح الزمن نفسه جزءاً من المعنى. وفي التمثيلية التقليدية، كان المونتاج في كثير من الأحيان أكثر ارتباطاً بتنظيم الحوار وتبادل اللقطات بين الشخصيات، بينما يستطيع القطع السينمائي أن يخلق فكرة أو إحساساً أو علاقة بين صورتين لا يجمعهما المكان أو الزمن.

وهذا يقودنا إلى الكتابة. السيناريو السينمائي لا يكتب فقط ما تقوله الشخصيات، وإنما يكتب أيضاً ما يمكن أن نراه. الكاتب السينمائي الجيد لا يسأل دائماً: ماذا ستقول الشخصية؟ بل يسأل: ماذا يمكن أن تفعل؟ ماذا يمكن أن نرى منها؟ وما الذي يمكن أن يظل مخفياً؟ قد يكون الصمت في مشهد ما أكثر دلالة من اعتراف طويل. وقد تكون حركة شخصية نحو الباب أهم من الجملة التي كانت ستقولها قبل مغادرتها. وقد يعرف المشاهد من سلوك الشخصية ما لا تعرفه الشخصيات الأخرى. وهنا تظهر واحدة من الفوارق المهمة بين الحكاية التي تشرح نفسها والحكاية التي تترك للمشاهد مهمة اكتشافها.

الفيلم لا يفترض بالضرورة أن يكون غامضاً، لكنه يستطيع أن يمنح المتلقي مساحة للمشاركة. وكلما استطاعت الصورة أن تحمل جزءاً من المعنى، أصبح المشاهد شريكاً في إنتاجه، لا مجرد متلقٍ لمعلومات تقدم إليه بالتتابع. السينما لا تمنح المشاهد الإجابة دائماً؛ أحياناً تمنحه العلامة، وتترك له مهمة الوصول إلى الإجابة.

ومع التحول إلى منصات البث الرقمي، تداخلت الحدود القديمة بين السينما والتلفزيون بصورة واضحة. أصبحت المسلسلات تستخدم لغة بصرية متقدمة، وأصبحت بعض الأعمال التلفزيونية تُصوّر وتُضاء وتُمنتج بعناية سينمائية عالية، في الوقت الذي أصبحت فيه بعض الأفلام تعتمد على الحوار بصورة مكثفة. لذلك لم يعد من الدقة القول إن التلفزيون هو الحوار والسينما هي الصورة. السؤال الأكثر أهمية أصبح: كيف يستخدم العمل الصورة والكلمة؟

يمكن لفيلم أن يكون حوارياً جداً، ومع ذلك يظل سينمائياً بامتياز، إذا كان الحوار جزءاً من بناء بصري وزمني متكامل. ويمكن لعمل آخر أن يكون مصوراً بأحدث الكاميرات، وبصورة فائقة الجودة، لكنه يظل في جوهره أقرب إلى تمثيلية تلفزيونية إذا كانت الصورة فيه تؤدي وظيفة تسجيل الحوار فقط.

وهنا يصبح السؤال أكثر أهمية في التجربة السينمائية السعودية. فقد شهد الإنتاج السينمائي السعودي تطوراً سريعاً، وازدادت القدرة على صناعة الأفلام وفق معايير إنتاجية وتقنية حديثة. لكن التطور التقني وحده لا يصنع بالضرورة لغة سينمائية. فقد يُكتب العمل بطريقة تعتمد على شرح الشخصيات لمشكلاتها، وتفسير ماضيها، والإفصاح عن دوافعها، ثم تُصوَّر المشاهد داخل أماكن محدودة، وتتناوب الكاميرا بين وجه المتحدث ووجه المستمع، وتُستخدم الموسيقى لتأكيد الانفعال، بينما لا تضيف الصورة شيئاً جوهرياً إلى ما يقوله الحوار.

في هذه الحالة قد يكون لدينا فيلم من حيث الشكل الإنتاجي، لكنه يقترب في منطقه الداخلي من التمثيلية. وهنا لا يتعلق الأمر بجودة الممثلين أو جمال الصورة أو مستوى التقنيات المستخدمة، وإنما بالسؤال الأعمق: هل الفيلم يفكر بالصورة، أم يستخدم الصورة لتسجيل ما تقوله الشخصيات؟

الفيلم السينمائي لا يصبح سينمائياً لمجرد أنه صُوّر بكاميرا سينمائية، أو عُرض على شاشة كبيرة، أو حمل عنواناً سينمائياً. السينما تبدأ حين تصبح الصورة قادرة على أن تفكر وتحكي وتشعر إلى جانب الشخصية، لا حين تكتفي بتسجيل ما تقوله الشخصية.

وربما يكون هذا هو الاختبار الحقيقي أمام الفيلم السعودي اليوم: هل ننتج أفلاماً تستخدم التقنيات السينمائية، أم ننتج أفلاماً تفكر باللغة السينمائية نفسها؟

فالانتقال من التمثيلية إلى الفيلم لا يحتاج فقط إلى كاميرا أفضل، أو إضاءة أجمل، أو ميزانية أكبر. يحتاج قبل ذلك إلى تغيير في طريقة النظر إلى الحكاية؛ أن نثق بالصورة أكثر، وأن نمنح المكان حقه في السرد، وأن نترك للممثل مساحة للصمت، وأن نعرف متى يكون الحوار ضرورياً، ومتى يصبح عبئاً، وأن ندرك أن بعض الأشياء التي لا تقولها الشخصية قد تكون، سينمائياً، أكثر أهمية مما تقوله.

فالتمثيلية تحكي لنا ما يحدث، أما السينما فتمنحنا فرصة أن نراه، وأن نكتشف ما يحدث داخل الصورة بأنفسنا.

المرسم

أحمد فلمبان

الفنان البرتو جياكوميتي ..

الوجه الآخر للحداثة.

جاكومتي" نحَّات ورسَّام ومصوِّر وحفَّار، فرنسي، السويسري الأصل، وُلد عام 1901م في سهل "دي بريجاليا" شمال إيطاليا، من اسرة فنية، فوالده المصوِّر الانطباعي "جيوفانّي جاكومتي" وابن عمّ الدادائي "أوغوستو جاكومتي"، وفي عام 1919م أنهى "ألبرتو جاكومتي" دراسته في جنيف، وأقام بعدها فترة في إيطاليا، وفي عام 1922م استقر في باريس، وتتلمذ عند النحات الفرنسي "أنطوان بوردل"، وصبّ اهتمامه في تعابير الوجه الإنساني والجسد، ظهرت في أعماله النحتية Le couple، و"امرأة مِلْعَقَة"، وبعد لقائه بالأديبين الفرنسيين آراغون وبروتون، تأثَّر بالسريالية، ونحت في هذه الفترة، "الكرة المعلقة" و"القصر في الساعة الرابعة"، ومن العام 1935م، بدأ ينحت تماثيل صغيرة، متطاولة الشكل تكاد تكون مسطحة ولا يحيط بها شيء، ومعالم غير واضحة، كأنه ظل إنسان يتحرك خلف الضوء، حيث يصير الوجه الصغير المنحوت نصباً ضخماً، وفي عامي 1935 و1940م، عمل منحوتات صغيرة لا تتجاوز طوله السنتمتر الواحد، وأرادت الأقدار أن تبقى للتاريخ خلال سنوات الحرب، بوجودها في علب أعواد الثقاب،

والتي شـــكّلت تركة فنية مهمة وإرثا خالدا أنتجته الحضارة الغربية على صعيد الفكر التشـــكيلي، بل تستحق أن تعتبرها تحفاً حضارية، وعلاماتٍ لواقع الزمـــن والحياة، وشـــاهدا بصريا لمعاناة الشعوب الأوروبية، تعكس قوة آثار الحرب وتدميرها وهلاكهـــا التي أحدقت بالحضارة الغربيـــة، أثناء الحرب العالمية الثانيـــة، وتعتبر أصدق مفهوم (للحداثة) بمعناه الحصري، بل تطوّرا في الفن، وهذا ما يثبت أثرهـــا العميق فـــي حقبتها وما بعدها واهتمَّام النقاد والفلاسفة والكتّاب والشـــعراء بتلك الأعمال بفرادتها، واعترفوا أنها تُجَسِّـــد نحتـــاً وتصويراً ورســـماً وحفراً، لخُلاصات فكرية ومنهجية ورؤية للواقع الإنساني، في سياق العمل الإبداعـــي، وعلى أهميـــة تعابير الوجه الإنساني وســـيماء الجسد داخل المنحوتة، لإثـــارة المتأمِّل عليهـــا وتحريضـــه لمعرفة، بأن (الفن تجربةٍ ذاتية وطابعاً شمولياً) حين تذوب داخـــل ميادين العلم والتكنولوجيـــا، لعملية التحديث المشترك بين المَسعيين العلمي والفنـــي، وأهميـــة التلاقي بين المنحوتة والشـــكلِ الميكانيكي، بوســـائط تقليدية مثل (الرسم، النحت، الحفر) غرضه منحه اللمحة الجمالية، تتخطـــى العمل الفني لحظة ابتكاره، وفي عام 1945م، بدأ يرسم بألوان أحادية لأشخاص معزوليـــن لا يحيط بهم شـــيء، وبعد ذلـــك راح "جاكومتي" يغير منحوتاته بشخصيات ثابتة، أقدامها ضخمة وكأنها مزروعة في الأرض متجذرة فيها وأجسادها مشدودة متطاولة، ثم نحت شـــخصيات في وضـــع حركي مثـــل "الرجل الذي يمشـــي" و"الرجـــل المترنّح"، وفـــي فترة لاحقة تأثّـــر بالحركة التكعيبية في بعض اعماله، بعد اتصاله بالنحات والرسام الفرنسي "هنـــري لورانس" والليتوانـــي "جاك ليبشـــيتز" لكن بعد ذلك ترك التكعيبية ولـــم تعجبه لأنه فن عبثي، واتجه للأعمال النحتية ذات التعابير السادية، كما يظهر في منحوتته "امـــرأة مذبوحة"، وفي عام 1946م، تأثر بفلســـفة الميتافيزيقيـــة، وكيف أن الموت يفرض نفسه في واقعه اليومي، فرســـم أعمالا، برؤيـــة مظاهر الحياة تحت أوجه الموت، والحركة تحت مظهر الثبات، وتنوع الواقع المعيشـــي تحت مظهر الإثباتية النهائيـــة، والتعدُّدية تحت مظهر الفرديـــة، وكأن كل مخلوقٍ يبدو لناظريه كائناً حياً ميتاً في آنٍ واحد، توفي في عـــام 1966م، وأقيم له في عام 1969م، معرضا ضم اكثر من 300 قطعة مـــن أعماله في النحت والتصوير والحفر الطباعي، في متحـــف "الأورانجوري" كانت حتى ذلـــك الحين مجهولة تقريباً. 452

مسافة ظل

خالد الطويل

ما لا تختصره الثَّلْمة.

اختصار الطرق سلوك نشأنا عليه. كنا نختصر طريقنا إلى مدرستنا الابتدائية بين البساتين مشيًا على الأقدام، عبر طرقات صغيرة، وأحيانًا نعبر بعض المزارع، فندخل من فتحة تسمى «ثَلْمة»، تكون عادة في الجدران الطينية. الاختصار والإيجاز يوفّران الوقت، لكنهما لا يصلحان في كل موضع ومقام. ومع ذلك، رسخت وسائل التواصل الاجتماعي فكرة الاختصار في أذهاننا بطريقة سلبية، حتى صرنا لا نحتمل دقيقة واحدة من الاستماع أو المشاهدة.

وبات كثيرون يتفننون في تقديم المعلومة مختصرة، وإن كان تفصيلها أمتع وأوفى للمعنى، فهل يصح ذلك دائمًا، ويُعدّ من فنون البلاغة؟ أم أننا فهمنا السالفة بطريقة خاطئة، وأن لكل مقام مقالًا؟

في جلساتنا، تلمس تأثر أحاديث الناس كذلك؛ فلا أحد يطيق الإطالة، حتى وإن كانت ضرورية في سياقها. وربما وجدت من يقول لك، كما نعبّر، «كاش» في وجهك: «اختصر»!.

الاختصار مهم في مواضعه؛ فعند الإعلان عن خبر أو منتج جديد، تكفي عبارة واضحة ومباشرة للتعريف به، ومثله حين تذهب إلى مطعم وتتحدث مع مقدّم الخدمة؛ فليس من المعقول أن يستغرق طلبك وقتًا طويلًا. وليس الهدر في الكلام من أساليب العرب؛ فقد عرفوا فنّي الإيجاز والإطناب. والإطناب ليس حشوًا، بل زيادة في الكلام تؤدي معنى حين يكون المقام محتاجًا إليها. والاختصار رائع، ما دام لا يخل بمنطق الكلام ولا برسالة المتحدث.

لكن الإشكال يظهر حين يتحول الاختصار ذاته إلى فكرة أو ممارسة ذهنية، يضيق معها الإنسان عن الصبر على أشياء جوهرية تحتاج إلى وقت لنتعلمها ونتقنها؛ فنبتعد، بحجة الاختصار، عن طريق العلم والمعرفة، ونستثقل قراءة صفحتين من كتاب أو الاستماع إلى محاضرة ثمينة لا تتجاوز نصف ساعة. وهنا يتضح أثر هذه الوسائل الحديثة في طريقة تلقينا. وحين قال الشاعر راكان بن حثلين:

ما قلّ دلّ، وزبدة الهرج نيشان .. والهرج يكفي صامله عن كثيره

فقد اقترب، في قوله، مما نذهب إليه: أن يكون الاختصار أو الإيجاز في موضعه الصحيح. فـ«صامل الهرج» ـ وهو القول الصحيح ـ لا يتأتى إلا من وعي ومعرفة سابقة بالكلام ومظانّه، وغالبًا ما يصدر عن شخص واعٍ لا يتخذ من الاختصار عادةً تبتُر المعنى وتُضعف أثره.

لدور النشر المحلية والدولية..

هيئة الأدب والنشر والترجمة تعلن فتح باب التسجيل لمعرض الرياض الدولي للكتاب 2026.

معرض الرياض الدولي للكتاب
Riyadh International Book Fair

واس

أعلنت هيئة الأدب والنشر والترجمة عن فتح باب استقبال طلبات التسجيل لدور النشر المحلية والدولية الراغبة بالمشاركة في معرض الرياض الدولي للكتاب 2026، والمُزمع إقامته في العاصمة الرياض خلال الفترة من 10 إلى 19 ديسمبر القادم.

ودعت الهيئة دور النشر والمؤسسات المهتمة إلى تقديم طلبات التسجيل عبر الرابط الإلكتروني التالي:

https://engage.moc.gov.sa/reg_forms/tracks/326/?lang=ar

ويُشكل معرض الرياض الدولي للكتاب تظاهرة ثقافية كبرى وملتقى سنويًا يجمع صنّاع الأدب والنشر والترجمة من مختلف أنحاء العالم؛ بهدف الارتقاء بصناعة الكتاب، وتحفيز حركة الترجمة، وترسيخ دور الأدب رافدًا أساسيًا للثقافة والمعرفة، إضافة إلى تعزيز شغف القراءة لدى أفراد المجتمع. كما يوفر المعرض منصة استثنائية للناشرين لاستعراض أحدث إصداراتهم الفكرية والأدبية أمام زوار المعرض والمهتمين وسط بيئة ثقافية غنية.

وسيشهد المعرض تنظيم برنامج ثقافي مكثف يضم سلسلة من الندوات الحوارية، والورش التدريبية، والمحاضرات الفكرية بمشاركة نخبة من المثقفين والأكاديميين والخبراء من داخل المملكة وخارجها.

كما يواصل المعرض تخصيص جناح "ركن المؤلف السعودي"، ضمن جهود الهيئة المستمرة لدعم الكُتّاب السعوديين وتمكينهم من عرض مؤلفاتهم وتسويق أعمالهم- المملوكة بحقوق نشر وتوزيع ذاتي- أمام الجمهور والشغوفين بالقراءة.

وفي نسخته الجديدة، يولي المعرض اهتمامًا خاصًا بثقافة الطفل من خلال "جناح الطفل"، الذي يقدّم تجربة استثنائية تُعنى بأدب الأطفال واليافعين عبر برامج تفاعلية وورش عمل إبداعية تُسهم في تنمية الخيال وغرس عادة القراءة في بيئة تعليمية ممتعة وآمنة.

يُذكر أن معرض الرياض الدولي للكتاب يُعد واحدًا من أبرز المحافل الثقافية في العالم العربي، بفضل الإقبال الجماهيري الكبير، وتنوّع برنامجه الثقافي، إلى جانب المشاركة الواسعة لدور النشر المحلية والدولية، مما يعزز موقع المملكة مركزًا ثقافيً رائدًا على الساحة الدولية.

«الهلال الأحمر»..

فعاليات توعوية وتدريبية.

واس

تشارك هيئة الهلال الأحمر السعودي في اليوم العالمي للإسعافات الأولية، من خلال عدد من الفعاليات والبرامج التوعوية والتدريبية التي تقام في مختلف مناطق المملكة؛ بهدف نشر الثقافة الإسعافية وتعزيز وعي أفراد المجتمع بالمهارات التي تسهم في التعامل الصحيح مع الحالات الطارئة. وتشمل المشاركة إقامة أركان وفعاليات توعوية في الأماكن العامة، وورش عمل ومحاضرات وبرامج تدريبية تستهدف مختلف فئات المجتمع، للتعريف بالمهارات الإسعافية الأساسية، وأهمية التدخل المبكر والتصرف الآمن حتى وصول الفرق الإسعافية.

وأكدت الهيئة أن نشر ثقافة الإسعافات الأولية يمثل أحد الممكنات المهمة لتعزيز جاهزية المجتمع، مشيرةً إلى أن امتلاك المهارات الأساسية والتدخل الصحيح في الدقائق الأولى من بعض الحالات الطارئة قد يسهم في إنقاذ الأرواح والحد من المضاعفات.وتواصل الهيئة جهودها في إتاحة التدريب الإسعافي لمختلف فئات المجتمع، وتصحيح المفاهيم والممارسات الخاطئة، وتعزيز المشاركة المجتمعية في الاستجابة للحالات الطارئة، بما يسهم في بناء مجتمع أكثر وعيًا وجاهزية.

ويُحتفى باليوم العالمي للإسعافات الأولية في السبت الثاني من شهر سبتمبر من كل عام، للتأكيد على أهمية نشر مهارات الإسعافات الأولية وتعزيز قدرة المجتمعات على الاستجابة الآمنة والسريعة للحالات الطارئة.

سؤال وجواب

إعداد: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله العُقيلي
عضو برنامج سمو ولي العهد لإصلاح ذات البين التطوعي.

س: ما خطورة الحوثيين؟

ج: تبدأ خطورتهم من كونهم من الطائفة الرافضية المباينة لعقيدة التوحيد، بما في فكرهم من غلو في الأشخاص والأئمة ومظاهر تخالف ما قرره القرآن والسنة من إفراد الله بالعبادة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقد اشتهر عن الروافض الغلو في آل البيت والطعن في أصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، وهو مناقض لما أثنى الله به على الصحابة، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100]. وقد حذّر النبي ﷺ من سب أصحابه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، متفق عليه. كما صان الله عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبرّأها في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: 23].

وتتجلى خطورتهم كذلك في الحروب التي تشهدها اليمن بسبب تمردهم وسيطرتهم المسلحة على أجزاء واسعة منه، وما ترتب على ذلك من قتل ودمار وتشريد وإضعاف مؤسسات الدولة، ثم امتداد عدوانهم إلى المملكة العربية السعودية - حرسها الله - بالصواريخ والطائرات المسيّرة، بما يهدد أمن المواطنين والمنشآت والملاحة والاستقرار الإقليمي.

وفي المقابل، تضطلع المملكة - حرسها الله - بدور محوري في أمن المنطقة واستقرارها: عقديًا بخدمة التوحيد والسنة ونشر العلم الشرعي ومواجهة الغلو والتطرف، وسياسيًا بدعم استقرار الدول ووحدة أراضيها والسعي إلى الحلول السلمية، وأمنيًا بحماية حدودها ومواطنيها ومكافحة الإرهاب وتأمين الممرات البحرية، واقتصاديًا بدعم التنمية والإغاثة والاستقرار، لما تمثله المملكة - حرسها الله - من ثقل مؤثر في أمن المنطقة والاقتصاد العالمي، حفظ الله لبلادنا وبلاد العرب والمسلمين مولاي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وسيدي ولي عهده الأمين الأمير محمد - رعاهما الله -.

لتلقي الاسئلة
alloq123@icloud.com
حساب تويتر:
@Abdulaziz_Aqili

الكلام الأخير

هل نختار أذواقنا... أم تُصنع لنا؟

حنين محمد عقيل
@haneen_m_303

للأسف، نعيش في زمن أصبح فيه الإنسان سريع التأثر بكل ما يُعرض عليه، وهذا التأثر لم يعد محدودًا، بل امتد ليشكّل أذواقنا في كل شيء: فيما نلبس، وما نأكل، وما نشرب، وحتى فيما نشاهده ونقرأه.

فما كان يُستنكر قبل أعوام، أصبح اليوم عاديًا ومقبولًا، وما لم يكن مستساغًا لدى كثيرين، تحوّل إلى خيار شائع، لا لأنه تغيّر بذاته، بل لأنه تكرّر حتى اعتاده الناس.

بهذا المعنى، يمكن فهم "الذوق العام" بوصفه الذوق السائد بين أفراد مجتمع يعيشون في نفس الظروف الزمنية والمكانية. هو ما تقبله الغالبية، ولا يُنظر إليه بوصفه خروجًا عن المألوف. لكنه، في جوهره، ليس مجرد تفضيلات عابرة، بل يرتبط بمنظومة القيم والمبادئ، ويعكس صورة المجتمع وهويته، ولذلك فهو يحمل بعدًا أخلاقيًا واجتماعيًا، ويتغير تبعًا لتحولات الزمان والثقافة والسياق العام.

وهنا تبرز "الصناعة الثقافية" بوصفها أحد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل هذا الذوق. فهي لا تقتصر على الإعلام التقليدي، بل تشمل المنصات الرقمية، والمشاهير، وصناع المحتوى، وكل من يمتلك قدرة على التأثير في وعي الجمهور. هذه الجهات—بوعي أو بدونه—تسهم في تشكيل ما نراه ونسمعه، وبالتالي ما نألفه ونقبله.

فالإنسان بطبيعته يألف ما يتكرر أمامه؛ ما تراه العين مرارًا تميل النفس إلى قبوله، ويعتاده العقل تدريجيًا. ومن هنا تتشكل "الترندات"، وتُعاد صياغة الأذواق، وأحيانًا تُوجَّه لتحقيق أهداف إعلامية أو اقتصادية.

لكن هل يعني ذلك أن الجمهور مجرد متلقٍ سلبي؟

ليس تمامًا.

فالجمهور، رغم تأثره، ليس بريئًا بالكامل. هو لا يكتفي بالاستهلاك، بل يشارك في النشر والتداول، وبذلك يصبح جزءًا من عملية التشكيل نفسها. فحين نعيد نشر فكرة أو نمط أو سلوك دون وعي، فإننا نُسهم في تثبيته، حتى يصبح مع الوقت جزءًا من الذوق العام. وهنا تتوزع المسؤولية.

فالعلاقة بين الصناعة الثقافية والجمهور ليست علاقة طرف مؤثر وآخر متأثر فحسب، بل هي علاقة تبادلية متكاملة، يؤثر كل منهما في الآخر. وكلما ارتفع وعي الفرد، زادت قدرته على التمييز، والتحكم فيما يتلقاه، وبالتالي الحفاظ على ذوقه الخاص.

لكن، لنكن واقعيين، هذا ليس بالأمر السهل.

فالتدفق المستمر للمحتوى، والانفتاح الواسع، يضعان الإنسان في حالة تعرض دائم، تتطلب يقظة مستمرة لاختيار ما ينسجم مع قيمه، لا ما يُفرض عليه عبر التكرار.

وفي النهاية، يبقى السؤال مفتوحًا:

هل نختار ما نحب...

أم نعتاد ما يُقدَّم لنا حتى نظنه اختيارًا؟

YAMAMAH FULFILMENT

YAMAMAH EXPRESS
اليمامة إكسبريس

عندك متجر؟

خلي البيع عليك
والباقـــي علينـــا

نعتني بطلباتك من الاستلام إلى باب عميلك

01 **نخزن**
تخزين آمن ومنظم لبضاعتك

02 **نجهز**
تجهيز الطلبات بدقة وسرعة

03 **نغلف**
تغليف احترافي يحمي منتجك

04 **نشحن**
شحن سريع لجميع مناطق المملكة

05 **نسلم**
توصيل حتى باب العميل

ركز على نمو متجرك
ونحن ندير الباقي

8001010191
الرقم الموحد

info@yamamahexpress.com

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للبيعة..

نتقدم

بأصدق التهاني إلى مقام خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبدالعزيز

وإلى صاحب السمو الملكي الأمير

محمد بن سلمان بن عبدالعزيز

ولي العهد رئيس مجلس الوزراء

وإلى الأسرة المالكة الكريمة

وإلى الشعب السعودي النبيل،

سائلين المولى أن تعود كل عام ووطننا في عز و خير وسلام.

رئيس وأعضاء مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية

مجلة اليمامة جريدة الرياض Riyadh Daily كتاب الرياض